

# تفسير السعدي

المسمى بإرشاد العقول السليمة إلى مراتب الفهم الإنليكي

لقاضي القضاة الإمام  
أبي السعد محمد بن محمد العامري  
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء المبتدئ

الناشر  
دار المصنف - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد  
١٣ شارع الصناديقية بالأزهر - ص ب ٤٠٦ بالقاهرة  
مركز التوزيع بلسان - بناية صالحة وصمدى بشارع موريا ببيروت

## ١٣ — سورة الرعد

(مدنية وآياتها ثلاثة وأربعون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

(سورة الرعد مدنية وقيل مكية إلا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآياتها ثلاث وأربعون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) اسم للسورة ومحلها إما الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو أظهر من الرفع على الابتداء إذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مراراً وقوله تعالى (تلك) على الوجه الأول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان أو بدل من الأول أشير به إليه إيداناً بفخامته وأما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ أو اذكر فتلك مبتدأ كما إذا جعل المر مسروداً على نمط التعديد أو بمعنى أنا الله أعلم وأرى على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والخبر على التقدير قوله تعالى (آيات الكتاب) أي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيقي باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس إذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن النعت وبه يظهر ما أريد من وصف الآيات بوصف ما أضيفت إليه من نعوت الكمال بخلاف ما إذا جعل عبارة عن السورة فإنها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الأوصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا يد من جعل تلك إشارة إلى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس (والذي أنزل إليك من ربك) أي الكتاب المذكور بكالهما لا هذه السورة وحدها (الحق) الثابت المطابق للواقع في كل مناطق به الحقيقي بأن يخص به الحقيقة لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على أن ما عداه ليس بحق أصلاً على أن حقيقته مستتبعة لحقيقة سائر الكتب السماوية لكونه مصداقاً لما بين يديه ومهمبنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول وإسناده الإنزال إليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافاً إلى ضميره عليه السلام من الدلالة على نخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشریف المنزل إليه والإيماء إلى وجه بناء الخبر ما لا يخفى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك الحق المبين لإخلاهم بالنظر والتأمل فيه فعدم إيمانهم متعلق بعنوان حقيقته لأنه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلاً كما قيل ولأنه وارد على طريقة الوصف دون الأخبار (الله الذي رفع السموات)

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

الرعد ١٣

- أى خلقهم مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لأنه رفعها بعد أن لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذى مد الأرض (بغير عمد) أى بغير دعائم جمع عمد كإهاب وأهب وهو ما يعمد به أى يسند يقال عمدت الحائط أى أدعته وقرىء عمد على جمع عمود بمعنى عمد كرسول ورسول وإيراد صيغة الجمع لجمع السموات لأن المنفى عن كل واحدة منها عمد لاعماد (ترونها) استئناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جىء بها إيهاماً لأن لها عمداً غير مرئية هى قدرة الله تعالى (ثم استوى) أى استولى (على العرش) بالحفظ والتدبير أو استوى أمره وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف وأياً ما كان فليس المراد به القصد إلى إيجاد العرش وخلقها فلا حاجة إلى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة (وسخر الشمس والقمر) ذللهما وجعلهما طائعين لما أريد منهما من الحركات وغيرها (كل) من الشمس والقمر (يجرى) حسبما أريد منها (لأجل مسمى) لمدة معينة فيها تم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فإن كلا منهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية أو لمدة ينتهى فيها حركاتهما ويخرج جميع ما أريد منهما من القوة إلى الفعل أو لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما (يدبر) بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير أى يقضى ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (الأمر) أمر الخلق كله وأمر ملكوته وروبو بيته (يفصل) الآيات) الدلالة على كمال قدرته وبالعجز حكمة أى يأتى بها مفصلة وهى ما ذكر من الأفعال العجيبة وما يتلوها من الآوضاع الفلكية الحادثة شيئاً فشيئاً المستتعبة للأثار الغريبة فى السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان إما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تنمة الاستواء وإما مفسر تان له أو الأولى حال منه والثانية من الضمير فيها أو كلاهما من ضمائر الأفعال المذكورة وقوله كل يجري لأجل مسمى من تنمة التسخير أو خبران عن قوله الله خبراً بعد خبر والموصول صفة للمبتدأ جىء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شأنه كما فى قول الفرزدق [إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول] (لعلكم) عند معاينتكم لها وعثورك على تفاصيلها (بملاقاته للجزاء) (توقنون) فإن من تدبرها حق التدبر أيقن أن من قدر على إبداع هذه الصنائع البديعة على كل شىء قدير وأن لهذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام أن ذلك ابتلاء للمكلفين ثم جزاؤهم حسب أعمالهم فإذا لم يبد من الإيقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية أردفها بذكر الدلائل السفلية فقال (وهو الذى مد الأرض) أى بسطها طولاً وعرضاً قال الأصم المدهو ٣ البسط إلى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة أقطارها (وجعل فيها رواسي) أى جبالاً ثوابت فى أحيازها من الرسو وهو ثبات الأجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لإغناء غلبة الوصف بها

عن ذلك وانحصار مجيء فواعل جمعاً لفاعل في فوارس وهوالك ونواكس إنما هو في صفات العقلاء  
وأما في غيرهم فلا يراعى ذلك أصلاً كما في قوله تعالى أياماً معدودات وقوله الحج أشهر مالمومات إلى غير  
ذلك فلا حاجة إلى أن يحمل مفرداتها صفة لجمع القلة أعني أجبالاً ويهتبر في جمع الكثرة أعني جبالاً انتظامها  
لطائفة من جموع القلة وتزيل كل منها منزلة مفرداتها كما قيل على أنه لا مجال لذلك فإن جمعية كل من صبغتي  
الجمعين إنما هي باعتبار الأفراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة الأفراد وجمع الكثرة لجموع القلة  
فكل منهما جمع جبل لا أن جبالاتاً جمع أجبال كما أن طوائف جمع طائفة ولا إلى أن يلتجأ إلى جعل الوصف  
المذكور بالغلبة في عداد الأسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على أنه لا وجه له لما أن الغلبة إنما هي في  
الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الأرض على ثباتها (وأنهاراً) بجاري  
واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في معمولية فعل واحد إشارة إلى أن الجبال  
منشأ الأنهار وبيان لفائدة أخرى للجبال غير كونها حافظة للأرض عن الاضطراب المحل بثبات الإقدام  
• وتقلب الحيوان متفرعة على تمسكه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلأ (ومن كل الثمرات) متعلق بجعل في قوله  
• تعالى (جعل فيها زوجين اثنين) أي اثنيّة حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر وأكده  
الزوجين لتلا يفهم أن المراد بذلك الشفعان إذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنيّة ذلك اثنيّة اعتبارية  
أي جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين إما في اللون كالأبيض والأسود  
أو في الطعم كالخلو والحامض أو في القدر كالصغير والكبير أو في الكيفية كالخار والبارد وما أشبه ذلك  
• ويجوز أن يتعلق بجعل الأول ويكون الثاني استئنافاً لبيان كيفية ذلك الجعل (يغشى الليل النهار) استعارة  
تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه إزالة نور الجو بالظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالآغطية أي يستر النهار  
بالليل والتركيب وإن احتمل العكس أيضاً بالجمل على تقديم المفعول الثاني على الأول فإن ضوء النهار  
أيضاً سائر لظلمة الليل إلا أن الانسب بالليل أن يكون هو الغاشي وهذا في أضعاف الآيات السفلية  
وإن كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهراً باعتبار أن ظهوره في الأرض فإن الليل إنما هو ظلها وفيها فرق  
موقع ظلها لاليل أصلاً ولأن الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والإنضاج على أنهما أيضاً  
• زوجان متقابلان مثلها وقرى يغشى من التغطية (إن في ذلك) أي فيما ذكر من مد الأرض وإبتدائها  
بالرواسي وإجراء الأنهار وخلق الثمرات وإغشاء الليل النهار وفي الإشارة بذلك تنبيه على عظم شأن  
• المشار إليه في بابه (لآيات) باهرة وهي آثار تلك الأفاعيل البديعة جلّت حكمة صانعها في على معناها فإن  
تلك الآثار مستقرة في تلك الأفاعيل منوطة بها ويجوز أن يشار بذلك إلى تلك الآثار المدلول عليها  
• بتلك الأفاعيل في تجريدية (لقوم يتفكرون) فإن التفكير فيها يؤدي إلى الحكم بأن تكوين كل من ذلك  
على هذا النمط الرائق والأسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويخار ما يريد لا معقب  
لحكمه وهو الحميد المجيد .



وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ١٣ الرعد

(وفي الأرض قطع) جملة مستأنفة مشتملة على طائفة أخرى من الآيات أى بقاع كثيرة مختلفة في الأوصاف ٤  
 فن طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة إلى غير ذلك (متجاورات) أى متلاصقات \*  
 وفي بعض المصاحف قطعاً متجاورات أى جعل في الأرض قطعاً (وجنات من أعناب) أى بساتين \*  
 كثيرة منها (وزرع) من كل نوع من أنواع الحبوب وإفراده لمراعاة أصله ولعل تقديم ذكر الجنات \*  
 عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسايرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله \*  
 تعالى (ونخيل) لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى (صنوان وغير صنوان) فاصلة والصنوان \*  
 جمع صنو كقنوان وقنوهى النخلة التى لها رأسان وأصلها واحد وقرىء بضم الصاد على لغة بنى تميم وقيس \*  
 وقرىء جنات بالنصب عطفاً على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الأرض \*  
 قطع متجاورات في هذا السلك مع أن اختصاص كل من تلك القطع بماله من الأحوال والصفات \*  
 بمحض جعل الخالق الحكيم جلّت قدرته حين مد الأرض ودحاها للإيمان إلى كون تلك الأحوال صفات \*  
 راسخة لتلك القطع وقرىء وزرع ونخيل بالجر عطفاً على أعناب أو جنات (يسقى) أى ما ذكر من \*  
 القطع والجنات والزرع والنخيل وقرىء بالتأنيث مراعاة للفظ والأول أوفق بمقام بيان اتحاد الكل في \*  
 حالة السقى (بماء واحد) لا اختلاف في طبعه سواء كان السقى بماء الأمطار أو بماء الأنهار (ونفضل) \*  
 مع تأخذ أسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا (بعضها على بعض) آخر منها (في الأكل) فيما يحصل \*  
 منها من الثمر والطعم وقرىء بالياء على بناء الفاعل رداً على يدبر ويفصل ويغشى وعلى بناء المفعول وفيه \*  
 مالا يخفى من الفخامة والدلالة على أن عدم احتمال استناد الفعل إلى فاعل آخر مخن عن بناء الفعل للفاعل \*  
 (إن في ذلك) الذى فصل من أحوال القطع والجنات (آيات) كثيرة عظيمة ظاهرة (لقوم يعقلون) \*  
 يعلمون على قضية عقولهم فإن من عقل هذه الأحوال العجيبة لا يتعلم في الجزم بأن من قدر على إبداع \*  
 هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الأشكال والألوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة \*  
 المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على إعادة ما أبداه بل هى أهون في القياس وهذه الأحوال \*  
 وإن كانت هى الآيات أنفسها لأنها فيها إلا أنه قد جردت عنها أمثالها مبالغة في كونها آية في تجريدية مثلها \*  
 في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد أو المشار إليه الأحوال الكلية والآيات أفرادها الحادثة شيئاً فشيئاً في \*  
 الأزمنة وأحاديث الواقعة في الأقطار والأمكنة المشاهدة لأهلها ففى على معناها وحيت كانت دلالة \*  
 هذه الأحوال على مدلولاتها أظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل \*  
 بعضها على بعض في الأكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات بما يتوقف الشعور عليه \*  
 على نوع تأمل وتفكر كأنه لا حاجة في ذلك إلى التفكير أيضاً وفيه تعرض بأن المشركين غير عاقلين

وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أُنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ  
الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

١٣ الرعد

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ  
لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾

١٣ الرعد

- ٥ (وإن تعجب) يا محمد من شيء (فعجب) لا أعجب منه حقيقة بأن يقصر عليه التعجب (قولهم) بعد مشاهدة ما عد ذلك من الآيات الشاهدة بأنه تعالى على كل شيء قدير (أنذا كنا تراباً) على طريقة الاستفهام الإنكارى المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على أنه بمعنى المقول أو في محل النصب على المفعولية منه على أنه مصدر فاعجب على الأول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في إذا ما دل عليه قوله (أنما لفي خلق جديد) وهو نبعث أو نعيد وتقديم الظرف لتقوية الإنكار بالبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أنما لنا كيداً لإنكار وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم تراباً بل كونهم بعريضة ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في النكير ما لا يخفى وقيل وإن تعجب من قولهم في إنكار البعث فعجب قولهم والمآل وإن تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وإن تعجب من إنكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فأمل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له أى إن تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه أفعاله فازدد تعجباً ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو أهون من هذه والأنسب بقوله ويستعجلونك بالسبيئة هو الأول وقوله تعالى فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من أول الأمر بكون قولهم ذاك أمراً عجيبيّاً ويجوز أن يكون مبتدأ لكونه موصوفاً بالوصف المقدركا أشير إليه فالمعنى وإن تعجب فاعجب الذى لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الأول
- وإن تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه (أولئك) مبتدأ والموصول خبره أى أولئك المنكرون لقدرة
- تعالى على البعث ربما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة المملجة لهم إلى الإيمان لو كانوا يبصرون (الذين كفروا برههم) وتمادوا في ذلك فإن إنكارهم لقدرة عز وجل كفره وأى كفر (وأولئك) مبتدأ خبره
- قوله (الأغلل في أعناقهم) أى مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم أو مغلولون يوم القيامة
- (وأولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات (أصحاب النار) فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكرى البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى أولئك الذين كفروا برههم (ويستعجلونك بالسبيئة) بالعقوبة التى أنذروها وذلك حين سألو رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم باندازه (قبل الحسنه) أى العافية والإحسان إليهم بالإمهال (وقد خلت من قبلهم المثلثات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ الرعد  
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ الرعد

بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء أى يستعجلونك بها مستهزئين  
 بإنذارك منكبرين لوقوع ما أنذرتهم لإياه والحال أنه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين  
 والمستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثل القصاص  
 وقرئ المثلاث بضمين باتباع الفاء العين والمثلاث بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلاث بضم  
 الميم وسكون الثاء تخفيف المثلاث جمع مثلة كركبة وركبات (وإن ربك لذو مغفرة) عظيمة (لناس)  
 \* على ظلمهم (أنفسهم بالذنوب والمعاصي ومحله النصب على الحالية أى ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى  
 إن ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وإن كانوا ظالمين بل يمهلم بتأخيرها (وإن ربك لشديد  
 العقاب) يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للإهمال وعنه عليه الصلاة والسلام  
 لولا عفو الله وتجاوز ما هنا لأحد العيش ولولا وعيده وعقابه لا تسلك كل أحد (ويقول الذين كفروا) ٧  
 وهم المستعجلون أيضاً وإنما عدل عن الإضمار إلى الموصول ذماً لهم ونعياً عليهم كفروهم بآيات الله تعالى  
 التى تنخر لهاصم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأساً ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا (لولا أنزل عليه آية  
 من ربه) مثل آيات موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام عناداً ومكابرة وإلا فى أدنى آية أنزلت عليه عليه  
 الصلاة والسلام غنية وعبرة لأولى الآل باب (إنما أنت منذر) مرسل الإنذار من سوء عاقبة ما يأتون  
 \* ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك إلا الإتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد  
 عليه ولا حاجة إلى إلزامهم وإلزامهم الحجة بالإتيان بما اقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) معين لا  
 بالذات بل بعنوان الهداية يعنى لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضى اختصاص كل منهم بما  
 يختص به حكم لا يعلمها إلا الله أو لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك إلا  
 إنذارهم فلا يهمنك عنادهم وإنكارهم للآيات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه  
 وقدرته وشمول قضائه وقدره المبينين على الحكم والمصالح تنبيهاً على أن تخصيص كل قوم نبي وكل نبي بجنس  
 معين من الآيات إنما هو للحكم الداعية إلى ذلك لإظهار الكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدى إلا من تعلق  
 بهدايته مشيئته التابعة لحكم استأثر بعلمها فقال (الله يعلم ما تحمّل كل أنثى) أى تحمله فما موصولة أريد بها ٨  
 ما فى بطنها من حين العلوق إلى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعدد إلى واحد أو أى شىء  
 تحمل وعلى أى حال هو من الأحوال المنوارة عليه طوراً فطوراً فهى استفهامية معلقة للعلم أو حملها فهى  
 مصدرية (وما تغيض الأرحام وما تزداد) أى تنقصه وتزاده فى الجنة كالخديج والتمام وفى المدة كالمولود  
 \* فى أقل مدة الحمل والمولود فى أكثرها وفيها بينهما فيل إن الضحاك ولد فى سنتين وهرم بن حيان فى أربع  
 ومن ذلك سمى هرما وفى العدد كالواحد فما فوقه يروى أن شريكاً كان رابع أربعة أو يعلم نقصها وازديادها

١٣ الرعد

عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١١﴾

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ۚ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٢﴾ الرعد  
 لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۚ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا  
 مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١٣﴾ الرعد

- لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله تعالى وازدادوا تسماً وقوله وازداد كليل  
 • بعير أولاً زمان قد أسند إلى الأرحام مجازاً وهما لما فيها ( وكل شيء ) من الأشياء ( عنده بمقدار ) بقدر  
 لا يمكن تجاوزه عنه كقوله إنا كل شيء خلقناه بقدر فإن كل حادث من الأعيان والأعراض له في كل  
 مرتبة من مراتب التكوين ومبادئها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور  
 العلمى بل العلم الحضورى فإن تحقق الأشياء في أنفسها في أى مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد  
 ٩ لذلك علم له بالنسبة إلى الله عز وجل ( عالم الغيب ) أى الغائب عن الحس ( والشهادة ) أى الحاضرة له خبر  
 عنهما بهما مبالغة وقيل أريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد  
 • خبر وقرىء بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الخ ( الكبير ) العظيم  
 • الشأن الذى كل شيء دونه ( المتعال ) المستعلى على كل شيء بقدرته أو المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد  
 ما بين سبحانه أنه عالم بجميع أحوال الإنسان فى مراتب فطرته ومحيط بعالمى الغيب والشهادة بين أنه تعالى  
 عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الأفعال والأقوال وأنه لا فرق بالنسبة إليه بين السر والعلن فقال  
 ١٠ ( سواء منكم من أسر القول ) فى نفسه ( ومن جهر به ) أظهره لغيره ( ومن هو مستخف ) مبالغ فى الاختفاء  
 • كأنه مخنف ( بالليل ) وطالب للزيادة ( وسارب ) بارز يراه كل أحد ( بالهار ) من سرب سروباً أى  
 برز وهو عطف على من هو مستخف أو على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كفى قوله [ تعالى فإن عاهدتنى  
 لا تخونننى • نكن مثل من ياذنب يصطحبان ] كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار  
 والاستواء وإن أسند إلى من أسروا من جهر وإلى المستخفي والسارب لكنه فى الحقيقة مسند إلى ما أسره وما  
 جهر به أو إلى الفاعل من حيث هو فاعل كفى الأخيرين وتقديم الأسرار والاستخفاء لإظهار كمال علمه تعالى  
 ١١ فكانه فى التعلق بالخفيات أقدم منه بالظواهر وإلا فنسبته إلى الكل سواء لما عرفته آنفاً ( له ) أى لكل من  
 • أسر أو جهر والمستخفي أو السارب ( معقبات ) ملائكة تعقب فى حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه  
 إذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضاً أو لا منهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونه أو اعتقب فأدغمت  
 التاء فى القاف والتاء للبالغة أو المراد بالمعقبات الجماعات وقرىء معاقب جمع معقب أو معقبة على  
 • تعويض الباء من إحدى القافين ( من بين يديه ومن خلفه ) من جميع جوانبه أو من الأعمال ما قدم وأخر  
 • ( يحفظونه من أمر الله ) من بأسه حين أذنب بالاستمهال والاستغفار له أو يحفظونه من المضار أو

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾  
وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

١٣ الرعد

يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرىء به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والعافية (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الأعمال الصالحة أو ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها إلى أضدادها (وإذا أراد الله بقوم سوءاً) لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك (فلا مرد له) فلا رد له والعامل في إذا ما دل عليه الجواب (وما لهم من دونه من وال) يلي أمرهم ويدفع عنهم السوء الذي أراد الله بهم بما قدمت أيديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال وإبذان بأنهم بما باشروه من إنكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه (هو الذي يرسيكم البرق خوفاً) من الصاعقة ١٢ (وطمعاً) في المطر فوجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما أن الخوف عليه النفس أو الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف أيضاً من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخزاف والحراث ويأباه الترتيب اللهم إلا أن يتكلف ما أشير إليه من أن الخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما إماماً على المصدرية أي فتخافون خوفاً وتطمعون طمعاً أو على الحالية من البرق أو المخاطبين بإضمار ذوى أو بجعل المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل مبالغة أو على العلية بتقدير المضاف أي إرادة خوف وطمع أو بتأويل الإخافة والإطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلن وأما جعل المعلن هي الرؤية التي تتضمنها الإرامة على طريقة قول النابغة [وحت يوتى في بفاع يمنع] تخال به راعي الخولة طائراً [إ] حذاراً على أن لا ينال معاوني ولا نسوتى حتى يمتن حراراً [إ] أى أحلت بيوتى حذاراً فلا سبيل إليه لأن ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم (وينشئ السحاب) الغمام المنسحب في الجو (الثقال) بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام (ويسبح الرعد) أى سامعوه من ١٣ العباد الراجلين للمطر ملتبسين (بحمده) أى يضجون بسبحان الله والحمد لله وإسناده إلى الرعد لخله لهم على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه عبارة عن دلالة على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي ﷺ أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وإذا اشتد يقول اللهم لا تقلتنا بغضبك ولا نهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود سألت النبي ﷺ عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار

\* يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك (والملائكة) أى يسبح الملائكة (من  
 \* خيفته) من هيئته وإجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء)  
 \* فيهلكه بذلك (وهم) أى الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذى يريكم البرق وقد انفتحت إلى الغيبة  
 إيداناً يأسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضاً عنهم وتعيداً لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب  
 كأنه قيل هو الذى يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال  
 الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين أو الرعد نفسه أو الملك الموكل به  
 والملائكة يعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيئته تعالى وهم أى الكفرة الذين  
 \* حكيت هنتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم (يجادلون فى الله) أى فى شأنه تعالى حيث يفعلون  
 ما يفعلون من إنكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات قالوا ولطف الجملة على ما قبلها  
 من قوله تعالى هو الذى يريكم البرق الخ أو على قوله الله يعلم ما تحمل الخ وأما العطف على قوله تعالى  
 ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لأن قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك  
 ونظائره من استعجال العذاب وإنكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال أى فيصيب  
 بالصواعق من يشاء وهم فى الجدل وقد أريد به ما أصاب أريد بن ربيعة أخا لبيد فإنه أقبل مع عامر بن  
 الطفيل إلى رسول الله ﷺ يبغيان الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس فى نفر من  
 من الأصحاب رضى الله عنهم فاستشرفوا الجمال عامر وكان من أجل الناس وقد كان أوصى إلى أريد أنه  
 إذا رآينى أكلتم محمداً ﷺ فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه ﷺ فدار أريد من خلفه ﷺ  
 فاخترط من سيفه شبراً فخبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومى إليه فرأى النبی ﷺ الحال فقال  
 اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على أريد صاعقة فى يوم صحو صائف فأحرقته وولى عامر هارباً  
 قتل فى بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض فى الصحراء  
 ويقول إبرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن أصررتى محمد وصاحبه يعنى ملك الموت لا نفذتهما  
 برعى فأرسل الله تعالى ملكاً فاطمه بجناحه فأرداه فى النراب فخرجت على ركبته فى الوقت غدة عظيمة فعاد إلى  
 بيت السلولية وهو يقول غرة كفرة البعير وموت فى بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على  
 ظهره وقيل أريد به ما روى عن الحسن أنه كان رجلاً من طواغيت العرب فبعث النبي ﷺ نفرأ من أصحابه  
 يدعونه إلى الله عز وجل فقال لهم أخبروني عما تدعوننى إليه ما هو ومم هو من ذهب أم من فضة أم من نحاس  
 أم من حديد أم من در فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي ﷺ فقالوا أمارأينا رجلاً أكفر قلباً ولا أعتى  
 على الله منه فقال ﷺ ارجعوا إليه فرجعوا إليه فازاد إلا مقالته الأولى وأخبرت فرجعوا إليه ﷺ وأخبروه  
 بما صنع فقال ﷺ ارجعوا إليه فرجعوا إليه فيبيناهم عنده ينازعونه إذا تفعت سحابة ورعدت وبرقت  
 ورمت بصاعقة فاحترق الكافر لجأوا ويسعون ليخبروه ﷺ بالخبر فاستقبلهم الأصحاب فقالوا احترق  
 \* صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحى إلى النبي ﷺ (وهو شديد الحال) أى والحال أنه شديد المأحالة والمكابرة  
 والمماكرة لأعدائه من محله إذا كاده وعرضه للملاك ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محال من

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾

الرعد ١٣

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾

الرعد ١٣

- المحل بمعنى القوة وقيل محول من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرىء بفتح الميم على أنه مفعول من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد (له دعوة الحق) أى الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والإضافة للإيدان بملاستها للحق واختصاصها به وكونه بمنزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقبل له دعوة الله سبحانه أى الدعوة اللاتفة بحضرته كما في قوله ﷺ فن كانت هجرته إلى الله ورسوله فم هجرته إلى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقيقة اترية معنى الاستجابة والأولى هو الأول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين إلا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث إن إهلاك أربد وعامر محال من الله تعالى وإجابة لدعوة رسول الله ﷺ عليهما إن كانت الآية نزلت في شأنهما أو من حيث إنه وعيد للكفرة على مجادله رسول الله ﷺ بحلول محالهم وتحذير لهم بإجابة دعوته عليهم (والذين يدعون) أى الأصنام الذين يدعونهم المشركون لحذف العائد (من دونه) من دون الله عز وجل (لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (إلا كباسط كفيه إلى الماء) أى إلا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر أعنى لا يستجيبون ويجوز أن يكون من المبني للمفعول ويضاف إلى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجود أو عدماً فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم إلا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء كما في قوله [وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع \* من المال إلا مسحت أو مجلف أى لم تدع فلم يبق إلا مسحت أو مجلف (ليبلغ) أى الماء بنفسه من غير أن يؤخذ بشيء من إناه ونحوه (فاه وما هو) أى الماء (ببالغه) ببالغ فيه أبداً لكونه جهاداً لا يشعر بعطشه ولا يبسط يده إليه فضلاً عن الاستطاعة لما أراده من البلوغ إلى فيه شبه حال المشركين في عدم حصو لهم في دعاء آلهتهم على شيء أصلاً وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدرى ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء يبغي وصوله إلى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الأجزاء فإن الماء في نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم والمراد نفي الاستجابة رأساً إلا أنه قد أخرج الكلام مخرج التكميم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئاً من الاستجابة إلا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعاً فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرىء تدعون بالتاء وكباسط بالتونين (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أى ذهاب وضياع وخسار (وقه) وحده (يسجد) يخضع وينقاد لشيء غيره ١٥ استقلالاً ولا اشتراكاً فالقصر ينتظم القلب والإفراد (من في السموات والأرض) من الملائكة والثقلين (طوعاً وكرهاً) أى طائعين وكرهين أو انقياد طوع وكره أو حال طوع وكره فإن خضوع الكل لعظمة الله عز

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ  
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ  
شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَحْلِفُهُ قَدْ شَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٣﴾ الرعد

وجل وانقيادهم لإحداث ما أراده فيهم من أحكام التكوين والإعدام شاموا أو أبوا وعدم مداخلة حكم  
غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشئون مما لا يخفى على أحد (وظلالهم) أى وتنقاد له تعالى ظلال من  
من له ظل منهم أعنى الإنس حيث تنصرف على مشيئته وتناق لإرادته في الامتداد والتقلص والنق  
والزوال (بالغدو والآصال) ظرف السجود المقدر أو حال من الظلال وتخفيض الوقتين بالذكر مع  
أن انقيادها متحقق في جميع أوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جميع غداة كفى في جمع فتاة  
والآصال جمع أصيل وقيل جمع أصل وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر  
ويؤيده أنه قرئ، والإبصال أى الدخول فى الأصل هذا وقد قيل إن المراد حقيقة السجود فإن الكفرة  
حال الاضطراب وهو المعنى بقوله تعالى وكرهاً يخلصون السجود به سبحانه قال تعالى فإذا ركبوا فى الفلك  
دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد أن يخلق الله تعالى فى الظلال أفهاماً وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما  
خلقهم للجيل حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلى كما قاله ابن الأنبارى ويجوز أن يراد بسجودها  
ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعاً لأصحابها وأنت خير بأن اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة  
والشدة بالله سبحانه لا يجدى فإن سجودهم لأصنامهم حالة الرخاء نحل بالقصر المستفاد من تقديم الجار  
والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولأن تحقيق انقياد الكل فى الإبداع والإعدام له تعالى أدخل  
فى التوبيخ على اتخاذ أولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع  
كون غيرهم أيضاً كذلك لأنهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على أنه بين ذلك بقوله عز وجل (قل  
من رب السموات والأرض) فإنه لتحقيق أن خالقهما ومتولى أمرهما مع ما فيهما على الإطلاق هو  
الله سبحانه وقوله تعالى (قل الله) أمر بالجواب من قبله بِإِذْنِ اللَّهِ إشعاراً بأنه متعين للجوابية فهو والخصم  
فى تقريره سواء أو أمر بحكاية اعترافهم لإذناً بأنه أمر لا بد لهم من ذلك كأنه قيل أحك اعترافهم بفسادهم  
بما يلزمهم من الحجة وألزمهم الحجر أو أمر بتلقينهم ذلك إن تلعثموا فى الجواب حذراً من الإلزام  
فإنهم لا يتمالكون إذ ذاك ولا يقدر على إنكاره (قل) إلزاماً لهم وتبكيئاً (أفاتخذتم) لأنفسكم  
والهمزة لإنكار الواقع كما فى قولك أضربت أباك لا لإنكار الوقوع كما فى قولك أضربت أبى والفاء للعطف  
على مقدر بعد الهمزة أى أعلمتم أن ربهما هو الله الذى ينقاد لأمره من فيهما كافة فاتخذتم عقيبه (من  
دونه أولياء) عاجزين (لا يملكون لأنفسهم نفعا) يستجلبونه (ولا ضراً) يدفعونه عن أنفسهم  
فضلاً عن القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضرر عنه لا على أن يكون الإنكار متوجهاً إلى المعطوفين  
مما كفى قوله تعالى أفلا تعقلون إذا قدر المعطوف عليه ألا تسمعون بل إلى ترتيب الثانى على الأول مع



وجوب أن يترتب عليه نقيضه كما إذا قدر أن سمعون والمعنى أبعد أن علمت أن ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه أولياء عجزة والحال أن قضية العلم بذلك إنما هو الاختصار على توليه فمكسّم الأمر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفستخذونه وذريته أولياء من دوني ووصف الأولياء هم بآبعدم المالكية للنفع والضر في إرشيع الإنكار وتأكيده كتنقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية أعنى قوله تعالى وهم لكم عدو فإن كلا منهما إنما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد إنكاره (قل) تصويراً لأرائهم الركيكة • بصورة المحسوس (هل يستوى الأعمى) الذى هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها (والبصير) الذى هو الموحد العالم بذلك أو الأول عبارة عن المعبود الغافل والثاني إشارة إلى المعبود العالم بكل شيء (أم هل تستوى الظلمات) التى هى عبارة عن الكفر والضلال (والنور) الذى هو عبارة عن التوحيد والإيمان وقرىء بالياء ولما دل النظم الكريم على أن الكفر فيما فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله سبحانه فى الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على أحد وأنهم فى ذلك كالأعمى الذى لا يهتدى إلى شيء أصلاً وليس لهم فى ذلك شبهة تصلح أن تكون منشأ لغلطهم وخطئهم فضلاً عن الحجة أكد ذلك فقيل (أم جعلوا لله) أى بل أجعلوا له (شركاء خلقوا كخلقه) سبحانه والهمزة • لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذى يتوجه إليه الإنكار وأما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الإنكار بهذا المعنى والمعنى أنهم لم يجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه (فكشابه الخالق عليهم) بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما • استحقها ليكون ذلك منشأ لخطئهم بل إنما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرّة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم واتهم بهم (قل) تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إليه (الله خالق كل شيء) • كافة لا خالق سواه فيشاركه فى استحقاق العبادة (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية (القهار) لكل ما سواه فكيف يتوهم أن يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالأعمى • والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذى هو القرآن العظيم فى فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفى جريانه عليها ملاحظة وحفظاً وعلى الألسنة مذاكرة وتلاوة وفى ثباته فيهما مع كونه ممدداً لحياتها الروحانية وما يتلوها من المملكات السنية والأعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل فى أودية يابسة لم تجر عاداتها بذلك سيلانا مقدراً بمقدار اقتضته الحكمة فى إحياء الأرض وما عليها الباقى فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفى كونه حلية تتحلّى به النفوس وتصل إلى البهجة الأبدية ومتاعاً يتمتع به فى المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التى يتخذ منها أنواع الآلات والأدوات وتبقى منتفعاً بها مدة طويلة ومثل الباطل الذى ابتلى به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخله له فيهما وإخلال بصفائهما من الزبد الرابى فوقهما المضمحل سريعاً فقيل •

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

١٣ الرعد

١٧ ( أنزل من السماء ) أى من جهتها ( ماء ) أى كثيراً أو نوعاً منه وهو ماء المطر ( فسالت ) ( أودية ) واقعة فى مواقعه لا جميع الأودية إذ الأمطار لا تستوعب الأقطار وهو جمع واد وهو مفرج بين جبال أو تلال أو آكام على الشذوذ كناد وأندية وناج وأنجية قالوا وجهه أن فاعلا يحى بمعنى فمیل كناسر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على أفعله بكريب وأجربة جمع فاعل أيضاً على أفعله فإن أريد بها مايسيل فيها مجازاً فإسناد السيلان إليها حقيقى وإن أريد معناها الحقيقى فالإسناد مجازى كما فى جرى النهر وإيثار التمثيل بها على الأنهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما أشير إليه ( بقدرها ) أى سالت ملتبسة بمقدارها الذى عينه الله تعالى واقتضته حكمته فى نفع الناس أو بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغراً وكبراً لا يكونها مألوفة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعى لكثرة الموارد فإن مورد السيل الجارى فى الوادى الصغير أقل من مورد السيل الجارى فى الوادى الكبير هذا إن أريد بالآودية مايسيل فيها أما إن أريد بها معناها الحقيقى فالمعنى سالت مياهها بقدر تلك الآودية على نحو ما عرفته آنفاً أو يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر أولاً من المعنيين ( فاحتمل السيل ) الجارى فى تلك الآودية أى حمل معه ( زبداً ) أى غثاء ورغوة وإنما وصف ذلك بقوله تعالى ( رابياً ) أى عالياً منتفخاً فوقه بياناً لما أريد بالاحتمال المحتمل لكون الحمل غير طاف كالأشجار الثقيلة وإنما لم يدفع ذلك الاحتمال بأن يقال فاحتمل السيل فوقه للإبذان بأن تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقاً للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذى شأنه الظهور فى بادى الرأى من غير مداخله فى الحق ( ومما يوقدون عليه فى النار ) أى يفعلون الإيقاد عليه كأنما فى النار والضمير للناس أضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ( ابتغاء حلية أو متاع ) أى لطلب اتخاذ حلية وهى ما يزين ويتجمل به كالحلى المتخذة من الذهب والفضة أو اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الآوانى والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات ( زبد ) خبث ( مثله ) مثل ما ذكر من زبد الماء فى كونه رابياً فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئاً منه لا تبعية معربة عن كونه بعضاً منه كما قيل لإخلال ذلك بالتمثيل وفى التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما فى حيز الصلة من إيقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء بإظهار التهاون به كما فى قوله تعالى فأوقدلى ياها مان على الطين وإشارة إلى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفى زيادة فى النار إشعار بالمبالغة فى الاعتمال للأذابة وحصول الزبد كما أشير إليه وعدم التعرض لإخراجه من

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ١٣ الرعد

الأرض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما أن لعنوان إنزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له إخلال بذلك (كذلك) أى مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت راققة (يضرب الله الحق والباطل) أى مثل الحق ومثل الباطل والحذف للإنباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كأن المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الإيماء في تضاعيف ذلك إلى وجوه المماثلة على أبدع وجوه وأنفها حسبما أشير إليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض مابه المماثلة من الذهاب والبقاء تنمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائد فليل (فأما الزبد) من كل منهما (فيذهب جفاء) أى مرمياً به وقرى جفلاً والمعنى واحد (وأما ما ينفع الناس) منهما كالماء الصافي والفلز الخالص (فيملكك في الأرض) أما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنوات والآبار وأما الفلز فيصاغ من بعضه أنواع الحلى ويتخذ من بعضه أصناف الآلات والأدوات فينتفع بكل من ذلك أنواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالملك في الأرض ما هو أعم من الملك في نفسها ومن البقاء في أيدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفلز كما هو الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فإن المعبر (إنما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذهاب لا قبله) (كذلك يضرب الله) أى مثل ذلك الضرب العجيب • يضرب (الأمثال) في كل باب إظهاراً لكمال اللطف والعناية في الإرشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل إما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الأول أو بجعل ذلك إشارة إليهما جميعاً وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالاً وما لا أكمل بيان شرع في بيان حال أهل كل منهما ما لا تكفي للدعوة ترغيباً وترهيباً فليل (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) إذ دعاهم إلى الحق بفنون ١٨ الدعوة التي من جهاتها ضرب الأمثال فإنه ألطف ذريعة إلى تفهيم القلوب الغبية وأقوى وسيلة إلى تسخير النفوس الانسية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وإبراز لا وأبد المعاني في هيئة المأنوس فأى دعوة أولى منه بالاستجابة والقبول (الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة (والذين لم يستجيبوا له) وعاندوا الحق الجلى (لو أن لهم ما في الأرض) من أصناف الأموال (جميعاً) بحيث لم يشذ منه شاذ فى أقطارها أو مجموعا غير متفرق بحسب الأزمان (ومثله معه لافتدوا به) أى بما فى الأرض ومثله معه جميعاً ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي خبره لكن لا على أنها وضعت موضع السوءى فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الأولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا له السوءى كما يوم فإن الشرطية وإن دلت على كمال سوء حالهم لكنها معزلة من القيام مقام لفظ السوءى مصحوباً باللام الداخلة على الموصول أو ضميره

أَفَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٣﴾ الرعد

الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿١٤﴾ الرعد

- وعليه يدور حصول المرام وإنما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى ( أولئك لهم سوء الحساب ) وحيث كان اسم الإشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها أعني الجملة الظرفية خبراً عن الموصول في الحقيقة ومبيناً لإبهام مضمون الشرطية الواقعة خبراً عنه أولاً ولذلك ترك العطف فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة أن يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد قبح حسن المقابلة على أبلغ وجه وآ كدهم بين مؤدى ذلك فقيل (وما واهم) أى مرجعهم (جهنم) وفيه نوع تأكيد لتفسير الحسنى بالجنة (وبئس المهاد) أى المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله تعالى للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الأمثال أى الأمثال السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر أى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الأول وقوله لو أن لهم الخ كلام مستأنف مسوق لبيان ما أعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين أى هما مثلاً الفريقين وأنت خير بأن عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينهما وبين ما يدور عليه أمر التمثيل وأن الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى أيضاً كما في قوله سبحانه يضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره على أن بعض الأمثال المضروبة لا سيما المثل الأخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروباً لهم أيضاً بأن يجعل في حكم أن يقال كذلك يضرب الله الأمثال للناس إذ لا وجه حينئذ لتنويهم إلى المستجيبين وغير المستجيبين فنأمل (أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك) ١٩ من القرآن الذى مثل بالماء المنزل من السماء والإبريز الخالص في المنفعة والجدوى (الحق) الذى لا حق وراءه أو الحق الذى أشير إليه بالأمثال المضروبة فيستجيب له (كمن هو أعمى) عمى القلب لا يشاهده وهو نار على علم ولا يقدر قدره وهو في أقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائراً في ظلمات الجهل وغياهب الضلال أو لا يتذكر بما ضرب من الأمثال أى كمن لا يعلم ذلك إلا أنه أريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالأعمى وإيراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الإنكار إلى ترقب توم المائلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الأمثال وبين المصير والمآل كأنه قيل أبعد ما بين حال كل من الفريقين ومآلهما يتوم المائلة بينهما ثم استأنف فقيل (إنما يتذكر) بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتناقض ٢٠ (أولو الأبواب) أى العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الإلف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) بما عقدوا على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته تعالى حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتيبه (ولا ينقضون الميثاق) ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾  
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ  
بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُوبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾

الرعد ١٣

جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ

كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾

الرعد ١٣

- المبادر هو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الرحم وموالات المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق من غير تفرق بين أحد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهر والدجاج (يخشون ربهم) خشية جلال وهيبه ورهبة فلا يعصونه فيما أمر به (ويخافون سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبها ذكر فيما قبل (والذين صبروا) على كل ما تكرهه ٢٢ النفس من الأفعال والتروك (ابتغاء وجه ربهم) طلباً لرضاه خاصة من غير أن ينظر إلى جانب الخلق رياء وسعة ولا إلى جانب النفس زينة وعجباً وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الأمر في كل ما ذكر من الصلوات السابقة واللاحقة أورد على صيغة الماضي اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب تحقيقه فإن ذلك مما لا بد منه إما في نفس الصلوات كما فيها عدا الأولى والرابعة والخامسة أو في إظهار أحكامها كما في الصلوات الثلاث المذكورات فإنها وإن استغنت عن الصبر في أنفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن إظهار أحكامها والجرى على موجبها غير خال عن الاحتياج إليه (وأقاموا الصلاة) المفروضة (وأنفقوا مما رزقناهم) أي بعضه الذي يجب عليهم إنفاقه (سراً) لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتم بترك الزكاة أو عند إنفاقه وإعطائه من تمنعه المروءة من أخذه ظاهراً (وعلانية) لمن لم يكن كما ذكر أو الأول في التطوع والثاني في الفرض (ويدرون بالحسنة) أي يجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمجوها . عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سوء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا طلبوا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لإظهار كمال العناية بالحسنة (أولئك) المنعوتون بالنعوت الجلية والمملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية أعني قوله تعالى (لهم عقبي الدار) أي عاقبه الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أمر أهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لأولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وأياً ما كان فليس فيه قصر حتى يرد أن بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل إخلالها بالموصول إلى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة أو استئناف لبيان ما استوجبه بتلك الصفات أن جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لأولى الأبواب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلوات المذكورة مدخل في التذكر (جنت عدن) بدل من عقبى الدار أو مبتدأ ٢٣

١٣ الرعد

سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي

١٣ الرعد

الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾

خبره (يدخلونها) والعدن الإقامة ثم صار علماً لجنة من الجنات أى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم) جمع أبوى كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (وأزواجهم وذرياتهم) وهو عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم تعظيماً لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وأن الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمز يتمسك بمجرد جبل الأنساب (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والنحف قائلين (سلام عليكم) بشارة لهم بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعلينكم أو بمحذوف أى هذه الكرامة العظمى بما صبرتم أى بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبت في الدنيا لقد استرحمت الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلوات السابقة لما قدمناه من أن له دخلاً في كل منها ومزية زائدة من حيث إنه ملاك الأمر في كل منها وإن شيئاً منها لا يعتد به إلا بأن يكون لا ابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس (فنعم عقبى الدار) أى فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل حركتها إلى النون تارة وبدونه أخرى وعن النبي ﷺ أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الأربعة ٢٥ رضوان الله عليهم أجمعين (والذين ينقضون عهد الله) أريد بهم من يقابل الأولين ويعاندهم في الاتصاف بنقائص صفاتهم (من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الأرحام وموالاته المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الأمور المعدودة فيما سلف وإنما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحاً لدلالة النقص والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلاه إنما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقعن معتداً بهن فلا وجه لنفيه عن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة ممن لا يحوم حول أصل الإيمان بالله تعالى فضلاً عن فروع الشرائع وإن أريد بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما أمر الله تعالى بوصله وأما دره السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فإن من يجازى إحسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الأمر ويباشر الفساد بدأ حسباً يحكيه قوله عز وعل (ويفسدون في الأرض) أى بالظلم وتهيج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الإساءة بالإحسان على أن ذلك يشعر بأن له دخلاً في الإفضاء إلى

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَنَعٌ ﴿٢٦﴾

الرعد ١٣

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنَاصِبُ ﴿٢٧﴾

الرعد ١٣

- العقوبة التي ينفي عنها قوله تعالى (أولئك) الخ أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح (لهم) بسبب ذلك
- (اللجنة) أي الإبعاد من رحمة الله تعالى (ولهم) مع ذلك (سوء الدار) أي سوء عاقبة الدنيا أو عذاب جهنم فإنها دارهم لأن ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة ولا يخفى أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير فإن مجازاة السيئة بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الإعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس بما يورث تركه تبعة وأما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الإخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لأن اعتباره من حيث إنه من مستتبعات الإخلال بالعزائم بالكفر ببعض الأنبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والإيدان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت (الله يبسط الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) من ٢٦
- عبادته (ويقدر) أي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لأحد مدخل في ذلك
- ولا شعور بحكمته فربما يبسطه للكافر إملأ واستدراجاً وربما يضيقه على المؤمن زيادة لأجره فلا يغتر ببسط الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن (وفرحوا) أي أهل مكة فرحوا بفرح لا يورث سرور بفضل
- الله تعالى (بالحياة الدنيا) وما بسط لهم فيها من نعمها (وما الحياة الدنيا) وما يتبعها من النعيم (في الآخرة) أي في جنب نعيم الآخرة (إلا متاع) إلا شيء نزر يتمتع به كعجالة الرأب وزاد الراعي والمغني أنهم
- رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال أن ما أشروا به في جنب ما عرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاذ (ويقول الذين كفروا) أي أهل مكة وإيثار هذه الطريقة على الإضمحار مع ظهور إرادتهم ٢٧
- عقيب ذكر فرحهم بالحياة الدنيا لدمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكى عنهم من قولهم (لولا أنزل عليه آية من ربه) فإن ذلك في أقصى مراتب المكابرة والعناد كأن ما أنزل عليه عليه السلام من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى افتروا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لأحد بعد ذلك طاقة
- بعدم القبول ولذلك أمر في الجواب بقوله تعالى (قل إن الله يضل من يشاء) إضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية إليها أي بخلق فيه الضلال لصفته اختياره إلى تحصيله ويدعه منهم كما فيه لعله بأنه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الإرشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له إلى الاهتداء ولو جاءته كل آية (ويهدي إليه) أي إلى جنبه العلي الكبير هداية موصلة إليه لا دلالة
- مطابقة على ما يوصل إليه فإن ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشریفهم مالا يوصف (من أناب) أقبل

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ١٣ الرعد

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ ﴿٢٩﴾ ١٣ الرعد

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ  
بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ١٣ الرعد

إلى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الإنابة الدخول في نوبة الخير وإيثار إرادها في الصلة على إيراد المشيئة كما في الصلة الأولى للتنبيه على الداعي إلى الهداية بل إلى مشيئتها وإشعار بمادعا إلى المشيئة الأولى من المكارة وفيه حث للكفرة على الإقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وإيثار صيغة الماضي للإيحاء إلى استدعاء الهداية لسابقة الإنابة كما أن إيثار صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم (الذين آمنوا) بدل من أناب فإن أريد بالهداية الهداية المستمرة فالأمر ظاهر لظهور كون الإيمان مؤدياً إليها وإن أريد إحداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار أمرهم إلى الإيمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين أي الصائرين إلى التقوى وإلا فالإيمان لا يؤدي إلى الهداية نفسها أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا أو منصوب على المدح (وتطمئن قلوبهم) أي تستقر وتسكن (بذكر الله) بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون ويعلمون أن لا أعظم منه فيقدر حوها والعدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجده حسب تجديد الآيات وتعددتها (ألا بذكر الله) وحده (تطمئن القلوب) دون غيره من الأمور التي تميل إليها النفوس من الدنيا والآيات وهذا ظاهر وأما سائر المعجزات فالقصر من حيث إنها ليست في إفادة الطمأنينة بالنسبة إلى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فإنه معجزة باقية إلى يوم القيامة يشاهدها كل أحد وتطمئن به القلوب كافة وفيه إشعار بأن الكفرة ليست لهم قلوب وأفتدتهم هواه حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو أظهر الآيات وأبهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو بذكره جل وعلا أنسابه وتبذله إليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبياً رمز إليه أي قلوب الذين آمنوا وفيه إيحاء إلى أن الإنسان إنما هو القلب أو مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل أعنى قوله (طوبى لهم) أو خبر مبتدأ مضمرة أو نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كوقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لتسلم الياء والمعنى أصابوا خيراً ومحلماً بالنصب كسلاماً لك أو الرفع على الابتداء وإن كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى (وحسن ما أب) بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك (كذلك)



وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ اللَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ (٣١) الرعد

- مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة (أرسلناك في أمة قد خلت) أى مضت (من قبلها أمة) كثيرة قد أرسل إليهم رسل (النتلو) لتقرأ (عليهم الذى أوحينا إليك) من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم إلى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الإبهام ثم البيان كما فى قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يحصى من ترقب النفس إلى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها (وهم) أى والحال أنهم (يكفرون بالرحمن) بالبلغ الرحمة الذى وسعت كل شىء رحمته وأحاطت به نعمته والعدول إلى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث إن الإرسال ناشئ منها كما قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فلم يقدرُوا قدره ولم يشكروا نعمة لاسيما ما أنعم به عليهم بإرسال مثلك إليهم وإنزال القرآن الذى هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى مكة حين أسروا بالسجود فقالوا وما الرحمن (قل هو) أى الرحمن الذى كفرتم به وأنكرتم معرفته (ربى) الرب فى الأصل بمعنى الغريبة وهى تبليغ الشىء إلى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت أى خالق ومبلغى إلى مراتب الكمال وإيراده قبل قوله (لا إله إلا هو) أى لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل إن أبا جهل سمع النبى ﷺ يقول يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين فقال إن محمداً يدعو إلهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية (عليه توكلت) فى جميع أمورى لاسيما فى النصرة عليكم لا على أحد سواه (وإليه) خاصة (متاب) أى توبى كقوله تعالى واستغفر لذنبك أمر عليه السلام بذلك لإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة الأنبياء وبعثاً للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه والطفه فإنه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزّه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وإن قل فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصى مما لا بد منه أصلاً وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقل مرجمى ومرجعكم وزيد فيحكم بينى وبينكم وقد قيل فيثبني على مصابرتكم فتأمل (ولو أن قرآنًا) أى قرآنًا ما وهو اسم أن والخبر قوله تعالى (سيرت به الجبال) ٣١ وجواب لو محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من التالى والمقصود إما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأى الكفرة حيث لم يقدرُوا قدره العلى ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقرحوا غيره بما أوتى موسى وعيسى عليهما السلام وإما بيان غلوهم فى المكابرة والعناد وتماديهم فى الضلال والفساد فالمعنى على الأول لو أن قرآنًا سيرت به الجبال أى يائزاه أو بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه الصلاة والسلام (أو قطعت به الأرض) أى شققته وجعلت أنهاراً وعيوناً • كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه أو جعلت قطعاً متصدعة (أو كلم به الموتى) أى بعد أن

أحيى بقرائه عليها كما أحييت لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله لا في الإعجاز إذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والإنذار والتخويف باختصاصها بالعقلاء مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموتي واعتبار فيض العقول إليها غل بالمبالغة المقصودة وتقديم الجور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الإبهام ثم التفسير لزيادة التقرير لأن تقديم ما حقه التأخير تبقى النفس مستشرقة ومتربعة إلى المؤخر أنه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة أو في الموضوعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وإن كان متعلقاً بمجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنياً على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وأنه حقيق بأن يكون مصدر الكل خارق وإبانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل \* ما لا يخفى (بل لله الأمر جميعاً) أى له الأمر الذى عليه يدور فلك الأكوان وجرداً وعدماً يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد لما يدعوا إليه من الحكم البالغة وهو لإضراب عما تضمنه الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجهه ومؤداه أى لو أن قرآنأ فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لأن الأمر كله له وحده فالإضراب ليس بمتوجه إلى كون الأمر لله سبحانه بل إلى ما يؤدى إليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار \* (أفلم ييأس الذين آمنوا) أى أفلم يعلموا على لغة هوأزن أو قوم من النخع أو على استعمال اليأس في معنى العلم تضمنه له ويؤيده قراءة على وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أفلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر أى أغفلوا عن كون الأمر جميعاً لله تعالى فلم يعلموا (أن لو يشاء الله) \* على حذف ضمير الشأن وتخفيف أن (لهدى الناس جميعاً) بإظهار أمثال تلك الآثار العظيمة فالإنكار متوجه إلى المعطوفين جميعاً أو اعلوا كون الأمر جميعاً لله فلم يعلموا ما يوجه ذلك العلم بما ذكر فمؤوجه إلى ترتب المعطوف على المعطوف عليه أى تخلف العلم الثانى عن العلم الأول وعلى التقديرين فالإنكار إنكار الوقوع كما في قوله تعالى ألم بعدكم ربكم وعداً حسناً لا إنكار الواقع كما في قولك ألم تخف الله حتى عصيته ثم إن مناط الإنكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وأنه لم يشأها وذلك لأنهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحووا من الآيات ليتجمعوا على الإيمان وعلى الثانى لو أن قرآنأ فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أنزلنا إليهم الملائكة وكلهم الموقى الآية فالإضراب حينئذ متوجه إلى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح أى فليس لهم ذلك بل لله الأمر جميعاً إن شاء أتى بما اقترحووا وإن شاء لم يأت به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير أن يكون لأحد عليه تحكم أو اقتراح واليأس بمعنى القنوط أى ألم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من إيمانهم حتى أحبوا ظهور مقترحاتهم فالإنكار متوجه

وَلَقَدْ آسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ الرعد

إلى المعطوفين أو أعلو اذاك فلم يقنطوا من إيمانهم فهو متوجه إلى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه أى إلى تخلف القنوط عن العلم المذكور والإنكار على التقديرين إنكار الواقع كما فى قوله تعالى أفلا تتقون ونظائره لا إنكار الوقوع فإن عدم قنوطهم منه بما لا مرد له وقوله تعالى أن لو يشاء الله الخ متعلق بمحدوف أى أفلم يأسوا من إيمانهم علماء منهم أو عالين بأنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وأنه لم يشأ ذلك أو بآمنوا أى أفلم يقنط الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً على معنى أفلم يأس من إيمانهم المؤمنون بضمون الشرطية وبعد تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعى إنكار يأسهم وقيل أن أباجهلاً وأضربه قالو الرسول الله ﷺ إن كنت نبياً سير بقر أنك الجبال عن مكة حتى تنسح لنا ونتخذ فيها لبسانين والقطائع وقد سخرت لداود عليه السلام فاست بأهون على الله منه إن كنت نبياً كما زعمت أو سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها إلى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة أو أبعث لنا به رجلين أو ثلاثة من مات من آباءنا فزالت فعنى تقطيع الأرض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة حينئذ إلى الاعتذار فى إسناد الأفاعيل المذكورة إلى القرآن كما احتجج إليه فى الوجهين الأولين وعن الفراء أنه متعلق بمأقوله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير فى كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره (ولا يزال الذين كفروا) من أهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) أى بسبب ما صنعوه من الكفر والتماذى فيه وعدم بيانه إما للقصء إلى تهويله أو استهجانته وهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من عليه الصلة له مع ما فى صيغة الصنع من الإيذان برسوخهم فى ذلك (قارعة) دامية تفرعهم وتفلقمهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل والأسر والذهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مراراً من إرادة التفسير لإثر الإبهام لزيادة التقرير والإحكام مع ما فيه من بيان أن مدار الإصابة من جهتهم أثر ذى أثر (أو تحل) تلك القارعة (قريباً) أى مكاناً قريباً (من دارهم) فيفزعون منها ويتطأير إليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه إليهم فاستند إليها الإصابة تارة والحلول أخرى ففيه استعارة بالكناية وتخيل وترشيح (حتى يأتي وعد الله) أى موتهم أو القيامة فإن كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك من العذاب فى غاية الشدة وأن ما ذكر سابقه نعمة يسيرة بالنسبة إليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى (إن الله لا يخلف الميعاد) أى الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنها أراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله ﷺ يبعثها وكانوا بين إغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم فى ديارهم فالإصابة والحلول حينئذ من أحوالهم ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحل قريباً من دارهم خطاباً للرسول ﷺ مراداً به حلوله الحديدية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة (ولقد ٣٢ استهزى برسول) كثيرة خلعت (من قبلك فأمليت للذين كفروا) أى تركتهم ملاوة من الزمان فى أمن

أَفَنَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي  
الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ  
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

١٣ الرعد

ودعة كما بلى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله ﷺ عما تلقى من المشركين من التكذيب والافتراء  
على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى إن ذلك ليس مختصاً بك بل هو أمر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة  
كائنة من قبلك فأمات الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة إلى وصف الكفر ليس لأن المملى لهم غير المستهزئين  
بل لإرادة الجمع بين الوصفين أي فأمليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط (ثم أخذتهم  
فكيف كان عقاب) أي عقابي لإيأهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى  
٢٣ (أفمن هو قائم) أي رقيب مهمين (على كل نفس) كائنة من كانت (بما كسبت) من خير أو شر لا يخفى  
عليه شيء من ذلك بل يجازى كلا بعمله وهو الله تعالى والخبر محذوف أي كمن ليس كذلك إنكاراً لذلك  
وإدخال الفاء لتوجيه الإنكار إلى توهم المماثلة غيب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الإملاء المديد والأخذ  
الشديد ومن كون الأمر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعاً منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع  
على الكفرة إلى أن يأتي وعد الله كأنه قيل الأمر كذلك فن هذا شأنه كما ليس في عداد الأشياء حتى  
تشركو به فلا إنكار متوجه إلى ترتب المعطوف أعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر أعني كون  
الأمر كما ذكر كما في قولك أتعلم الحق فلا تعمل به لا إلى المعطوفين جميعاً كما إذا قلت ألا تعلمه فلا تعمل  
به وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء) جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر أو حاله أي أفمن هذه صفاته  
كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكاً واحداً أو معطوفة على الخبر إن قدر ما يصلح لذلك أي أفمن  
هذا شأنه لم يوحده وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمير للتنصيص على وحدانيته ذاتاً واسماً  
وللتنبية على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الإبهام بإيراده موصولاً للدلالة على  
التفخيم وقوله تعالى (قل سموم) تبسكت لهم لئلا تبسكت أي سموم من هم وماذا أسماؤهم أو صفوهم  
وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (أم تنبئونه) أي بل أنبئوني الله (بما لا يعلم  
في الأرض) أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات  
والأرض وقرىء بالتخفيف (أم بظاهر من القول) أي بل أنسموهم بشركاء بظاهر من القول من غير  
أن يكون له معنى وحقيقة كنسمة الزنجى كافوراً كقوله تعالى ذلك قولهم بأفراهم وهانئك الأساليب  
البدعية التي ورد عليها الآية الكريمة منادية على أنها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر  
فتبارك الله رب العالمين (بل زين للذين كفروا) وضع الموصول موضع المضمير ذماً لهم وتسجيلاً عليهم  
بالكفر (مكرهم) تمويههم الأباطيل أو كيدهم للإسلام بشرهم (وصدوا عن سبيل الله) أي سبيل  
الحق من صده صدأ وقرىء بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليها وقرىء بفتحها أي صدوا الناس أو

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾  
 مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ  
 اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾  
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ أَنْ يَرْجِعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ يَكْفِرْ بَعْدَ ذَلِكَ  
 مِنْهُمْ فَعِلَاؤُهُمْ فِي النَّارِ مُبْرَأٌ مِنَ اللَّهِ ﴿٣٦﴾

من صد صدوداً (ومن يضل الله) أى يخلق فيه الضلال بسوء اختياره أو يخذله (فما له من هاد) بوفقه \*  
 للهدى (لهم عذاب) شاق (فى الحياة الدنيا) بالقتل والانس وسائر ما يصيبهم من المصائب فإنما ٣٤  
 تصيبهم عقوبة على كفرهم (ولعذاب الآخرة أشق) من ذلك بالشدة والمدة (وما لهم من الله) من عذابه \*  
 المذكور (من واق) من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الأولى صلة الوقاية والثانية مزبدة للتأكيد (مثل ٣٥  
 الجنة) أى صفاتها العجيبة الشأن التى فى الغرابة كالمثل (التي وعد المتقون) عن الكفر والمعاصى وهو \*  
 مبتدأ خبره محذوف عند سيديوه أى فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى (تجرى من تحتها الأنهار) \*  
 تفسير لذلك المثل على أنه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد إلى الجنة أى وعداها وهو الخبر عند  
 غيره كقولك شأن زيد يأتية الناس ويعظمونه أو على حذف موصوف أى مثل الجنة جنة تجرى الخ  
 (أكلها) ثمرها (دائم) لا ينقطع (وظلها) أيضاً كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا (تلك) \*  
 الجنة المنعوتة بما ذكر (عقبي الذين اتقوا) الكفر والمعاصى أى ما لهم ومنتهى أمرهم (وعقبي الكافرين  
 النار) لا غير وفيه ما لا يخفى من إطماع المتقين وإقناط الكافرين (والذين آتيناكم الكتاب) هم المسلمون ٣٦  
 من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون  
 بنجران وثمانية باليمن واثنتان وثلاثون بالحبشة (يفرحون بما أنزل إليك) إذ هو الكتاب الموعود فى \*  
 التوراة والإنجيل (ومن الأحزاب) أى من أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ \*  
 بالعداوة نحو كعب بن الأشرف والسيد والعاقب اسقى نجران وأتباعهما (من ينكر بعضه) وهو الشرائع \*  
 الحادثة إنشاء أو نسخاً لما يوافق ما حرفوه وإلا لنعى عليهم من أول الأمر أن مدار ذلك إنما هو جنائيات  
 أيديهم وأما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وإن لم يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد بالموصول الأول عامتهم  
 فإنهم أيضاً يفرحون به لكونه مصداقاً لكتبهم فى الجملة لحيث يكون قوله تعالى ومن الأحزاب الخ تنمة  
 بمنزلة أن يقال ومنهم من ينكر بعضه (قل) إلزاماً لهم ورداً لإنكارهم (إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك  
 به) أى شيئاً من الأشياء أو لا أفعل الإشراك به والمزاد قصر الأمر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الأمر  
 مطلقاً على عبادته تعالى خاصة أى قل لهم إنما أمرت فيما أنزل إلى بعبادة الله وتوحيده وظاهر أن لا سبيل

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ  
وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

الرعد ١٣

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا  
بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾

الرعد ١٣

لكم إلى إنكاره لإطلاق جميع الأنبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة  
سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً فما لكم تشركون به عزير أو المسيح وقرىء ولا  
\* أشرك به بالرفع على الاستئناف أى وأننا لا أشرك به (إليه) إلى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد  
\* أو إلى ما أمرت به من التوحيد (أدعو) الناس لا إلى غيرة أو لا إلى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب الإلهية  
\* والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فواجه إنكاركم (وإليه) إلى الله تعالى وحده (مآب) مرجعى للجزاء  
وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصاً أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم  
بذلك إلزاماً وتسكيناً لهم ثم شرع في رد إنكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداءً أو بدلاً من الشرائع  
المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقل (وكذلك أنزلناه) أى ما أنزل إليك وذلك إشارة إلى مصدر أنزلناه  
٢٧ أو أنزل إليك ومحله النصب على المصدرية أى مثل ذلك الإزال البديع المنتظم لأصول مجمع عليها وفروع  
\* متشعبة إلى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه (حكماً) كما يحكم في القضايا  
والواقعات بالحق أو يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكم اتريية وجوب  
\* مراعاته وتحتم المحافظة عليه (عربياً) مترجماً بلسان العرب والتعرض لذلك للإشارة إلى أن ذلك إحدى  
مواد المخالفة للكتب السابقة مع أن ذلك مقتضى الحكمة إذ بذلك يسهل فهمه وإدراك إعجازه والاقتصار  
على اشتغال الإزال على أصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيد قوله تعالى قل إنما أمرت أن أعبد الله  
الح باباه التعرض لاتباع أهوائهم وحديث المحو والإثبات وأن لكل أجل كتاب فإن المجمع عليه لا يتصور  
\* فيه الاستتباع والإلتباع (ولئن اتبعت أهواءهم) التى يدعونك إليها من تقرير الأمور المخالفة لما أنزل  
\* إليك من الحق كالصلاة إلى بيت المقدس بعد التحويل (بعد ما جاءك من العلم) العظيم الشأن الفائض  
\* من ذلك الحكم العربى أو العلم بمضمونه (مالك من الله) من جنبه العزيز والالتفات من التكلم إلى الغيبة  
وإيراد الاسم الجليل لزيادة المهابة قال الأزهري لا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً وحتى يكون خالقاً ورازقاً  
\* ومديراً (من ولى) بلى أمرك وينصرك على من يبغيك الغوائل (ولا واق) يقيلك من مصارع السوء وحيث  
لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقى من نكايته أدخل على المعطوف حرف النفي للتأكيد كقولك  
مالى دينار ولا درهم أو مالك من بأس الله من ناصر وواق لا تبعاك أهواءهم وأمثال هاتيك القوارع  
إنما هى لقطع أطماع الكفرة وتهيج المؤمنين على الثبات فى الدين واللام فى لئن موطنه ومالك ساد  
٢٨ مسد جوائى الشرط والقسم (ولقد أرسلنا رسلاً) كثيرة كائنة (من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية)

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإتباعا عليك ألبلغ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾

الرعد ١٣

الحِسَابُ ﴿٤١﴾

نساء وأولاداً كما جعلنا هالك وهو رد لما كانوا يعيونه ﷺ بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام الخ (وما كان لرسول) منهم أى ماصح وما استقام ولم يكن فى وسعه (أن يأتى آية) مما اقترح عليه وحكم بما التمس منه (إلا بإذن الله) ومشيئته المبينة على الحكم والمصالح التى عليها يدور أمر الكائنات لاسبابها مثل هذه الأمور العظام والانتفات لما قدمناه ولتحقيق مضمون الجملة بالإيماء إلى العلة (لكل أجل) أى لكل مدة ووقت من المدد والاقوات (كتاب) حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فإن الشرائع كلها لإصلاح أحوالهم فى المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك أنه يختلف حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف أحوال المرضى بحسب الاوقات (يمحو الله ما يشاء) أى ينسخ ما يشاء نسخته من الأحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ٣٩ (ويثبت) بدله ما فيه المصلحة أو يبقيه على حاله غير منسوخ أو يثبت ما شاء لإثباته مطلقاً أعم منهما ومن الإنشاء ابتداء أو يمحو من ديوان الحفظه الذين ديدنهم كتب كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت للباقي أو يمحو سيئات النائب ويثبت مكانها الحسنه أو يمحو قرناً ويثبت آخرين أو يمحو الفاسدات من العالم الجسمانى ويثبت الكائنات أو يمحو الرزق ويزيد فيه أو يمحو الأجل أو السعادة والشقاوة وبه قال ابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهم والقائلون به يتضرعون إلى الله تعالى أن يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي ﷺ والانسب تعميم كل من المحو والإثبات ليشمل الكل ويدخل فى ذلك مواد الإنكار دخولا أولياً وقرىء بالتشديد (وعنده أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما هو (وإما نرينك) أصله إن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ٤٠ ومن ثمة ألحقت النون بالفعل (بعض الذى نعدم) أى وعدناهم من إنزال العذاب عليهم والعدول إلى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو نعدم وعداً متجدداً حسبما تقتضيه الحكمة من إنذار غب إنذار وفى إيراد البعض رمز إلى إرادة بعض الموعود (أو نتوفينك) قبل ذلك (فإنما عليك البلاغ) أى تبليغ أحكام الرسالة بتامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذى هو من جهاتها (وعلىنا) لا عليك (الحساب) محاسبة أعمالهم السيئة والمواخذة بها أى كيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوى أو لم نركه فعلىنا ذلك وما عليك إلا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيك وتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه الصلاة والسلام بطولوع تبشيريه فقال (أولم يروا) استفهام إنكارى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنكروا نزول ٤١

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ

عُقِبِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾

١٣ الرعد

• ما وعدناهم أو أشكوا أو ألم ينظروا في ذلك ولم يروا (أنا نأتى الأرض) أى أرض الكفر (ننقصها من أطرافها) بأن نفتحها على المسلمين شيئاً فشيئاً ونلحقها بدار الإسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء ليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها فهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتى أو من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الإتيان المؤذن بالاستواء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة مالا يخفى كما في قوله عز وجل وقد منالنا ما علموا من عمل فجعلناه هباء منثوراً (والله يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للإسلام بالعزة والإقبال وعلى الكفر بالذلة والإدبار حسبما يشاهد من الخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة مالا يخفى وهى جملة اعتراضية جىء بها لتأكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى (لامعقب لحكمه) اعتراض فى اعتراض بيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كأنه قيل والله يحكم نافذاً حكمه كما تقول جاء زيد لاعمامة على رأسه أى حاسراً والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقضى غريمه بالاقتضاء والطلب (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم فى الآخرة بأفانين العذاب غب ما عذبهم بالقتل والأسر والإجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما سريع الانتقام (وقد مكر) الكفار (الذين) خلوا (من قبلهم) من قبل كفار مكة بأنبيائهم والمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله ﷺ بأنه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له فى الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله أعنى قوله تعالى (فله المكر) أى جنس المكر (جميعاً) لا وجود لمكرهم أصلاً إذ هو عبارة عن إيصال المكره إلى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وإنما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما يبينه قوله عز وجل (يعلم ما تكسب كل نفس) ومن قضيته خصمة أوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة إلى من مكروا بهم عين ولا أثر وأن المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصى التى من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون أو لله المكر الذى باشره جميعاً لألهم على معنى أن ذلك ليس مكرأ منهم بالأنبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (وسيعلم الكفار) حين يقضى بمقتضى علمه فيوفى كل نفس جزاء ما تكسبه (لمن عقبي الدار) أى العاقبة الحميدة من الفريقين وإن جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على إرادة الجنس والكافرون والكفر أى أهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الإعلام أى سيخبر



وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ  
الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

الرعد ١٣

- (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم ٤٣  
الشناء تهجيباً منها أو للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) فإنه قد أظهر على  
رسالي من الحجج القاطعة والبيّنات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر (ومن عنده علم الكتاب) \*  
أى علم القرآن وما عليه من النظم المعجز أو من هو من علماء أهل الكتاب الذين أسدوا لأنهم يشهدون  
بنته عليه الصلاة والسلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق أو من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه  
أى كفى به شاهداً بيننا بالذى يستحق العبادة فإنه قد شحن كتابه بالدعوة إلى عبادته وأيدى بأنواع التأييد  
وبالذى يختص بعلم ما فى اللوح من الأشياء الكائنة الثابتة التى من جملتها رسالتى وقرىء من عنده بالكسر  
وعلم الكتاب على الأول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول أو مبتدأ خبره الظرف وهو متمين على  
الثانى ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة  
الرعد أعطى من الأجر عشر حسنات بوزن كل صحاب مضى وكل صحاب يكون إلى يوم القيامة وبعث يوم  
القيامة من الموفين بعهده الله عز وجل والله أعلم بالصواب .

## ١٤ - سورة إبراهيم عليه السلام

(مكية وآياتها اثنان وخمسون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ  
الْحَمِيدِ ﴿١﴾

١٤ إبراهيم

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ١٤ إبراهيم

(سورة إبراهيم عليه السلام مكية إلا آيتي ٢٨ و ٢٩ فذنتان وآياتها اثنان وخمسون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى (كتاب) خبر له على تقدير كون الر مبتدأ أو لمبتدأ مضمرة على تقدير كونه خبراً لمبتدأ محذوف أو مسروداً على نمط التعديد ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى (أنزلناه إليك) صفة له وقوله تعالى (لتخرج الناس) متعلق بأنزلناه أي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البيانات الواضحة المفصلة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحققة وقرىء ليخرج الناس (من الظلمات) أي ليخرج به الناس من عقائد الكفر والضلال التي كلما ظلمات محضة وجهالات صرفة (إلى النور) إلى الحق الذي هو نور يمتدح لكن لا كيفما كان فإنك لا تهدي من أحببت بل (بإذن ربهم) أي بتيسيره وتوفيقه وللأنباء عن كون ذلك منوطاً بإقبالهم إلى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي إليه من أناب استعير له الإذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورد وأضيف إلى ضميرهم اسم الرب المفصح عن الترية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء إلى كمال المنوجه إليه وشمول الإذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الإنزال لإخراجهم جميعاً وعدم تحقق الإذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند إلى سوء اختيارهم غير محل بذلك والآباء متعلقة بتخرج أو بمضمرة وقع حالا من مفعوله أي ملتبسين بإذن ربهم وجعله حالا من فاعله ياباه إضافة الرب إليهم لا إليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وإيضاحه لغيره موصلاً إلى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط أخرى فقليل (إلى صراط العزيز الحميد) على وجه الإبدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وإخلال البذل والبيان بالاستعارة إنما هو في الحقيقة لافي الجواز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كأنه قيل إلى أي نور فقليل إلى صراط العزيز الحميد وإضافة الصراط إليه تعالى لأنه مقصده أو المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الأمن والعاقبة الحميدة (الله) بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجر يانه مجرى الأعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق ٢

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ

فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾

١٤ إبراهيم

- كالنجم في الثريا وقرىء بالرفع على هو الله أى العزيز الحميد الذى أضيف إليه الصراط الله ( الذى له )
- ملكا وملكاً ( مافى السموات ومافى الأرض ) أى ما وجد فيهما داخلا فيهما أو خارجا عنهما متمكناً فيهما
- كما مر فى آية الكرسى ففيه على القراءتين بيان لكمال نخامة شأن الصراط وإظهار لنختم سلوكه على الداس
- قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبراً مبناه الغفول عن هذه النسكته وقوله عز وجل
- ( وويل للكافرين ) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور بالويل وهو نقيض الوال
- وهو النجاة وأصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك ( من عذاب
- شديد ) متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين ياويله كقوله تعالى دعوا هنالك ثبوراً
- ( الذين يستحبون الحياة الدنيا ) أى يؤثرونها استفعال من المحبة فإن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب ٣
- من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره ( على الآخرة ) أى الحياة الآخرة الأبدية
- ( ويصدون ) الناس ( عن سبيل الله ) التى بين شأنها والاختصار على الإضافة إلى الاسم الجليل المنطوى
- على كل وصف جميل لروم الاختصار وهو من صده صدأ وقرىء يصدون من أصد المنقول من صد
- صدوداً إذا نكب وهو غير فصيح كأوقف فإن فى صده ووقفه لمندوحة عن تكلف النقل ( ويبغونها )
- أى يبغون لها تحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير أى يطلبون لها ( عوجاً ) أى زيغاً واعوجاجاً وهى
- أبعد شيء من ذلك أى يقولون لمن يريدون صده وإضلاله إنها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل
- موصول هذه الصلات الجر على أنه بدل من الكافرين أو صفة له فيعتبر كل وصف من أوصافهم بإزاء
- ما يناسبه من المعانى المعتمدة فى الصراط فالكفر المنهى عن الستر يازاد كونه نوراً واستحباب الحياة
- الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بإزاء كونه مأموناً
- وفيه من الدلالة على تمامهم فى الغنى مالا يخفى أو النصب على الذم أو الرفع على الابتداء والخبر قوله
- تعالى ( أولئك فى ضلال بعيد ) وعلى الأول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تأكيداً
- لما أشعر به بناء الحكم على الموصول أى أولئك الموصوفون بالقباح المذكورة من استحباب الحياة الدنيا
- على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهى منه بئزء فى ضلال عن طريق
- الحق بعيد بالغ فى ذلك غاية الغايات القاصية والبعء وإن كان من أحوال الضلال إلا أنه قد وصف به وصفه
- مجازاً للبالغة بكده وداهية دهياء ويجوز أن يكون المعنى فى ضلال ذى بعد أو فيه بعد فإن الضلال قد
- يضل عن الطريق مكاناً قريباً وقد يضل بعيداً وفى جعل الضلال محيطاً بهم إحاطة الظرف بما فيه مالا
- يخفى من المبالغة .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾

١٤ إبراهيم

٤ (وما أرسلنا) أى فى الأمم الحالية من قبلك كما سيذكر إجمالاً (من رسول إلا) ملتبساً (بلسان قومه) متكلماً بلغة من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم أولاً وقرىء بلسن وهو لغة فيه كرىش ورياش ولسن بضمين وضمّة وسكون كعمد وعمد (ليبين لهم) ما أمروا به فيلتقوا منه يسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة إلى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة فى شأن سيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل إليه حسب تعدد السنة الأمم أدعى إلى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق أيدي التحريف مع أن استقلال بعض من ذلك بالإعجاز دون غيره مثبته لفتح القادحين وانفاق الجميع فيه أمر قريب من الإلجاء وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن المستتبع لفوائد غنية عن البيان على أن الحاجة إلى الترجمة تنضاعف عند التعدد إذ لا بد لكل أمة من معرفة توافق الكل وتحاذيه حدو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو فى خصلة فذة وإنما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحداً أو متعدداً وفيه من التعذر ما يتأخى الامتناع ثم لما كان أشرف الأقوام وأولاهم بدعوته عليه الصلاة والسلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم أفضل اللغات نزل الكتاب المنين بلسان عربى مبين وانتشرت أحكامه فيما بين الأمم أجمعين وقيل الضمير فى قومه لمحمد ﷺ فإنه تعالى أنزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه الصلاة والسلام أو كل من نزل عليه من الأنبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويردده قوله تعالى ليبين لهم فإنه ضمير القوم وظاهر أن جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفى روجه إلى قوم كل نبي كأنه قيل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قوم محمد ﷺ ليبين الرسول لقومه الذين أرسل إليهم ما لا يخفى من التكلف (فيضل الله من يشاء) إضلاله أى يخلق فيه الضلال لمباشرة أسبابه المؤدية إليه أو يخذله ولا يلفظ به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الإطاف (ويهدى) بالتوفيق ومنح الإطاف (من يشاء) هدايته لما فيه من الإنابة والإقبال إلى الحق والاتفات بإسناد الفعلين إلى الاسم الجليل المنطوى على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناطق كل منهما والفاء فصيحة مثلما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب كأنه قيل فبينوه لهم فأضل الله منهم من شاء إضلاله لما لا يليق إلا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للإيذان بأن مسارعة كل رسول إلى ما أمر به وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سنته أمر محقق غنى عن الذكر والبيان والعدول إلى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجديد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الإضلال على الهداية إما لأنه إبقاء ما كان على ما كان والهداية إنشاء ما لم يكن أو المبالغة فى بيان أن لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وأن مدار الأمر إنما هو مشيئته تعالى بإيهام أن ترتب الضلالة على ذلك أسرع من

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

١٤ إبراهيم

- ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الإخراج من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى ( وهو العزب ) فلا يغالب في مشيئته ( الحكيم ) الذي لا يفعل شيئاً من الإضلال والهداية إلا لحكمة بالغة وفيه أن مافوض إلى الرسل إنما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق وأما الهداية والإرشاد إليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ( ولقد أرسلنا موسى ) شروع في تفصيل ما أوجله في قوله عز وجل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم الآية ( بآياتنا ) أي ملتبساً بها وهي معجزاته التي أظهرها لبني إسرائيل ( أن أخرج قومك ) بمعنى أي أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول أو بأن أخرج كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك فإن صيغ الأفعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك إخراج بني إسرائيل بعد مهلك فرعون ( من الظلمات ) من الكفر والجهالات التي أدتهم إلى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ( إلى النور ) إلى الإيمان بالله وتوحيده وسائر ما مروا به ( وذكرهم بأيام الله ) أي بنعمائه وبلائه كما ينبغي عنه قوله ذكر وانعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الأمم في الأيام الحالية حسب ما ينبغي عنه قوله تعالى ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم الآيات أو بأيامه المنظوية على ذلك كما يلوح به قوله تعالى إذ أنجاكم والالتفات من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإبذان بفخامة شأنها والإشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما تروهم بالإضافة إلى ضمير المنكلم أي عظمهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل أيام الله وقائمه التي وقعت على الأمم قبلهم وأيام العرب وقائمه وحروبها وملاحمها أي أنذرهم وقائمه التي دهمت الأمم الدارجة وورده ما تصدى له يتبع بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء بما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك ( إن في ذلك ) أي في التذكير بها أو في مجموع تلك النعماء والبلاء أو في أيامها ( الآيات ) عظيمة أو كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلوه وحكمته فهي على الأول عبارة عن الأيام سواء أريد بها أنفسهم أو ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطاً لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر وأما على الثاني وهو كونه إشارة إلى مجموع النعماء فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار إليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع أو كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد ( لكل صبار ) على بلائه ( شكور ) لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للإشعار بأن الصبر والشكر عنوان المؤمن أي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر أو الإيمان ويصير أمره إليهما لا لمن انصف بها بالفعل لأنه تعليل للأمر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدى إلى تلك المرتبة فإن من تذكر ما فاض أو نزل عليه أو على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لما فيه الشكر والصبر أو الإيمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لأنهم المنتفعون بها لا لأنها خافية

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ  
الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إبراهيم  
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١٥﴾ ١٤ إبراهيم

٦ عن غيرهم فإن النبيين حاصل بالنسبة إلى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر أعنى البلاء  
على متعلق الشكر أعنى النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر (وإذ قال موسى لقومه) شروع في بيان تصديه  
عليه الصلاة والسلام لما أمر به من التذكير للإخراج المذكور وإذ منصوب على المفعولية بمضم  
خو ط ب به النبي ﷺ وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره  
غير مرة أى اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لقومه (اذكروا نعمة الله عليكم) بدأ عليه الصلاة  
والسلام بالترغيب لأنه عند النفس أقبل وهى إليه أميل والظرف متعلق بنفس النعمة إن جعلت مصدرأ  
أو بمحذوف وقع حالا منها إن جعلت اسماً أى اذكروا الإنعامه عليكم أو اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذلك  
كلمة إذ فى قوله تعالى (إذ أنجاكم من آل فرعون) أى اذكروا الإنعامه عليكم وقت إنجائهم إياكم من آل فرعون  
أو اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت إنجائهم إياكم منهم أو بدل اشتغال من نعمة الله مراداً بها الإنعام  
أو العطية (يسومونكم) ييغونكم من سامه خسفاً إذا أولاه ظلاً وأصل السوم الذهاب فى طلب الشيء  
(سوء العذاب) السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيئ أو استعبادهم واستعمالهم فى  
الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على أنه مفعول ليسومونكم (ويدعون أبناءكم)  
المولودين وإنما عطفه على يسومونكم إخراجاً له عن مرتبة العذاب المعتاد وإنما فعلوا ذلك لأن فرعون  
رأى فى المنام أو قال له الكهنة أنه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا فى ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله  
شيئاً (ويستحيون نساءكم) أى يبقونهن فى الحياة مع الذل والصغار ولذلك عدم من جملة البلاء والجل أحوال  
من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين أو منها جميعاً لأن فيها ضمير كل منهما (وفى ذلكم) أى فيما ذكر من  
أفعالهم الفظيعة (بلاء من ربكم) أى ابتلاء منه لأن البلاء عين تلك الأفعال اللهم إلا أن تجعل فى تجريدية  
فتنسبته إلى الله تعالى إما من حيث الخلق أو الأقدار والتمكين (عظيم) لا يطاق ويجوز أن يكون المشار  
إليه الإنجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الأنسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى  
الأول يكون ذلك باعتبار المال الذى هو الإنجاء أو باعتبار أن بلاء المؤمن تربية له (وإذ تأذن ربكم)  
٧ من جملة مقال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه معطوف على نعمة الله أى اذكروا نعمة الله عليكم  
واذكروا حين تأذن ربكم أى آذن إيداناً بليغاً لا تبقى معه شائبة شبهة لما فى صيغة الفعل من معنى التكلف  
المحمول فى حقه سبحانه على غايته التى هى الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى إذ أنجاكم أى اذكروا  
نعمته تعالى فى هذين الوقتين فإن هذا التأذن أيضاً نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها خيرى الدنيا والآخرة  
وفى قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وإذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه الصلاة والسلام أولاً بنعماته تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَسْكُرُوا أَنفُسَكُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿١٠٨﴾  
 أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ  
 جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
 وَإِنَّا لَنَالِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٠٩﴾

- عليهم صريحاً وخمنه تذكير ما أصابهم قبل ذلك من الضراء ثم أمرهم ثانياً بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالربادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الأوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة إذ هي محبطة بذلك فإذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معين (لتن شكرتم) يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وإهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفاتنة للحرص وقابلتموه بالإيمان والطاعة (لأزيدنكم) نعمة إلى نعمة (ولتن كفرتم) ذلك وغصتموه (إن عذابى لشديد) فمضى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظاك بأكرم الأكرمين ويجوز أن يكون المذكور تعليلاً للجواب المحذوف أى لا عذبتمك واللام في الموضعين موطنه للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابى الشرط والقسم والجملة إما مفعول لتأذن لأنه ضرب من القول أو لقول مقدر بعده كأنه قيل وإذا تأذن ربكم فقال الخ (وقال موسى إن تكفروا) نعمه ٨ تعالى ولم تشكروها (أنتم) يا بني إسرائيل (ومن فى الأرض) من الخلائق (جميعاً فإن الله لغنى) عن شكركم وشكر غيركم (حميد) مستوجب الحمد بذاته لكثرة ما يوجب من أباديه وإن لم يحمده أحد أو محمود بحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان أدل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب إن أى إن تكفروا لم يرجع وبالله إلا عليكم فإن الله تعالى لغنى عن شكر الشاكرين وامله عليه الصلاة والسلام إنما قاله عند ما عين منهم دلائل العناد وغايل الإصرار على الكفر والفساد وتيقن أنه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب أو قاله غيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه وتحقيقاً لمضمونه وتحذيراً لهم من الكفران ثم شرع فى الترهيب بتذكير ما جرى على الأمم الخالية فقال (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم) ليتدبروا ما أصاب كل واحد من حزبى المؤمن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا إلى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله تعالى خطاباً للكفرة فى عهد النبى ﷺ فيختص تذكير موسى عليه الصلاة والسلام بما اختص ببني إسرائيل من السراء والضراء والأيام بالأيام الجارية عليهم فقط وفيه مالا يخفى من البعد وأيضاً لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين فى عهد النبى ﷺ بما أصاب أولئك المعدودين مع أن غيرهم أسوة لهم فى الخلو قبل هؤلاء (قوم نوح) بدل من الموصول أو عطف بيان (وعاد) معطوف على قوم نوح (وثمود والذين من بعدهم) أى من هؤلاء المذكورين عطف عام على قوم نوح وما عطف

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ  
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُم بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا  
بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٤﴾

١٤ إبراهيم

- عليه وقوله تعالى ( لا يعلمهم إلا الله ) اعتراض أو الموصول مبتدأ ولا يعلمهم إلى آخره خبره والجملة
- اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وعن ابن عباس رضى الله تعالى
- عنهما بن عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذا قرأ هذه الآية
- قال كذب النسابون يعنى أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله تعالى عنها عن العباد ( جاءتهم رسالهم )
- استئناف لبيان نبئهم ( بالبينات ) بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فيبين كل رسول لآمته طريق الحق
- وهداهم إليه ليخرجهم من الظلمات إلى النور ( فردوا أيديهم في أفواههم ) مشيرين بذلك إلى ألسنتهم وما
- يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبههم على تلقيهم والمحافظة عليها وإفناطهم عن التصديق
- والإيمان بإعلام أن لا جواب لهم سواه ( وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به ) أى على زعمكم وهى البينات
- التي أظهرها حجة على صحة رسالاتهم كقوله تعالى ولقد أرسلناه موسى بآياتنا و مرادهم بالكفر بها الكفر
- بدلائلها على صحة رسالاتهم أو فعضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الأنامل
- من الغيظ أو وضعوها عليها تعجباً منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك أو إسكاناً للأنبياء عليهم السلام
- وأمرأ لهم بإطباق الأفواه أو ردوها في أفواه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمنعوتهم من التكلم تحقيقاً
- أو تمثيلاً أو جعلوا أيدي الأنبياء في أفواههم تعجباً من عتوهم وعنادهم كما ينبي عنه تعجبهم بقوله أفى الله
- شك الخ وقيل الأيدي بمعنى الأيدي عبر بها عن مواضعهم ونصائحهم وشرائعهم التي هى مدار النعم
- الدينية والدنيوية لأنهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه ( وإنا فى شك ) عظيم
- ( بما تدعوننا إليه ) من الإيمان بالله والتوحيد فلا ينافى شكهم فى ذلك كفرهم القطعى بما أرسل به الرسل
- من البينات فإنهم كفروا بها قطعاً حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا
- بسُلطان مبین وقرئ تدعون بالإدغام ( مريب ) موقع فى الرية من أراه أوذى رية من أراه الرجل
- ١٠ وهى قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء ( قالت رسالهم ) استئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه
- قيل فإذا قالت لهم رسالهم فأجيب بأنهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالاتهم الحقاء ( أفى الله
- شك ) بإدخال الهمزة على الظرف للإيدان بأن مدار الإنكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد
- يتوهم فيه الشك أصلاً متقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا أنتم فى شك مريب من
- الله تعالى مبالغة فى تنزيهه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلاً عليهم بسخافة العقول أى فى شأنه
- سبحانه من وجوده ووحدته وجوب الإيمان به وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل
- جلى حتى تكونوا من قبله فى شك مريب وحيث كان مقصدهم الأقصى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد



قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

١٤ إبراهيم

وكان إظهار البينات وسيلة إلى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة إنا كفرة نأمرنا برسالتهم به واقتصروا على بيان ماهو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الإنكار بما يوجهه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا (فاطر السموات والأرض) أى مبدعها وما فيها من المصنوعات على نظام أتيق شاهد بتحقيق ما أتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل أو بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتقاده على الاستفهام وجعله مبتدأ على أن الظرف خبره يفضى إلى الفصل بين الموصوف والصفة بالأجنى أعنى المبتدأ والفاعل ليس بأجنى من رافعه وقد جوز ذلك أيضاً (يدعوكم) إلى الإيمان بإرساله إيانا لا أما ندعوكم إليه من تلقاء أنفسنا كما يوهمه قولكم ما تدعوننا إليه (ليغفر لكم) بسببه أو يدعوكم لأجل المغفرة كدعوتيه لياكل معي (من ذنوبكم) أى بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فإن الإسلام يحبه قبل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين وأعل ذلك لما أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الإيمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج من المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم (ويؤخركم إلى أجل مسمى) إلى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى أعماركم على تقدير الإيمان (قالوا) استئناف كما سبق (إن أتم) أى ما أتم (إلا بشر مثلنا) من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة (تريدون) صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى أبشر يهدونا أو كلام مستأنف أى تريدون بما تصدون له من الدعوة والإرشاد (أن تصدونا) بتخصيص العبادة بالله سبحانه (عما كان يعبد آباؤنا) أى عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجهه وإلا (فأتونا) أى وإن لم يكن الأمر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فأتونا (بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة أو على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبد به أباً عن جد ولقد كانوا آتوهم من الآيات الظاهرة والبيانات الباهرة ما تخرج لهم صم الجبال ولكنهم إنما يقولون ما يقولون من العظامم مكابرة وعناداً وإرادة قلن وراهم أن ذلك ليس من جنس ما ينطق عليه السلطان المبين (قالت لهم رسالهم) مجازاة معهم ١١ في أول مقالتهن وإنما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث أريد إلزامهم بخلاف ما سلف من إنكار وقوع الشك في الله سبحانه فإن ذلك عام وإن اختص بهم ما يعقبه (إن نحن إلا بشر مثلكم) كما تقولون (ولكن الله يمين) بالنبوة (على من يشاء من عباده) يعنون أن ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعاً وهضماً للنفس أو مانعاً من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة أو في الدخول تحت الجنس ولكن الله يمين بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من يشاء المن وما يشاء ذلك إلا لعله باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها تلك الاصطفاة للنبوة (وما كان) وما صح وما استقام (لأننا نأتيكم

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

١٤ إبراهيم

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾

١٤ إبراهيم

وَلَنُسَكِّنَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

١٤ إبراهيم

- سلطان) أي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الأشياء وسبب من الأسباب (إلا
- بإذن الله) فإنه أمر يتعلق بمشيئته تعالى إن شاء كان وإلا فلا (وعلى الله) وحده دون ما عداه مطلقاً
- (فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للتوكل والتوكل مقصودهم حل أنفسهم عليه أثر ذي أثر إلا يرى
- ١٢ إلى قوله عز وجل (ومالنا) أي أي عذر لنا (أن لا نتوكل على الله) أي في أن لا نتوكل عليه والإظهار
- لإظهار النشاط بالتوكل عليه والاستناد بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل (وقد هدانا) أي والحال أنه قد
- فعل بنا ما يوجه ويستدعيه حيث هدانا (سبلنا) أي أرشد كلا من سبيله ومنهاجه الذي شرعه وأوجب
- عليه سلوكه في الدين وحيث كانت أذية الكفار بما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على
- سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة (ولنصبرن على ما آذيتُمونا) بالعناد واقتراح الآيات وغير
- ذلك مما لا يخفى (وعلى الله) خاصة (فليتوكل المتوكلون) أي فليثبت المتوكلون على ما أحدثوه من التوكل
- والمراد هو المراد مما سبق من إيجاب التوكل على أنفسهم والمراد بالتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك
- ١٣ لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز أن يراد وعليه فليتوكل من توكل دون غيره (وقال الذين كفروا) لعل
- هؤلاء الظالمين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من أولئك الأمم الكافرة التي هانت مقالاتهم
- الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب وأضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا (لرسولهم لنخرجكم من أرضنا أو
- لتعودن في ملتنا) لم يقتنعوا بصيانتهم الرسل ومعاتبتهم الحق بعد ما رأوا اليأس الفاتية للحرص حتى
- اجتمعوا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الإمكان فلفقوا على أن يكون أحد المحالين
- والعود إما بمعنى مطلق الصيرورة أو باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقدم في الأعراف وسيأتي
- في الكهف (فأوحى إليهم) أي إلى الرسل (ربهم) مالك أمرهم عند تنامي كهر الكفرة وبلوغهم من
- العتو إلى غاية لا مطلق بعدها في إيمانهم (لنهلكن الظالمين) على إضمار القول أو على إجراء الإجماع مجراه
- ١٤ لكونه ضرباً منه (ولنسكننكم الأرض) أي أرضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجكم من أرضنا
- كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها (من بعدهم) أي من بعد
- إهلاكهم وقرى لهم لكن وليسكننكم بالياء اعتباراً لأوحى كقولهم حلف زيد لنخرجن غداً (ذلك)
- إشارة إلى الوحي به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر محقق ثابت (لن خلق

١٤ إبراهيم

وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾

١٤ إبراهيم

مَنْ وَرَّاهُ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾

يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَّاهُ عَذَابٌ

١٤ إبراهيم

غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

- مقاي) موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قياى عليه وحفظى لأعماله وقيل لفظ المقام مقحم (وخاف وعيد) وعيدى بالمذاب أو عذابى الموعود للكفار والمعنى
- ١٥ إن ذلك حق للمتقين كقوله والمافية للمتقين (واستفتحوا) أى استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى
- إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فإهم سألوا أن ينصر الحق ويهلك للبطل وهو معطوف على أوحى إليهم وقرىء بلفظ الأمر عطفاً على لنهلك الظالمين أى أوحى إليهم ربهم لنهلك (وخاب) أى خسر وهلك (كل جبار عنيد) متصف بضد ما اتصف به المتقون أى فصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وم قومهم للماندون فالحية بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب أو ذلك باعتبار أنهم كانوا يزعمون أنهم على الحق أو استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وإنما قيل وخاب كل جبار عنيد ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالتجبر والعناد لا أن بعضهم ليسوا كذلك وأنه لم يصيهم الحية أو استفتحوا جميعاً فصهر الرسل وأنجز لهم الوعد وخاب كل عات متعذر فالحية بمعنى الحرمان غيب الطلب وفي إسناده الحية إلى كل منهم مالا يخفى من المبالغة (من وراه جهنم) أى بين يديه فإنه مرصدها واقف على شفيرها
- ١٦ فى الدنيا مبعوث إليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ماتوا رى عنك (ويسقى) معطوف على مقدر جواباً عن سؤال كأنه قيل فاذا يكون إذن قليل يلقى فيها ويسقى (من ماء) مخصوص لا كالماء المهدود (صديد) وهو قيح أو دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من أجساد أهل النار وهو عطف بيان لما أبهم أولاً بين بالصديد تهويلاً لا أمره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه (يتجرعه) قيل هو صفة لاء أو حال منه والآخرى أنه استفتاف مبنى على السؤال كأنه قيل فاذا يفعل به قليل يتجرعه أى يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لقلية العطش واستيلاء الحرارة عليه (ولا يكاد يسيفه) أى لا يقارب أن يسيفه فضلاً عن الإساعة بل يغص به فيشر به بعد التيا والى جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش وأخرى بشره على تلك الحال فإن السواغ انحدر الشراب فى الحلق بسهولة وقبول نفس وقية لا يوجب نفى ما ذكر جميعاً وقيل لا يكاد يدخله فى جرعه وعبر عنه بالإساعة لما أنها المهدودة فى الأشربة وهو حال من فاعل يتجرعه أو من

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا  
عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١٤ إبراهيم

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ١٤ إبراهيم

- مفعوله أو منهما جميعاً (ويأتيه الموت) أى أسبابه من الشدائد (من كل مكان) ويحيط به من جميع الجهات
- أو من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله (وما هو بميت) أى والحال أنه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء أسبابه لاسيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من أصناف الموبقات (ومن ورائه) من بين يديه (عذاب غليظ) يستقبل كل وقت عذاباً أشد وأشق مما كان قبله فقيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الأنفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء أهل مكة في سنيهم التي أرسلها الله تعالى عليهم بدعوته عليه الصلاة والسلام وخيبتهم في ذلك وقدر عدلهم بدل ذلك صديد أهل النار (مثل الذين كفروا بربههم)
- ١٨ أى صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (أعمالهم كرماد) كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب وهو استتشاف مبنى على سؤال من قال ما بال أعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وفداء الأسارى وإغاثة المأهولين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل أمرهم إلى هذا المآل فأجيب بأن ذلك كرماد (اشتدت به
- الريح) حملته وأسرعت الذهاب به (في يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وإنما السكور لريحها شبت صنائعهم المعدودة لا بتنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به والتوجه بها إليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة أو استتشاف مسوق لبيان أعمالهم للأصنام أو مبتدأ خبره محذوف كما هو رأى سيدي به أى فيما يتلى عليك مثلهم وقوله أعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كيت وكيت سواء أريد بها صنائعهم أو أعمالهم لأنصانهم
- وقيل أعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره (لا يقدرُونَ) أى يوم القيامة (مما كسبوا) من تلك الأعمال (على شيء) ما أى لا يرون له أثر أبى أو تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذائكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الأثر لا أعمالهم للأصنام مع أن لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان
- اعتقادهم وزعمهم أنها شفعا لهم عند الله تعالى وفيه تمكيمهم (ذلك) أى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حساباتهم أنهم على شيء (هو الضلال البعيد) عن طريق الصواب أو عن نيل الثواب .
- ١٩ (ألم تر) خطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته وقيل لكل أحد من الكفرة لقوله تعالى يذْهِبْكُمْ والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى (أن الله خلق السموات والأرض) ساد مسد مفعولها أى ألم تعلم أنه تعالى خلقهما (بالحق) ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذى يحق أن تخلق عليه وقرىء خالق السموات والأرض (إن يشأ يذْهِبْكُمْ) يعدمكم بالمرة (ويأت بخلق جديد) أى يخلق بخلقكم خلقاً مستأنفاً لا علاقة

١٤ إبراهيم

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ  
عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ

١٤ إبراهيم

مُجِيبٍ ﴿٢١﴾

- بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والأرض على هذا النظم البديع  
إرشاداً إلى طريق الاستدلال فإن من قدر على خلق مثل هاتيك الأجرام العظيمة كان على تبديل خلق  
آخر بهم أقدر ولذلك قال (وما ذلك) أى إذهابكم والإتيان بخلق جديد مكانكم (على الله بعزير) ٢٠  
أو متعسر فإنه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق  
بأن يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه (وبرزوا لله جميعاً) أى يبرزون يوم القيامة وإثبات صيغة الماضي ٢١  
للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أو لأنه لا مضى ولا استقبال  
بالنسبة إليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لا أمر الله تعالى ومحاسبته أو لله على ظنهم فإنهم كانوا  
يظنون عند ارتكابهم الفواحش سراً أنها تخفى على الله سبحانه فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند  
أنفسهم (فقال الضعفاء) الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأى وإنما كتب بالواو على لفظ من يفهم  
الآلف قبل الهمزة (الذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واء تغوهم (إنا كنا) في الدنيا (لكم)  
تبعاً في تكذيب الرسل عليهم السلام والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب  
أو مصدر نعت به مبالغة أو على إضمار أى ذوى تبع (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا) والغناء الدلالة على  
سببية الإتيان للإغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتفريع والتبكيك (من عذاب الله من شيء) من الأولى  
للبیان واقعة موقع الحال والثانية للتبويض واقعة موقع المفعول أى بعض الشيء الذى هو عذاب الله تعالى  
ويجوز كونهما للتبويض أى بعض شيء هو بعض عذاب الله والإعراب كما سبق ويجوز أن تكون الأولى  
مفعولاً والثانية مصدر أى فهل أنتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الإغناء ويعضد الأول قوله تعالى  
فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار (قالوا) أى المستكبرون جواباً عن معاتبة الاتباع واعتذار أعما فعلوا  
بهم (لو هدانا الله) أى للإيمان ووقفنا له (لهدينكم) ولكن ضللاً فأضللناكم أى اخترنا لكم ما اخترناه  
لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهدينكم وأغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا  
طريق الخلاص ولات حين مناص (سواء علينا أجزعنا) بما لقينا (أم صبرنا) على ذلك أى مستوعبنا  
الجزع والصبر في عدم الإنجاء والهمزة وأم لتأكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم  
لم تنذرهم وإنما أسندوها ونسبوا استواءهما إلى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين أيضاً مبالغة في النهي عن

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ  
مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ  
بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ١٤ إبراهيم

النويخ بإعلام أنهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز أن يكون قوله سواء علينا الخ من كلام  
الفریقین علی منوال قوله تعالى ذلك ليعلم أني لم أخنه ويؤيده ما روى أنهم يقولون تعالوا انزع فيجزعون  
خمسائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فمعد ذلك يقولون ذلك ولما  
كان عتاب الأنبياء من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك فقالوا (مالنا من محيص) من منجى  
ومهرب من العذاب من حاص الحار إذا عدل بالفرار وهو إما اسم مكان كالمبيت والمصيف أو مصدر  
كالغيب والغيب وهي جملة مفسرة لإجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب أو حال مؤكدة أو  
٢٢ بدل منه (وقال الشيطان) الذي أضل كلا الفريقين واستتبهم ما عند ما عتبه بما قاله الاتباع للمستكبرين  
(لما قضى الأمر) أي أحكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيباً  
في محفل الأشقياء من الثقلين (إن الله وعدهم وعد الحق) أي وعداً من حقه أن ينجز فأجزه أو  
وعداً أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) أي وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا جزاء وتين  
كان قالاً صنم شفاؤكم ولم يصرح بطلانه لما دل عليه قوله (فأخلفتكم) أي موعدى على حذف للفعل  
الثاني أي نقضته جعل خلاف وعده كالإخلاف منه كأنه كان قادراً على إنجازه وأنه له ذلك (وما كان  
لي عليكم من سلطان) أي تسلط أو حجة تدل على صدقي (إلا أن دعوتكم) إلا دعائي لإياكم إليه  
وتسويله وهو وإن لم يكن من باب السلطان لكنه أبرزه في مبروزه على طريقة التحية بينهم ضرب  
وجيع بالغة في نفي السلطان عن نفسه كأنه قال إنما يكون لي عليكم سلطان إذا كان مجرد الدعاء من يابه  
ويجوز كون الاستثناء منقطعاً (فاستجبت لي) فأسرعت إجابتي (فلا تلموني) بوعدى إياكم حيث لم يكن  
ذلك على طريقة القسر والإلجاء كأي دل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى إذا  
كنتم في الفلك وجرى من بهم (ولولوا أنفسكم) حيث استجبت لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا  
دليل مجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم إذ دعاكم دعوة الحق للقرونة بالبينات والحجج وليس  
مراده التصل عن توجه الائمة إليه بالمرّة بل بيان أنهم أحق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد  
في أفعاله كازعمت للمتزلة بل يكنى في ذلك أن يكون لقدرته الكأبة التي عليها يدور تلك التكليف مدخل  
فيه فإنه سبحانه إنما يخلق أفعاله حسبما يختار مو عليه تترب السعادة والشقاوة وما قيل من أنه يستدعي أن  
يقال فلا تلموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب  
أهل الحق وبين مسلك الجبرية (ما أنا بمصرخكم) أي بمفخيمكم بما أنتم فيه من العذاب (وما أنتم بمصرخي)  
عما أنا فيه وإما تعرضه لك مع أنه لم يكن في جزأ احتمال المبالغة في بيان عدم إصراره إياهم وإذناً بأنه

وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ  
يُحِبَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

١٤ إبراهيم

الرَّكَيفُ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ ١٤ إبراهيم

- أيضاً مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج إلى الإصرار فكيف من إصرار الخير ولذلك آثار الجملة الاسمية فكان ماضى كان جواباً منه عن توبيخهم وتوبيخهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستغاثتهم به في استدفاع مادمهم من العذاب وقرىء بكسر الياء (إني كفرت) اليوم (بما أشركتموني من قبل) أى يا أشرككم إياى بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم بنى أن إصراركم لي بالله سبحانه هو الذى يطمعكم في نصرتي لكم بأن كان لكم على حق حيث جعلتموني معبوداً وكنت أود ذلك وأرغب فيه فالיום كفرت بذلك ولم أحده ولم أقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة أو كفرت من قبل حين آيت السجود لأدم بالذى أشركتموني به وهو الله تعالى كافي قوله سبحانه ما سخر كن لنافى يكون لتعليل عدم إصرار الله بأن الكافر بالله سبحانه يعزل من الإغاة والإغاة سواء كان بالمداغة أو الشفاعة وأما جملة تعليل عدم إصرارهم إياه فلا وجه له إذ لا احتمال له حتى يحتاج إلى التعليل ولأن تعليل عدم إصرارهم بكفرهم يوم أنهم يسئبل من ذلك لولا اللانح من جهة (إن الظالمين لم عذاب أليم) تمتة كلامه أو ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية أمثال لطف السامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم (وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) أى بأمره أو بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإحاطة إلى ضميرهم إظهار مزيد اللطف بهم والدخول في الملازمة عليهم السلام وقرىء على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى بإذن ربهم متعلقاً بقوله تعالى (يُحِبَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) أى يحبهم الملازمة بالسلام بإذن ربهم (ألم تر) الخطاب الرسول ﷺ وقد علق بما بعده من قوله تعالى (كيف ضرب الله مثلاً) أى كيف اعتمده ووضع في موضعه اللائق به (كلمة طيبة) منصوب بمضمر أى جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد أو كل كلمة حسنة كالنسيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة (كشجرة طيبة) أى حكم بأنهم أمثالها لأنه تعالى صيرها مثلاً في الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلاً كقولك شرف الأمير زيداً كسأه حلقه وحله على فرس ويجوز أن يكون كلمة بدلاً من مثلاً وكشجرة صفحتها أو خير مبتدأ محذوف أى هي كشجرة قرآن يكون أول مفعولى ضرب لإجرائه مجرى جعل قد أخر عن ثانيهما أغنى مثلاً للتلايد عن صفته التي هي كشجرة موقد قرئت بالرفع على الابتداء (أصلها ثابت) أى ضارب بعروقه في الأرض وقرأ أنس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت أصلها وقرأة الجماعة أقوى سبكاً وأقرب بقرنته أغنى قوله تعالى (وفرعها) أى أعلاها (في السماء) في جهة العلو ويجوز أن يراد وفرعها على الاكفاله بالنظر الجنس عن الجمع .

تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ١٤ إبراهيم

وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ أَجْنُتَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ١٤ إبراهيم

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ

وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ١٤ إبراهيم

- ٢٥ (تؤتي أكلها) تعطى ثمرها (كل حين) وقته الله تعالى لإثمارها (بإذن ربها) بإرادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة إما النخلة كما روى مرفوعاً أو شجرة في الجنة (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) لأن في ضربها زيادة لفهام وتذكير فإنه تصوير للمعاني بصور المحسوسات (ومثل كلمة خيثة) هي كلمة الكفر والدعاء إليه أو تكذيب الحق أو ما يعم الكل أو كل كلمة فيسيحة (كشجرة خيثة) أي كمثل شجرة خيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الأسلوب للإيذان بأن ذلك غير مقصود بالضرب والبيان وإنما ذلك أمر ظاهر يعرفه كل أحد (اجتنت) استوصلت وأخذت • جنمها بالكلمة (من فوق الأرض) لكون عروقها قريبة منه (مالها من قرار) استقرار عليها
- ٢٦ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها العجيبة (في الحياة الدنيا) فلا يزالون عنه إذا افتقدوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم أصحاب الأخدود (وفي الآخرة) فلا يتلغثمون إذا ستلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم أهوال القيامة أو عند سؤال القبر. روى أنه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولون من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبي محمد عليه السلام فينادى مناد من السماء أنه صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا وهذا مثال إتياء الشجرة المذكورة أكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره أخبرني أبو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلاثمائة قال سمعت أبا الطيب محمد بن علي الحياطي يقول سمعت سهل بن عمار العملي يقول رأيت يزيد بن هرون في منامى بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فأخذت بلحيتي البيضاء فقلت لهما ألمثلنى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا (ويضل الله الظالمين) أى يخلق فيهما الضلال عن الحق الذى ثبت المؤمنين عليه حسب إرادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم إما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه وإما باعتبار ظلمهم لأنفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا إلى القول الثابت أو كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والإعراض عن البيّنات الواضحة فلا يتثبت في موقف الفتن ولا يهتدى إلى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون في الإيمان الراسخون في الإيقان كما ينبي عنه التثبيت الكنه يوم كون كلمة النوحيد إذا كانت لا عن إيقان داخلة تحت مالا قرار له من الشجرة المضروبة مثلاً (ويفعل



أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ١٤ إبراهيم

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ١٤ إبراهيم

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ ١٤ إبراهيم

الله ما يشاء) من تثبيت بعض وإضلال آخرين حسبما توجه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي إظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الإيذان بالتفاوت في مبدأ التثبيت والإضلال فإن مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلاوية ما هو مبدأ صدور الآخر (الم تر) تعجيب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد مما صنع الكفرة من الأباطيل التي لا تكاد تصدر عن له أدنى إدراك أي ألم تنظر (إلى الذين بدلوا نعمة الله) أي شكر نعمته تعالى بأن وضعوا موضعه (كفرًا) عظيمًا وغمطًا لها أو بدلوا نفس النعمة كفرًا فإنهم لما كفروا بها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرًا كما هل مكة حيث خلقهم الله سبحانه وأسكنهم حرمة الأمن الذي يجبي إليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد ﷺ فكفروا بذلك ففحطوا سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر فصاروا أذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلى رضى الله عنهما هم الأجران من قریش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر وأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين كأنهما يتأولان ما سبى من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية (وأحلوا) أي أنزلوا (قومهم) يار شادم إياهم إلى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الإحلال عليه إذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار (دار البوار) دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه (جهم) عطف بيان لها وفي ٢٩ الإيهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل (يصلونها) حال منها أو من قومهم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو استئناف لبيان كيفية الحلول أو مفسر لفعل يقدر ناصباً لجهنم فالمراد بالإحلال المذكور حينئذ تعرضهم للهلاك بالقتل والأسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار أنسب بالتفسير الأول (وبس القرار) على حذف المخصوص بالذم أي بس المقر جهنم أو بس القرار قرارهم فيها وفيه أن حلولهم وصلبهم على وجه الدوام والاستمرار (وجعلوا) عطف على أحلوا وما عطف عليه داخل معهم في ٣٠ حيز الصلة وحكم التعجيب أي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم (الله) الفرد الصمد الذي ليس كمثل شيء وهو الواحد المنهار (أنداداً) أشباها في التسمية أو في العبادة (ليضلوا) قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا (عن سبيله) القويم الذي هو التوحيد ويوقعونهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع أن مقتضى ظاهر النظم أن يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الأنداد ثم إضلالهم لقومهم المؤدى إلى إحلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره والإيذان بأن كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر وإحلال القوم دار البوار واتخاذ الأنداد للإضلال أمر يقضى منه العجب ولو سبق النظم على نسق الوجود لرسمناهم التعجيب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرى. ليضلوا بالفتح

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْتَلَى ﴿٢١﴾

١٤ إبراهيم

وأما ما كان فليس ذلك غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض  
 \* وأدخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية (قل) تهديداً لأولئك الضالين المضلين ونعياً عليهم وإبذناً  
 بأنهم لشدة إيمانهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارجعائهم عن ذلك بحال أحفاد بأن  
 يضرب عنهم صفحاً ويعطف عنهم عنان العظة ويحفظوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرة مبالغة  
 \* في التخلية والخذلان ومسارة إلى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم (تمتعوا) بما أتم عليه من الشهوات  
 \* التي من جهلها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الأصنام (فإن مصيركم إلى النار) ليس إلا  
 فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من أحوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال  
 له حسماً بلوح به قوله سبحانه وأحلوا قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للأمر بالمأور وفيه من التهديد  
 الشديد والوعيد الأكيد ما لا يوصف أو قل لهم تصور الحال لهم وتعبيراً عما يلجئهم إلى ذلك تمتعوا بإبذناً  
 بأنهم لفرط انهماكهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف بلوهم ولا عاطف ينشيم مأمورون بذلك من  
 قبل أمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لأمره كدأب مأمور ساع في خدمة أمر مطاع فليس قوله  
 تعالى فإن مصيركم إلى النار حينئذ تعليل للأمر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كأنه قيل هذه  
 ٢١ حالكم فإن دمت عليه فإن مصيركم إلى النار وفيه التهديد والوعيد لاني الأمر (قل لعبادى الذين آمنوا)  
 خصهم بالإضافة إليه تنوياً لهم وتنبيهاً على أنهم المقيمون لوظائف العبودية المرفون بحقوقها وترك  
 العاطف بين الأمرين الإيدان ببيان حالهما باعتبار المقول تهديداً وتوبيخاً والمقول ههنا محذوف دل  
 \* عليه الجواب أى قل لهم أقيموا وأنفقوا (بقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) أى يداوموا على ذلك  
 وفيه إيدان بكامل مطاوعتهم الرسول ﷺ وغاية سار عنهم إلى الامتثال بأوامره وقد جوزوا أن يكون  
 المقول بقيموا وينفقوا محذوف لام الأمر عنهما وإنما حسن ذلك دون الحذف في قوله [محمد فقد نفسك  
 كل نفس] إذا ما خلفت من أمر نبأ لا دلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا فدأبهما مقامهما  
 \* وليس بذلك (سراً وعلانية) منتصبان على المصدرية من الأمر المقدر لا من جواب الأمر المذكور أى  
 أنفقوا إنفاقاً سرّاً وعلانية والأحب في الاتفاق إخفاً لمنطوع به وإعلان الواجب والمراد حشاً منين  
 على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون إليها كما هو صليح  
 \* السكر (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) فيبتاع المقصر ما يتلافى به قصيره أو تقتدى به نفسه والمقصود  
 نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة في نفي العقد إذ انتفاء البيع المستلزم  
 \* انتفاء الفراء على أبلغ وجه وانتفاؤه بما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البائع (ولا خلال) ولا عالة  
 فيشفع له خليل أو يساعده بمال يقتدى به نفسه أو من قبل أن يأتى يوم لا أثر فيه لما لهوا بتعاطيه من البيع

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ  
وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٢٢﴾

١٤ إبراهيم

والخالة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق فيه بالإتفاق لوجه الله سبحانه والظاهر أن من متعلقة  
بأنفقوا وتذكير إتيان ذلك اليوم لنا كيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث إن كلاماً من فقدان الشفاعة  
وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والحلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع  
بهما من أقوى الدواعي إلى الإتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوائده من الإتفاق في سبيل الله عز وجل  
أو من حيث إن إدخار المال وترك إنفاقه إنما يقع غالباً للتجارات والمهاداة بحيث لا يمكن ذلك في الآخرة  
فلا وجه لادخاره إلى وقت الموت وتخصيص النأ كيد بذلك لميل الطباع إلى المال وكونها مجبولة على حبه  
والضنة به ولا يبعد أن يكون تأ كيد المضمون الأمر بإقامة الصلاة أيضاً من حيث إن تركها كثيراً ما يكون  
بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى وإذ أوانا تجارة أو هو أنفضوا إليها وقرىء بالفتح فيهما  
على إرادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع أو خلال  
(الله) مبتدأ خبره (الذي خلق السموات) وما فيها من الأجرام العلوية (والأرض) وما فيها من ٣٢  
أنواع المخلوقات لما ذكر أحوال الكافرين لنعم الله تعالى وأمر المؤمنين بإقامة مراسم الطاعة شكراً لنعمه  
شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الأنام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمن الجسام حثاً  
للمؤمنين عليها وتقريعاً للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم  
الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الأفعال العظيمة من خلق هذه الأجرام العظام وإنزال الأمطار  
وإخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة مالا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان  
(وأنزل من السماء) أي السحاب فإن كل ما علاك سماء أو من الفلك فإن المطر منه يبتدىء إلى السحاب  
ومنه إلى الأرض على ما دللت عليه ظواهر النصوص أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق  
الأرض إلى الجو فينعد سحاباً مطراً وأياً ما كان فمن ابتدائية (ماء) أي نوطاً منه هو المطر وتقديم  
الجرور على المنصوب إما باعتبار كونه مبدأ النزول أو لتشريفه كما في قولك أعطاه السلطان من خزانته  
مالا أو لما مر مراراً من التشويق إلى المؤخر (فأخرج به) بذلك الماء (من الثمرات) الفائتة للحصر إما  
لأن صيغ الجمع يتعاور بعضها موضع بعض وإما لأنه أريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك أدركت  
ثمرة بستان فلان (رزقاً لكم) تعيشون به وهو بمعنى الرزوق شامل للطعوم والملبوس مفعول لا يخرج  
ومن للتبيين كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولاً ورزقاً حالاً منه أو مصدراً  
من أخرج بمعنى رزق أو للتبويض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات ما كنا نعلم أن ينزل من السماء بعض  
الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر كل  
الثمار ولا جعل كل الرزق ثمراً وخروج الثمرات وإن كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى

١٤ إبراهيم

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

وَمَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ١٤ إبراهيم

بإضافة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب أو أودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على إيجاد الأشياء بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب كذلك لما أن له تعالى في إنشائها مدرجا من طور إلى طور صنائع وحكما يحدد فيها لأولى الأبصار عبراً وسكوناً إلى عظيم قدرته ليس ذلك في إبداءها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا إن أريد به المرزوق ومفعول به إن أريد به المصدر كأنه قيل رزقا لياكم (وسخر لكم الفلك) بأن أقدركم على صنعها واستعمالها بما ألهمكم كيفية ذلك (لتجرى في البحر) جرياً تابعاً لإردائكم (بأمره) بمشيئة التي نيط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على أن ذلك ليس بمزولة الأعمال واستعمال الآلات كما يترامى من ظاهر الحال (وسخر لكم الأنهار) إن أريد بها المياه العظيمة الجارية في الأنهار العظام كما يوسى إليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها ٣٣ زروعهم وجنانهم وما أشبه ذلك وإن أريد بها نفس الأنهار فتسخيرها تيسيرها لهم (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يدأبان في سيرهما وإنارتها أصالة وخلافة وإصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفاً لئلا يمتد معاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها ذكر سبحانه وتعالى أنواع النعم الفائضة عليهم وأبرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويراً لشأنها وتنبيهاً على رفعة مكانها وتنصيهاً على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والأنهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الإشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال مالا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الأمور المعدادة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الأرض المستدعى لذكر إزال الماء منها إليها الموجب لذكر إخراج الرزق الذي من جملة ما يحصل بواسطة الفلك والأنهار أو للتفادي عن توهم كون الكل أغنى خلق السموات ٣٤ والأرض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة (وأتاكم من كل ما سألتموه) أي أعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته النابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد المأجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أو أتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ونيط به انتظام أحوالكم على الوجه المقدر فكأنكم سألتموه أو كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد أو كل ما سألتموه على أن من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء وأتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم أبواب كل شيء وقيل الأصل وأتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه لحذف الثاني لدلالة ما أتى على ما أتى وقرى بتثنية كل على أن مانافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية أي أتاكم من كل غير سائله (وإن تعدوا نعمة الله)

التي أنعم بها عليكم (لا تحسوها) لا تطبقوا بحصرها ولو إجمالاً فإنها غير متناهية وأصل الإحصاء أن  
الحاسب إذا بلغ عقدًا معيناً من عقود الأعداد وضع حصاة ليحفظ بها فقيه إيدان بعدم بلوغ مرتبة  
معتد بها من مراتبها فضلاً عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من أفراد الناس وإن كان في أقصى مراتب  
الفقر والإفلاس ممنوا بأصناف العناية مبتلى بأنواع الرزايا فهو بحيث لو تأملته ألفيته متقلباً في نعم لا تحصى  
ومن لا تحصى ولا تعد كأنه قد أعطى كل ساعة وأن من النعماء ما حواه حيلة الإمكان وإن كنت في  
ريب من ذلك فقد ر أنه ملك ملك أقطار العالم ودانت له كافة الأمم وأذعنت لطاعته السراة وخضعت  
لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع مافي الدنيا من أصناف الأموال من غير ند  
بزاجه ولا شريك يساهمه بل قدر أن جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر أنه  
قد وقع من فقد مشروب أو مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع  
ماله من الملك والمال لقمة تنجيه عن رواء أو شربة ترويه من ظمأه أم يختار الهلاك فتذهب الأموال  
والأملاك بغير بدل يبقى عليه ولا تنفع يعود إليه كلابل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كأننا ما كان وليس  
في صفقته شائبة الخسران فإذا تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بألف مرتبة مع أنهما في طرف الثام  
يناهما متى شاء من الليالي والأيام أو قدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه  
ما ولج والحين قد حان وأتاه الموت من كل مكان أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو  
لرأيه حامد فإذا هو خير من أموال الدنيا بجمالتها ومطالبها برمتها مع أنه قد أبيع له كل آن من آتات  
الليالي والأيام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء وإن  
رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السرودق فاعلم أن الإنسان بمقتضى حقيقته  
الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللاتفة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع  
ما بينه وبين العناية الإلهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار إلا في مطمورة العدم  
والبوروم وماوى الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجنب الأقدس تعالى شأنه وتقدس في كل زمان  
يمضى وكل آن يمر وينقضى من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية  
والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه إلا العليم الخبير وتوضيحه أنه كالأستحقاق الوجود ابتداء  
لا يستحقه بقاء وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء مالم ينسد عليه  
جميع أنحاء عدمه الاصلى لا يتصور بقاءه على الوجود بعد تحققه بعلمته مالم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه  
الطارى لأن الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجب وأنت خبير بأن ما يتوقف عليه وجوده  
من الأمور الوجودية التي هي علله وشرائطه وإن وجب كونها متناهية لوجوب تنهاى ما دخل تحت  
الوجود لكن الأمور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك إذ لا استحالة في أن يكون لشيء  
واحد موانع غير متناهية وإنما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تنهاى  
أعنى بقاءها على العدم مع إمكان وجودها في أنفسها في كل آن من آتات وجوده نعم غير متناهية حقيقة

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿١٤﴾ إبراهيم

لا ادعاء وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كالاته التابعة لوجوده فانضح أنه يفيض عليه كل أن نعم لا تنهاى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بأنظارها ولا تطالعك العقول بأفكارها شأنك لا يضاهى وإحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي إقامة مراسم شكرك قاصرون نسألك الهداية إلى مناهج معرفتك والتوفيق لأداء حقوق نعمتك لانحصى ثناء عليك لا إله إلا أنت نستغفرك وتتوب إليك (إن الإنسان لظلوم) \* يظلم النعمة بإغفال شكرها أو بوضعها إياها في غير موضعها أو يظلم نفسه بتعريضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الإنسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجدا فيه من أفراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفراً الخ دخولاً أولاً (وإذ قال إبراهيم) أى واذا ذكر وقت قوله عليه الصلاة والسلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تأكيد ما سلف من تعجيبه عليه السلام ببيان فن آخر من جناباتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا أباهم إبراهيم عليه السلام حيث أسكنهم مكة شرفها الله تعالى لإقامة الصلاة والاجتناب عن عبادة الأصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى أن يجعله بلداً آمناً ويرزقهم من الثمرات وتهوى قلوب الناس إليهم من كل أوب سحيق فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله أنداداً وفعلوا ما فعلوا \* (رب اجعل هذا البلد) يعنى مكة شرفها الله سبحانه (آمناً) أى ذا أمن أو آمناً أهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلداً آمناً أن المسئول هناك البلدية والأمن معاً وهما الأمن فقط حيث جعل هو المفعول الثانى للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الأول فإن حل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سأل أولاً كلا الأمرين فاستجيب له فى أحدهما وتأخر الآخر إلى وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة الداعية إليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد فى الدعاء والابتهاال أو كان المسئول أولاً بمجرد الأمن المصحح للسكن كما فى سائر البلاد وقد أجيب إليه وثانياً الأمن المعمود أو كله هو المسئول فيهما وقد أجيب إليه أيضاً سكن السؤال الثانى الاستدامة والاقتصار على ذلك لأنه المقصود الاصلى أولاً لأن المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الأمن وإن حل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن المسئول كلا الأمرين وقد حكى أولاً واقتصر ههنا على حكاية سؤال الأمن لا بمجرد أن نعمة الأمن أدخل فى استيجاب الشكر فذكره أنسب بمقام تقرير الكفرة على إغفاله كما قبل بل لأن سؤال البلدية قد حكى بقوله تعالى فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم إذا المسئول هو تهوى إليهم للساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكى بعبارة أخرى وكان ذلك أول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة

رَبِّ إِنْهُمْ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ١٤ إبراهيم  
 رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ  
 أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ١٤ إبراهيم

والسلام لما أسكن لإسماعيل وهاجر هناك وعاد متوجهاً إلى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جواباً حتى قالت آله أمرك بهذا فقال نعم قالت إذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت الآية وإنما فصل ما بينهما  
 \* ثنية للامتنان وإيداناً بأن كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير كما في قصة البقرة ( واجنبي وبني )  
 \* بعدنى وإياهم ( أن نعبد الأصنام ) واجعلنا منها في جانب بعيد أى ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة  
 الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام وقرى واجنبي من الأفعال وهما لغة أهل نجد يقولون جنبى شره واجنبي شره وأما أهل الحجاز فيقولون جنبى شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر أن المراد ببنيه أولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضى الله عنه على أن أحداً من أولاد لإسماعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وإنما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمون الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه مافى القرآن العظيم من قوارع تنعى على قریش عبادة الأصنام على أن فيما ذكره كراً على مافر منه ( رب إني ) أى الأصنام ( أضللنا كثيراً من الناس ) أى تسبين له كقوله ٣٦  
 تعالى وغرهم الحياة الدنيا وهو تعليل لدعائه وإنما صدره بالنداء لإظهار الاعتناء به ورغبة في استجابته ( فن تبعني ) منهم فيما أَدْعُو إليه من التوحيد وملة الإسلام ( فإنه مني ) أى بعضى قاله عليه السلام مبالغة  
 \* في بيان اختصاصه به أو متصل بى لا ينفك عنى في أمر الدين ( ومن عصاني ) أى لم يقبضى والتعبير عنه  
 بالعصيان للإيذان بأنه عليه السلام مستمر على الدعوة وأن عدم اتباع من لم يتبعه إنما هو لعصيانه لا  
 لأنه لم يبلغه الدعوة ( فإنك غفور رحيم ) قادر على أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد توبته وفيه أن كل  
 \* ذنب فقه تعالى أن يغفره حتى الشرك خلا أن الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره ( ربنا ) آثر عليه السلام ٣٧  
 ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه وإلا لراعاه في قوله رب إني الخ بل لأن الدعاء المصدر  
 به وما أورده بصدد تمهيد مبادئ إجابته من قوله ( إني أسكنت ) الآية متعلق بذريته فالتعرض لوصف  
 ربوبيته تعالى لهم أدخل في القبول وإجابة المسئول ( من ذريتي ) أى بعضهم أو ذرية من ذريتي لحذف  
 المفعول وهو لإسماعيل عليه السلام وما سيولد له فإن إسماعيل كان حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن  
 لإسكانهم روى أن هاجر أم لإسماعيل عليه السلام كانت لسارة فوهبتها من إبراهيم عليه السلام فلما ولدت  
 له لإسماعيل عليه السلام غارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فآظمر الله  
 \* تعالى عين زمزم ( بواد غير ذي زرع ) لا يكون فيه زرع أصلاً وهو وادى مكة شرفها الله تعالى ( عند

بيتك ) ظرف لا سكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا أنه صفة لوادأو بدل منه إذ المقصود إظهار  
 كون ذلك الإسكان مع فقدان مبادئه بالمرّة لمحض التقرب إلى الله تعالى والالتجاء إلى جواره الكريم  
 \* كما يلي. عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره في قوله تعالى ( المحرم )  
 حيث حرم التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظماً بمنعاً يهابه الجبابة في كل عصر أو منع منه الطوفان  
 فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقاً وتسميته إذ ذاك بيتاً ولم يكن له بناء وإنما كان نشراً مثل الراية تأتيه  
 السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما يستول إليه الأمر من بنائه عليه السلام فإنه  
 ينزع إلى اعتبار عنوان الحرمة أيضاً كذلك بل إنما هي باعتبار ما كان من قبل فإن تعدد بناء الكعبة  
 المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله تعالى  
 \* ( ربنا ليقيموا الصلاة ) متوجّهين إليه متبركين به وهو متعلق بأسكنت وتخصيصها بالذكر من  
 بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لإظهار كمال العناية بإقامة الصلاة والاهتمام بعرض  
 أن الغرض من إسكانهم بذلك الوادي الباقع ذلك المقصد الأقصى والمطلب الأسنى وكل ذلك لتهميد  
 \* مبادئ إجابة دعائه وإعطاء مسئوله الذي لا يتسنى ذلك المرام إلا به ولذلك أدخل عليه الفاء فقال ( فاجعل  
 أفئدة من الناس ) أي أفئدة من أفئدتهم فمن للتبويض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم  
 فارس والروم وأما ما زيد عليه من قوهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام إذ المستول  
 توجيه القلوب إليهم للمساكنة معهم لا توجيهها إلى البيت للحج وإلا لقل تهوى إليه فإنه عين الدعاء  
 بالبلدية قد حكى بعبارة أخرى كما مر أو لا ابتداء الغاية كقولك القلب منى سقيم أي أفئدة ناس وقرى.  
 أفئدة على القلب كآدر في أدور أو على أنه اسم فاعل من أفدت الرحلة أي عجّلت أي جماعة من الناس  
 \* وأفئدة بطرح الهمزة من الأفئدة أو على النعت من أفد ( تهوى إليهم ) تسرع إليهم شوقاً ووداداً وقرى.  
 على البناء للفعول من أهواه غيره وتهوى من باب علم أي تحب وتعديته بإلى لتضمنه معنى الشوق والزعزوع  
 وأول آثار هذه الدعوة ما روى أنه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا  
 إن هذا الطائر لعائف على الماء فأشرّفوا فإذا هم بهاجر فقالوا لها إن شئت كنا معك وأنسناك والماء ماؤك  
 فأذنت لهم وكانوا معها إلى أن شب لإسماعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج إسماعيل منهم كما هو المشهور  
 \* ( وارزقهم ) أي ذريتي الذين أسكنتهم هناك أو مع من ينحاز إليهم من الناس وإنما يخص الدعاء بالمؤمنين  
 منهم كما في قوله وارزق أهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر إقامة الصلاة  
 \* ( من الثمرات ) من أنواعها بأن يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجي إليه من الأقطار الشاسعة  
 وقد حصل كلاهما حتى إنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد . روى عن ابن  
 عباس رضي الله عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها  
 الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري رضي الله عنه أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام  
 \* فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه السلام ( لعلمهم بمسكرونها ) تلك النعمة بإقامة الصلاة وأداء سائر  
 مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الأمر والمراد أمرهم بإقامة الصلاة والدعاء من الله تعالى



رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلُنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ ١٤ إبراهيم  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ ١٤ إبراهيم

بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الأدب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستئصال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فإنه عليه السلام يذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم إلى المستول وبذكر كون إسماعيل عنده البيت المحرم أشار إلى أن جوار الكريم يستوجب إفاضة النعيم وبعرض كون ذلك الإسكان مع كمال إعواز مرافق المعاش لمحض إقامة الصلاة وأداء حقوق البيت مهد جميع مبادئ إجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ٣٨ ما يقابل ما نعلن سواء تعلقه بالإخفاء أولا أي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فإن عليه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الأحوال الخفية فضلا عن إخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على أبلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى أقدم منه بما يعلن أو لأن مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو قبل ذلك خفي فتعلق عليه سبحانه بحالته الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية وقصده عليه السلام أن إظهار هذه الحاجات وما هو من مبادئها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل إنما هو لإظهار العبودية والتخضع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار إلى ما عندك والاستعجال لنيل أياديك وتكرير النداء للبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لأن المراد ليس مجرد علمه تعالى بسرّه وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) لما أنه العالم بالذات فما من أمر يدخل تحت الوجود دكاناً ما كان في زمان من الأزمان إلا ووجوده في ذاته علم بالنسبة إليه سبحانه وإنما قال وما يخفى على الله الخ دون أن يقول ويعلم ما في السموات والأرض تحقيقاً لما عناه بقوله تعلم ما نخفي من أن علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة إلى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة إلى علوم المخلوقات وكلية في متعلقة بمحدوف وقع صفة شيء أي من شيء كائن فيهما أعم من أنه يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما أو على وجه الجزئية منهما أو ببخفي وتقديم الأرض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد من المستدعين للتفاوت بالنسبة إلى علو منا والالتفات من الخطاب إلى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والإشعار بعلّة الحكم على نهج قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والإيدان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وأرد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن الاستغراق على الوجهين (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي مع كبري وبأسي ٣٩ عن الولد قباله به استعظماً للنعمة وإظهار الشكرها (إسماعيل وإسحق) روى أنه ولد له إسماعيل وهو •

١٤ إبراهيم

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾

١٤ إبراهيم

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ ١٤ إبراهيم

- ابن تسع وتسعين سنة وولده إسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة أو مائة وسبع عشرة سنة (إن ربى)
- ومالك أمرى (لسميع الدعاء) لجيبه من قولهم سمع الملك كلامه إذا اعتد به وهى من أبنية المبالغة العاملة
- عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله بإسناد السماع إلى دعاء الله تعالى مجازاً وهو مع كونه من تنمة
- الحمد والشكر إذ هو وصف له تعالى بأن ذلك الجليل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة
- المذكورة وفيه إيدان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لى من الصالحين
- فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وإن كان عقيب ذكر هبتهما لما أن نعمة الهبة
- فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم (رب اجعلنى مقيم الصلاة) مثابراً عليها معدلاً لها
- وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته أيضاً حيث قال (ومن ذريتي) أى بعضهم من المذكورين
- ومن يسير سيرتهما من أولادهما للإشعار بأنه المقتدى فى ذلك وذريته أتباع له وأن ذكرهم بطريق
- الاستطراد لا كما فى قوله ربنا إني أسكنت الخ فإن إساكنه مع عدم تحققه بلاملاسة لمن أسكنه إنما هو
- المذكور بطريق التمهيد للدعاء الذى هو مخصوص بذريته وإنما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من
- جهة الله تعالى أن بعضاً منهم لا يكون مقيم الصلاة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة
- مسلمة لك (ربنا وتقبل دعاء) أى دعائى هذا المتعلق بجعلى وجعل بعض ذريتى مقيمى الصلاة ثابتين على
- ذلك مجتنبين عن عبادة الأصنام ولذلك جىء بضمير الجماعة (ربنا اغفر لى) أى ما فرط منى من ترك
- الأولى فى باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر (ولو الذى) وقرىء بالتوحيد ولأبوى وهذا
- الاستغفار منه عليه السلام إنما كان قبل تبين الأمر له عليه السلام وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل
- بشرط الإسلام ويرده قوله تعالى إلا قول إبراهيم الآية وقد مر فى سورة التوبة نوع تحقيق البقاع
- وسياقى تماماً فى سورة مريم بفضل الله تعالى (وللمؤمنين) كافة من ذريته وغيرهم والإيدان باشتراك الكل
- فى الدعاء بالمغفرة جىء بضمير الجماعة (يوم يقوم الحساب) أى ثبت وية حقق محاسبة أعمال المكلفين على
- وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله
- وقيل أسند إليه قيام أهله مجازاً أو حذف المضاف كفى وأسأل القرية واعلم أن ما حكى عنه عليه السلام
- من الأدعية والأذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكى ولا على وجه المعية بل صدر عنه
- فى أزمنة متفرقة حكى مرتباً للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور أمره فى الملة وإرشاد الناس إليها
- والتضرع إلى الله تعالى لصالحهم الدينية والدنيوية (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) خطاب
- لرسول الله ﷺ والمراد تنبيته على ما كان عليه من عدم حسبانته عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من

١٤ إبراهيم

مُطِيعِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعِدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾

المشركين ونظارته مع مافيه من الإيذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى عنه من لا يمكن تعاطيه أو نهيه عليه السلام عن حسبانته تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للبالغة في النهي والإيذان بأن ذلك الحسبان بمنزلة حسبانته تعالى غافلا عن أعمالهم إذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجب من أعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله ﷺ ووعد له أكيد ووعد للكفر وسائر الظالمين شديد أو لكل أحد من يستعجل عذابهم أو يتوهم إهمالهم للجمل بصفاته تعالى والاغترار بأمهاله وقيل معناه لا تحسبته تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على أعمالهم ويجازيهم بذلك فقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين أهل مكة من عدت مساويهم من تبديل نعمة الله تعالى كفر أو إحلال قومهم دار البوار واتخاذ الأنداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنهى عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية أو جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا (إنما يؤخرهم) يعلمهم \* متمتعين بالخطوط الدنياوية ولا يعجل عقوبتهم حسبا يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق أي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانته تعالى غافلا عن أعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجب من العذاب الأليم إذ تأخيرها للتشديد والتغليظ أولا تحسبته تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها إنما ذلك لأجل هذا أولا تحسبته تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير إنما هو لهذه الحكمة وقرىء بالنون وإيقاع التأخير عليهم مع أن المؤخر إنما هو عذابهم لتحويل الخطب وتفضيع الحال ببيان أنهم متوجهون إلى العذاب مرصدون لأمر ما لا أنهم باقون باختيارهم والدلالة على أن حَقْم من العذاب هو الاستئصال بالمرّة وأن لا يبقى منهم في الوجود عين ولا أثر والإيذان بأن المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل إنما يؤخر عذابهم الخ لما فهم ذلك (ليوم) هائل (تشخص فيه \* الأَبْصار) ترتفع أبصار أهل الموقف فيدخل في زمرة الكفرة المعهودون دخولا أوليا أي تبقى مفتوحة لا تتحرك أجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في أماكنها إما باعتبار الارتفاع الحسى في جرم العين وإما بجعل الصيغة من شخص من بلد إلى بلد وسار في الارتفاع (مهاجرين) مسرعين ٤٣ إلى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع أو مقبلين بأبصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يظفرون هيبة وخوفا وحيث كان إدامة النظر ههنا بالنظر إلى الداعي قيل (مقنعي رؤوسهم) أي رافعيها مع إدامة النظر من غير التفات إلى شيء قاله العتيبي وابن عرفة أو ناكسيها ويقال أقع رأسه أي طأطأها ونكسها فهو من الأضداد وهما حالان مما دل عليه الأبصار من أصحابها أو الثاني حال متداخلة من الضمير في الأول وإضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية (لا يرتد إليهم طرفهم) أي لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم حسبا \* كان يرجع إليهم كل لحظة بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف أولا ترجع إليهم أجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون إسناد الرجوع إلى الطرف مجازيا أو هو نفس الجفن قال الفيروز آبادي الطرف العين لا يجمع لأنه مصدر في الأصل أو اسم جامع للعين أولا يرجع نظرم إلى أنفسهم فضلا عن أن يرجع إلى شيء آخر

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِيبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿١٤﴾

١٤ إبراهيم

فيقون مبهورين وهو أيضاً حال أو بدل من مقنعي الخ أو استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص  
الآبصار وتأخيرهم عن هو من تتمته من الإهطاع والإقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة  
لنزية هذا المعنى (وأفتدتهم هواء) خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كأنها نفس الهواء  
الحالي من كل شاغل ومنه قيل للجبان واللاحق قلبه هواء أى لا قوة ولا رأى فيه واعتبار خلوها عن  
كل خير لا يناسب المقام وهو إما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص أبصارهم وعدم ارتداد  
طرفهم بلا فهم ولا اختيار أو جملة مستقلة (وأندّر الناس) خطاب لرسول الله ﷺ بعد إعلامه أن  
تأخيرهم لماذا وأمره بإنذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر  
إتيان العذاب والعدول إليه من الإضمار للإشعار بأن المراد بالإنذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم  
شفقة عليهم لا التخويف للإزعاج والإيذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم أو الناس جميعاً فإن  
الإنذار عام للفريقين كقوله تعالى إنما تنذر من اتبع الذكر والإتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف  
وإن كان لحوقه بالكفار خاصة أى أنذرهم وخوفهم (يوم يأتهم العذاب) المعهود وهو اليوم الذى  
وصف بما لا يوصف من الأوصاف الهائلة أعنى يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات  
ولقاء الملائكة بلا بشرى أو يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وبأباه القصر السابق (فيقول الذين ظلموا)  
أى فيقولون والعدول عنه إلى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بأن ما لقوه من  
الشدة إنما هو لظلمهم وإثارة على صيغة الفاعل حسبما ذكر أولاً للإيذان بأن الظلم فى الجملة كافى فى  
الإفضاء إلى ما ذكر من الأحوال من غير حاجة إلى الاستمرار عليه كما ينبى عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير  
كون المراد بالناس من يعم المسلمين أيضاً فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار أو يقول كل من ظلم  
بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الأمم الخالية فإن إتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك  
وعدم باتباع الرسل (ربنا أخرنا) ردنا إلى الدنيا وأمهلنا (إلى أجل قريب) إلى أمد وحد من الزمان  
قريب (نحب دعوتك) أى الدعوة إليك وإلى توحيدك أو دعوتك لنا على السنة الرسل فقيه إيماء  
إلى أنهم صدقوا فى أنهم مرسلون من عند الله تعالى (وتتبع الرسل) فيما جاءوا به أى تتدارك ما فرطنا  
فيه من إجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع إما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم  
للمرسول ﷺ عصياناً لهم جميعاً وإما باعتبار أن المحكى كلام ظالمى الأمم جميعاً والمقصود بيان وعد  
كل أمة باتباع رسولها (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) على إضمار القول معطوفاً على فيقول أى فيقال  
لهم توبيحاً وتبكيثاً ألم تؤخروا فى الدنيا ولم تكونوا أقسمتم إذ ذاك بالسنتكم بطراً وأشرأ وجهلاً  
وسفهاً (مالك من زوال) عما أنتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية أو بالسنة الحال حيث بنيت مشيداً

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ

الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

١٤ إبراهيم

وألمن بعيداً ولم تحدثوا أنفسكم بالانتقال منها إلى هذه الحالة وفيه إشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه أو مالكم من زوال من هذه الدار إلى دار أخرى للجزاء كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في أقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو أدخل في التوبيخ من أن يقال مالنا مراعاة لحال المقسم ذكر البهيق عن محمد بن كعب القرظي أنه قال لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في أربع منها فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرِك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبّع الرسل فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم الآية ثم يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فإلّا للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبداً إن هو إلا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبس في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم اللهم إنا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (وسكنتم) من السكني بمعنى النبوء والإيطان وإنما استعمل بكلمة في ٤٥ حيث قيل (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) جرياً على الأصل لأنه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدي بها أو من السكون واللبث أي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم والكفر والمعاصي غير محدثين لأنفسكم بما لقوا بسبب ما اجتروا من الموبقات وفي إيقاع الظلم على أنفسهم بعد إطلاقه فيما سلف إيدان بأن غائلة الظلم آتلة إلى صاحبه والمراد بهم إما جميع من تقدم من الأمم المملوكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين وإما أوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومها لكل وهذا الخطاب وما يتلو به باعتبار حال أو آخرهم (وتبين لكم) بمشاهدة الآثار وتواتر الأخبار (كيف فعلنا بهم) من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلاً لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله مادلت هي عليه دلالة واضحة أي فعلنا العجيب بهم وفيه من المبالغة ما ليس في أن يقال ما فعلنا بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرى موين (وضربنا لكم الأمثال) أي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين أو على السنة الأنبياء عليهم السلام على تقدير عمومهم لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الأمور التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم وما لكم على ما لهم وتنتهوا من حلول

وَقَدْ مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ١٤ إبراهيم

العذاب العاجل إلى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي أو بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجلل الثلاث في موقع الحال من ضمير أقسمتم أى أقسمتم بالخلود والحال أنكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونهناكم على جليلة الحال بضرب الأمثال وقوله عز وجل (وقد مكروا مكرم) حال من الضمير الأول في فعلنا بهم أو من الثاني أو منهما جميعاً وإنما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الأمثال لشدة ارتباطه بما قبله أى فعلنا بهم ما فعلنا والحال أنهم قد مكروا في إبطال الحق وتقرير الباطل مكرم العظيم الذى استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد ببيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم أو قد مكروا مكرم المذكور في ترتيب مبادئ البقاء ومدافعة أسباب الزوال فالمقصود إظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى (وعند الله مكرم) أى جزاء مكرم الذى فعلوه على أن المكرم مضاف إلى فاعله أو أخذه تعالى بهم على أنه مضاف إلى مفعوله وتسميته مكراً لكونه بمقابلة مكرم وجوداً وذكرأ أو لكونه في صورة المكرم في الإتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما أفاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا أنه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا أى مكروا مكرم وعند الله جزاؤه أو ما هو أعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلاً مع تحقق ما يوجب تركه (وإن كان مكرم) في العظم والشدة (لتزول منه الجبال) أى وإن كان مكرم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعداً لإزالة الجبال عن مقارها لكونه مثلاً في ذلك والجملة المصدرة بأن الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرم أو المكرم الذى يحق بهم إن لم يكن مكرم لتزول منه الجبال وإن كان الخ وقد حذف ذلك حذفاً مطرداً لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فإن الشئ إذا تحقق عند وجود المانع القوى فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في إن الوصلية من التأكيد المعنوي والجوب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرم وقيل إن نافية واللام لتأكيد ما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وما كان مكرم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرم أى مكروا مكرم والحال أن مكرم لم يكن لتزول منه الجبال على أنها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على أبدى الرسل السالفة عليهم السلام التى هى بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ وأما كونها عبارة عن أمر النبي ﷺ وأمر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له إذ المالكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وإن خص الخطاب بالمنذرين وقيل هى مخففة من إن والمعنى إنه كان مكرم ليزول منه ما هو كالجبال في الثبات بما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كماهى حال من ضمير مكروا أى مكروا مكرم المعهود وإن الشأن كان مكرم لإزالة الآيات والشرائع على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعاً من مباشرة المكرم

١٤ إبراهيم

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾

لإزالة وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على أنها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجمله حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أى عنده تعالى جزاء مكرهم أو المكربهم والحال أن مكرهم بحيث يزول منه الجبال أى فى غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وإن كاد مكرهم هذا هو الذى يقتضيه النظم الكريم وينساق إليه الطبع السليم وقد قيل إن الضمير فى مكروا للذين والضمير والمراد بمكرهم ما أفاده قوله عز وجل وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وغيره من أنواع مكرهم برسول الله ﷺ ولعل الوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر أى فيقال لهم ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الإقسام المذكور مع ما ينافيه من السكون فى مساكن المهلكين وتبين أحوالهم وضرب الأمثال قد مكروا مكرهم العظيم أى لم يكن الصادر عنهم مجرد الإقسام الذى وبخوا به بل اجتروا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبنا ذكرنا من قبل وقوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال فى تحقيق الجزاء بين كون مكرهم قويا أو ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون إن نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن أمر النبي ﷺ أى وقد مكروا والحال أن مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التى هى فى القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من الثقلية واللام مكسورة يكون حالا منه أيضا على معنى أن ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك لما أن شأن الشرائع أعظم من أن يمكربها ما كر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليتأمل (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) لم يرد ٤٧ به والله سبحانه أعلم ما وعده بقوله تعالى إنا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لا غلبن أنا ورسلى كما قيل فإنه لا اختصاص له بالتعذيب لاسيما الآخرين بل ما سلف آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى إنما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهى الذى أريد به تثبيته عليه الصلاة والسلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بإنجاز وعده المذكور المقرون بالأمر بإنذارهم يوم إتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الأمم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم فى القرآن العظيم فكانه قيل وإذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقيه من الشدائد وبما يسألونه من الرد إلى الدنيا وبما أجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم فى أحوال من سبقهم من الأمم الذين أهلكتهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم بإهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخلافتنا رسلنا وعدنا (إن الله عزيز) غالب لا يماكر وقادر (ذو انتقام) لا ولياته من أعدائه والجمله \* تعليل للنهى المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بأن يقال إن الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما أشير إليه بالفعل وعبر عنه بالمكر .

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ١٤ إبراهيم

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ١٤ إبراهيم

٤٨ (يوم تبدل الأرض غير الأرض) ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهى المذكور أى ينجزه يوم الخ أو معطوف عليه نحو وار تقب يوم تبدل الأرض غير الأرض أو لا انتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له أحوال جملة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقيد به مع عموم انتقامه للأوقات كلها للإفصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر إلى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية إليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب أو نصب باذكر أو بإضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه أيضاً ما فى الوجه الثالث من الحاجة إلى الاعتذار ولا يجوز أن ينتصب بقوله مخلف وعده لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لأن قوله تعالى إن الله عز وجل ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالى بها فاصلاً واعلم أن التبدل قد يكون فى الذات كما فى بدلت الدراهم ودنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلوداً غيرها وقد يكون فى الصفات كما فى قولك بدلت الحلقة خاتماً إذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الأقوال والآية الكريمة ليست بنص فى أحد الوجهين فعن على رضى الله عنه تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضى الله عنه تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الأرض وإنما تغير صفاتها وأنشد [وما الناس بالناس الذين عهدتهم \* وما الدار بالدار التى كنت تعلم] وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمدد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً (والسموات) أى وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبدل الأرض لقربها منا ولكون تبدلها أعظم أثراً بالنسبة إلينا (وبرزوا) أى الخلائق أو الظالمون المدلول عليهم بمعونة السباق والمراد ببرزهم من أجداثهم التى فى بطون الأرض أو ظهورهم بأعمالهم التى كانوا يعملونها سرّاً ويزعمون أنها لا تظهر أو يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل إسناد البروز إليهم مع أنه لا عملهم للإبذان بتشكلم بأشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول إلى صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه أو حال من الأرض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو (لله الواحد القهار) للحساب والجزاء والتعرض الوصفين لتحويل الخطاب وتربية المهابة وإظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام فى ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفاً له وتحقيق إتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلاً من يوم يأتيهم العذاب فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب ٤٩ لا يعار وقادر لا يضار ولا يقار كان فى غاية ما يكون من الشدة والصعوبة (وترى المجرمين) عطف على برزوا والعدول إلى صيغة المضارع لا استحضر الصورة أو للدلالة على الاستمرار وأما البروز فهو دفعى



سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَغَشَّى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿١٠٥﴾

١٤ إبراهيم

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠٥﴾

١٤ إبراهيم

لا استمرار فيه وعلى تقدير حالة برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على حامل الظرف المقدم على تقدير كونه ينجزه (يومئذ) يوم إذ برزوا له عز وجل أو يوم لاذتبدل الأرض أو يوم إذ ينجز وعده (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائز أو قرنوا مع الشياطين الذين أغوهم أو قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائفة والملكات الردية والأعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والأشكال الهائلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم وهو حال من المجرمين (في الأصفاة) في الفيود أو الأغلال وهو إما متعلق بقوله تعالى مقرنين أو حال من ضميره أي مصفدين (سرايلهم) أي قصانهم (من قطران) جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين أو من ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير فقط كافي كلمته فوه إلى في أو مستأنفة والقطران ما يتحلب من الإبل فيطبخ قهناً به الإبل الجرب فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته إلى الجوف وهو أسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطل به جلود أهل النار حتى يعود طلاقه لهم كالسراويل ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب لذعه وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الموحش والذين على أن التفاوت بينه وبين ما شاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكان ما شاهده منهما أسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلاً لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهئات الوحشية فتجلب إليها الآلام والغوم بل وأن يكون القطران المذكور عين ما لا بسوه في هذه النشأة وجعلوه شعاراً لهم من العقائد الباطلة والأعمال السيئة المستجابة لفنون العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتعبة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرىء من قطران أي نحاس مذاب متناه حره (وتغشى وجوههم النار) أي تغلواها وتحيط بها النار التي تمس جسد الممر بل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومها لسائر أعضائهم لكونها أعز الأعضاء الظاهرة وأشرفها كقوله تعالى أفن يتقى بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها تجمع المشاعر والحواس التي خلقت لإدراك الحق وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدييره كما أن الفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملئوها بالجهاالات ولذلك قيل تطلع على الأفئدة أو لخلوها عن القطران المغنى عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب أحياناً ويتضاعف عذابهم بالخزي على رموس الاشهاد وقرىء تغشى أي تنغشى بخذف إحدى التامين وأجله نصب على الحالية لا على أن الواو حالية لأنه مضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله أبو البقاء (ليجزى الله) متعلق بمضمر أي يفعل بهم ذلك ليجزى (كل نفس) مجرمة (ما كسبت) من أوباع الكفر والمعاصي جزاء موافقاً لعملها وفيه إيذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله برزوا

هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ١٤ إبراهيم

على تقدير كونه معطوفاً على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به أى برزوا للحساب ليجزى الله كل نفس مطيعة أو عاصية ما كسبت من خير أو شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلاً على شهادة الحال لاسيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة (إن الله سريع الحساب) إذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه أو سريع المجيء يأتى عن قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وهو سريع الحساب (هذا) أى ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلاً إلى سريع الحساب (بلاغ) ٥٢ كفاية فى العظة والتذكير من غير حاجة إلى ما انطوى عليه السورة الكريمة أو كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع (للناس) للكفار خاصة على تقدير اختصاص الإنذار بهم فى قوله تعالى وأنذر الناس أولهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم أيضاً وإن كان ما شرح مختصاً بالظالمين (ولينذروا به) عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أى كفاية لهم فى أن ينصحوا وينذروا به وهذا بلاغ لهم ليفهموه و لينذروا به على أن البلاغ بمعنى الإبلاغ كما فى قوله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ أو متعلقة بمحذوف أى و لينذروا به أنزل أو تلى و قرئ لينذروا به من نذر بالشئ إذا علمه وحذره واستعدله (وليعلموا) بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التى هى إهلاك الأمم وإسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ولحق (أنما هو إله واحد) لا شريك له وتقديم الإنذار لأنه الداعى إلى التأمل المؤدى إلى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر فى قوله تعالى (ولينذكر أولو الأبواب) أى ليتذكروا ما كانوا يعملونه من قبل من التوحيد وغيره من شئون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فى تدعوا عما يردىهم من الصفات التى ينصف بها الكفار ويتدعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والأعمال الصالحة وفى تخصيص التذكر بأولى الأبواب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على أن المشار إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ماسبق للمؤمنين أيضاً فإن فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيد البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة أمراً حادثاً وبالنسبة إلى أولى الأبواب الثبات على ذلك حسبما أشير إليه عبر عن الأول بالعلم وعن الثانى بالتذكر وروعى ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه أعلم ختم الله لنا بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضاته فى الأولى والعقبى آمين . عن النبى ﷺ من قرأ سورة إبراهيم أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبد الله والحمد لله وحده .

١٥ - سورة الحجر  
( مكية وآياتها تسع وتسعون )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥ الحجر

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

١٥ الحجر

رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

( سورة الحجر مكية إلا آية ٨٧ فمدنية وآياتها تسع وتسعون )

( بسم الله الرحمن الرحيم ) ( الر ) قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وأخوانها ( تلك ) ١  
إشارة إليه أى تلك السورة العظيمة الشأن ( آيات الكتاب ) الكامل المعبود الغنى عن الوصف به المشهور \*  
بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الإطلاق أى بعض منه مترجم مستقل  
باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المنزل إذ ذاك إذ هو المتسارع إلى الفهم حينئذ عند  
الإطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما أضيفت إليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة  
عن السورة إذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف  
على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك إشارة إلى كل واحدة منها وفيه من التكليف ما لا يبغي  
كما ذكر في سورة الرعد ( وقرآن ) أى قرآن عظيم الشأن ( مبين ) مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام \*  
أو لسبيل الرشد والغنى أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد نغم شأنه العظيم مع ما جمع فيه  
من وصفي الكتابية والقرآنية على الطريقتين إحداهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الإلهية فكانه  
كلها والثانية طريقة كونه ممتازاً عن غيره نسيج وحده بديعاً في بابه خارجاً عن دائرة البيان وأخرت  
الطريقة الثانية لما أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كالات غيره من  
الكتب أدخل في المدح كيلاً يتوهم من أول الأمر أن امتيازه عن غيره لا استقلاله بأوصاف خاصة به من  
غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا أنه قدم فيها القرآن  
على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضاً من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين إلى  
حسن تلقى ما فيها من الأحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تنضمه من قبيل ( ربما ) بضم الراء وتخفيف الباء ٢  
المفتوحة وقرىء بالشديد وفتح الراء مخففاً وزيادة التاء مشدداً وفيه ثمان لغات فتح الراء وضمها مشدداً و  
مخففاً وزيادة التاء أيضاً مشدداً ومخففاً ورب حرف جر لا يدخل إلا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على  
الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى ( يود الذين كفروا ) لما أن المترقب في أخباره تعالى \*  
كلاما مضى المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ودال الذين كفروا والمراد كفروهم بالكتاب والقرآن وكونه

ذُرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾

من عند الله تعالى (لو كانوا مسلمين) منقادين لحكمه ومذعنين لأمره وفيه إيذان بأن كفرهم إنما كان بالجهود بعد ما علوا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة أو عند موتهم أو عند معاينة حالهم وحال المسلمين أو عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال النبي ﷺ إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعه من شاء تعالى من أهل القبلة قال لهم الكفار أستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا إلى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فبأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها حينئذ يولد الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع إليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الإسلام والحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم وأما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مقرررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وأن المراد ببيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وإنما جرى بصيغة التقليل جرياً على سنن العرب فيما يقصدون به الإفراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا نعدم عندي فارساً وعنده مقاب حجة من الكتاب وقصده في ذلك التمازي في تكثير فرسانه ولكنه يريد إظهار برأته من التزيد وإبراز أنه من يقلل لعلوا الهمة كثير ما عنده فضلاً عن تكثير القليل وهذه طريقة إنما تسلك إذا كان الأمر من الواضح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار إليه هضماً للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للإسلام في كل آن من آتات اليوم الآخر وأن ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على أحد ولو جرى بكلام يدل على ضده وعلى أن تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية أو ذهاباً إلى الإشعار بأن من شأن العاقل إذا عن له أمر يكون مظنون الحمد أو قليلاً ما يكون كذلك أن لا يفارقه ولا يقارف ضده فكيف إذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فإن المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بل لا يتيقن به أو قليل الوقوع بل التنبيه على أن العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم أو يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وأنه يكفي قليل الندم في كونه حاجزاً عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة إظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالعرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب عليهم أن لا يفارقه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا أوفق بمقام استنزاهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقتان متمايزتان ذاتاً ومقاماً فمن ظنهما واحداً فقد نأى عن توفية المقام حقه (ذرهم) دعمهم عن النهي عما هم عليه بالتذكيرة والنصيحة إذ لا سبيل إلى إراعاتهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعطى ما يتعاطونه (يأكلوا ويتمتعوا) بدنيهم وفي تقديم الأكل إيذان بأن تمتعهم إنما هو من قبيل تمتع البهائم بالمال كل

والمشارب والمراد دواهمهم على ذلك لإحداثة فإنهم كانوا كذلك أو تمتعهم بلا استماع ما ينقص عيشهم من القوارع والزواج فإن التمتع على ذلك الوجه أمر حادث يصلح أن يكون مترتباً على تخليتهم وشأنهم (ويلهمهم) ويشغلهم عن اتباعك أو عن التفكير فيما هم يصيرون إليه أو عن الإيمان والطاعة فإن الأكل والتمتع بفضيان إلى ذلك (الأمل) والتوقع أطول الأعمار وبلوغ الأوطار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة والمآل إلا خيراً فالأفعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للأمر حسبما عرفت من تضمن الأمر بالترك للأمر بها على طريقة المجاز أو على أن يكون المراد بالأفعال المرقومة مباشرة لها غافلين عن وخامة عاقبتهم غير سامعين لسوء مغبتها أصلاً ولا ريب في ترتب ذلك على الأمر بالترك فإن النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تنعمهم وينقص عليهم عيشهم فأمر عليه السلام بتركه ليتمتعوا فيما هم فيه من حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم أو وخامة عاقبته أو حقيقة الحال التي ألقاهاهم إلى التنبؤ المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه بعيداً أيما وعيد وتهديداً غلب تهديد تعليل للأمر بالترك فإن علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار إذ لا يتحقق الأمر بالصد إلا بعد تكرار الإنذار وتقرر الجحود والإنكار وكذلك ما ترتب عليه من الأكل والتمتع والإلهاء (وما أهلكنا) شروع في بيان سر تأخير عذابهم إلى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك الأمم الدارجة في تعجيل العذاب أي ما أهلكنا (من قرية) من القرى بالحسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها أو بإخلائها عن أهلها غلب إهلاكهم كما فعل بآخرين (إلا ولها) في ذلك الشأن (كتاب) أي أجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبدله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له (معلوم) لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فإنها لعمومها لا سيما بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة كما أشير إليه والمعنى ما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا حال أن يكون لها كتاب أي أجل موقت لمهلكها قد كتبناه لانهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر أو مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال أي ما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب أي أجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه أو صفة لكن للقرية المذكورة بل للقدرة التي هي بدل من المذكورة على الاختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة أي ما أهلكنا قرية من القرى إلا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن فإن قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لأنه إنما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد إلا أي ليس لهم طعام من شيء من الأشياء إلا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة إلا كما توهم وأما توسيط الواو بينهما

١٥ الحجر

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٥﴾

١٥ الحجر

وَقَالُوا يَنْتَهِهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾

وإن كان القياس عدمه فلا إبدان بكال الانصاف بينهما من حيث إن الواو شأنها الجمع والربط فإن ما نحن فيه من الصفة أقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون فإن امتناع انفكاك الإهلاك عن الأجل المقدر عقلي وعن الإنذار عادي جرى عليه السنة الإلهية ولما بين أن الأمم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم لم يكن إلا حسبما كان مكتوباً في اللوح بين أن كل أمة من الأمم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل (ما تسبق من أمة) من الأمم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب في كتابها أي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها أو لا تمضي أمة قبل مضي أجلها فإن السبق إذا كان واقعاً على زمان فمعناه المجاوزة والتخليف فإذا قلت سبق زيد عمرأ فمعناه أنه جاوزه وخلفه وراه وإذا كان واقعاً على زمان كان الأمر بالعكس والسر في ذلك أن الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه وأما الزمان فإنما يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم إلى المقصد وإيراده بعنوان الأجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما أن إيراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجب من الإهلاك (وما يستأخرون) أي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وإيثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الإهلاك بصيغة الماضي لأن المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الأمم الماضية والباقية وإسنادهما إلى الأمة بعد إسناد الإهلاك إلى القرية لما أن السبق والاستئثار حال الأمة دون القرية مع ما في الأمة من العموم لأهل تلك القرى وغيرهم ممن أخرت عقوباتهم إلى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم إما باعتبار تقدم السبق في الوجود وإما باعتبار أن المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وإيراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى أن تأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبما أشير إليه ببيان ودادتهم للإسلام إذ ذاك وبالأمم بتركهم وشأنهم إلى أن يعلموا حقيقة الحال إنما هو لتأخر أجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من إيمان بعض من يخرج منهم إلى يوم القيامة (وقالوا) شروع في بيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يثول إليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغى (بأيها الذي نزل عليه الذكر) خاطبوا به رسول الله ﷺ لاتسليم ذلك واعتقاد أنه بل استنزاه به عليه الصلاة والسلام وإشعاراً بعله حكمهم الباطل في قولهم (إنك لمجنون) كدأب فرعون إذ قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون يعنون يا من يدعى مثل هذا الأمر البديع الخارق للعادات إنك بسبب تلك الدعوى أو بشهادة ما يعتربك عند ما تدعى أنه ينزل عليك لمجنون

١٥ الحجر

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿٧﴾

١٥ الحجر

مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾

و تقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لأن إنكارهم متوجه إلى كون النازل ذكر أم من الله تعالى لا إلى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فإن الإنكار هناك متوجه إلى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وإبراد الفعل على صيغة المجهول لإيهام أن ذلك ليس بفعل له فاعل أو لتوجيه الإنكار إلى كون التنزيل عليه لا إلى استناده إلى الفاعل (لو ما تأتينا) كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيد عند تركبها مع لا من ٧ معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التخصيص خلا أنه عند إزادته لا يليها إلا فعل ظاهر أو مضمّر وعند إرادة المعنى الأول لا يليها إلا اسم ظاهر أو مقدر عند البصريين والمراد ههنا هو الثاني أي هلا تأتينا (بالملائكة) يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الإنذار كقوله تعالى لولا أنزل عليه ملك \* فيكون معه نذيراً أو يعاقبونا على التكذيب كما تأتي الأسماء المكذبة لرسلهم (إن كنت من الصادقين) \* في دعواك فإن قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك إليه في تمشية أمرك فإننا لا نصدقك بدون ذلك أو إن كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت أهمهم المكذبة لهم (ما نزل الملائكة) ٨ بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الإنزال وقرئ تنزل مضارعاً من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزيل بحذف إحدى التامين وماضياً منه ومن التنزيل ومن الثلاثي وهو كلام مسوق إلى النبي ﷺ جواباً لهم عن مقالاتهم المحكية ورداً لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن أولها أعني قوله إنا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال إنا يا نبيكم به الله فإنه مع كونه جواباً عن قولهم فأتينا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جواباً عن أول كلامهم الذي هو قولهم يأنوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون أحد الجوابين متصلاً بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو أن يقال ما تأتيناهم بهم للإبذان بأنهم قد أخطوا في التعبير حسبما أخطوا في الاقتراح وأن الملائكة لعلو رتبهم أعلى من أن ينسب إليهم مطلق الإتيان الشامل للانتقال من أحد الأماكن المتساوية إلى الآخر منها بل من الأسفل إلى الأعلى وأن يكون مقصود حركانهم أو تلك الكفرة وأن يدخلوا تحت ملكوت أحد من البشر وإنما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل (إلا بالحق) أي ملتبساً بالوجه الذي يحق ملايسة التنزيل به بما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لأجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلاتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلاً فإن ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الأنبياء الكرام من

أفراد كل المؤمنين فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللثام وإنما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأضربهم من الأمم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة (وما كانوا إذا منتظرين) جزاء الشرط مقدر وفيه إيذان بإنتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى وإذن لا يلبثون خلافك إلا قليلاً قال صاحب النظم لفظة إذن مركبة من إذ وهو اسم بمعنى الحين تقول أتيتك إذ جئتني أي حين جئتني ثم ضم إليه أن فصار إذن ثم استنقلوا الهمة فحذفوها فجىء لفظة أن دليل على إضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا إذ أن كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الأمم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبما أجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل الخ وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والإرادة بازديادهم عذاباً وبإيمان بعض ذراريهم وأما نظم إيمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجأهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه إعجاز التنزيل الجليل وأما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من أنهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار أو أنه لا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبساً أو أن إنزال الملائكة لا يكون إلا بالحق وحصول الفائدة بإنزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنه لو أنزل إليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير إنزالهم عبثاً باطلاً ولا يكون حقاً فع إخلال كل من ذلك بقطعية الباقي لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيد قوله تعالى وما كانوا إذا منتظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لإتيان الملائكة لأجل الشهادة أما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى إنا ما نزل الملائكة للتعذيب إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتماً بحيث لا يحيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبساً بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لارفاقاً بهم بل تشديداً عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب إلى عدم موافقته الحكمة نوع إيهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر إلى ما عاينه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منتظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر (إنا نحن نزلنا الذكر) رد لإنكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله ﷺ بذلك وتسليه له أي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا القول للفعول إيماء إلى أنه أمر لا مصدر له وفعل لا فاعل له (وإنا له لحافظون) من كل مالا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزائهم به دخولا أولاً فيكون وعيداً للمستهزئين وأما الحفظ عن مجرد التعريف والزيادة والنقص وأمثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ويجوز أن يراد حفظه بالإعجاز دليلاً على التنزيل من عنده تعالى إذ لو كان من عند



١٥ الحجر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾

١٥ الحجر

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

١٥ الحجر

كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾

- غير الله طرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سببك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى غفلة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم وقبل الضمير المحرور للرسول ﷺ كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وإن كان جواباً عن أول كلامهم الباطل ردأله لما ذكر آنفاً ولا ارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى (ولقد أرسلنا) أى رسلاً ١٠ وإنما لم يذكر دلالة ما بعده عليه (من قبلك) متعلق بأرسلنا أو بمحذوف هو نعت المفعول المحذوف أى رسلاً كائنة من قبلك (فى شيع الأولين) أى فرقهم وأحزابهم جمع شيعه وهى الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه إذا تبعه وإضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين أى شيع الأئمة الأولين ومعنى إرسالهم فيهم جعل كل منهم رسولاً فيما بين طائفة منهم ليتابعوه فى كل ما باتى ويذرم من أمور الدين (وما يأتىهم من رسول) المراد نبي إتيان كل رسول ١١ لشيعته الخاصة به لا نبي إتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعاً أو على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فإن ما لا تدخل فى الأغلب على مضارع إلا وهو فى معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال أى ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها (إلا كانوا به يستهزمون) كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة فى محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير المفعول فى يأتىهم إذا كان المراد بالإتيان حدوثه أو فى محل الرفع على أنها صفة رسول فإن محله الرفع على الفاعلية أى إلا رسول كانوا به يستهزمون وأما الجر على أنها صفة باعتبار لفظه فيفضى إلى زيادة من الاستغراقية فى الإثبات ويجوز أن يكون منصوباً على الوصفية بأن يقدر الموصوف منصوباً على الاستثناء وإن كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسليية لرسول الله ﷺ بأن هذه عادة الجمال مع الأنبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول مصحوباً بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل (كذلك) إشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء الوحى مقروناً ١٢ بالاستهزاء أى مثل ذلك السلك الذى سلكناه فى قلوب أولئك المستهزين برسالهم وبما جاءوا به من الكتب (نسلكه) أى الذكر (فى قلوب المجرمين) أى أهل مكة أو جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا أولاً ونحوه النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أو حال منه أى نسلكه سلكاً مثل ذلك السلك أو نسلك السلك حال كونه مثله أى مقروناً بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فإنهم من أهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدراً فى الوجود وهو السلك الواقع فى الأمام السالفة أو الدلالة على استحضار الصورة والسلك إدخال الشيء فى آخر يقال سلكت الخيط فى الإبرة

١٥ الحجر

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

١٥ الحجر

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

١٥ الحجر

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

١٥ الحجر

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾

١٥ الحجر

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَآنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾

- ١٣ والريح في المطعون (لا يؤمنون به) أى بالذكر حال من ضمير نسلكه أى غير مؤمن به أو بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين البيانية إلا أن يجعل الضمير الجرور أيضاً على أن الباء للبالسة أى نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملاسته والحال إما مقدرة أو مقارنة للإيدان بأن كفرهم مقارن للإلقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به (وقد خلت سنة الأولين) أى قد مضت طريقهم التي سنها الله تعالى في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب
- ١٤ والاستهزاء وهو استئناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحاً بالوعيد والتهديد (ولو فتحنا عليهم) أى على هؤلاء المقترحين المعاندين (باباً من السماء) أى باباً ما لا باباً من أبوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه (فظلوا فيه) في ذلك الباب (يعرجون) بالة أو بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عياناً كما يفيد الظلول أو فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عياناً مستوحشين طول نهارهم (لقالوا) لفرط عنادهم وغلوهم في المسكارة وتقاديبهم عن قبول الحق (إنما سكرت أبصارنا) أى سدت من الإحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت أى حارت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد ﷺ كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على أنهم يبتنون القول بذلك وأن ما يرونه لا حقيقة له وإنما هو أمر خيل إليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيرادها بعد تمكيد الأبصار لبيان إنكارهم لغير ما يرونه فإن عروج كل منهم إلى السماء وإن كان مرئياً لغيره فهو معلوم بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الإبصار فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تمكيد الأبصار
- ١٦ (ولقد جعلنا في السماء بروجاً) قصوراً أينزلها السيارات وهي البروج الإثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل إن جعل بمعنى الخلق والإبداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وإن جعل بمعنى التصوير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف أى جعلنا بروجاً كائنة في السماء (وزيناها) أى السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والكواكب
- ١٧ سيارات كانت أو ثوابت (لناظرين) إليها معنى التزيين ظاهر أول المتفكرين المعتبرين الاستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للأثار الحسنة (وحفظناها من كل

١٥ الحجر

إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾

١٥ الحجر

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾

١٥ الحجر

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾

- شيطان رجم) مرمى بالنجوم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس في أهلها ويتصرف فيها ويقف على أحوالها (إلا من استرق السمع) محله النصب على الاستثناء المتصل إن فسر الحفظ بمنع الشياطين عن ١٨ التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو المنقطع إن فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد النبي ﷺ منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرأ شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من الأوضاع (فاتبعه) أي تبعه ولحقه (شهاب) لهب محرق وهو شعلة نارية طاعة وقد يطلق على الكواكب والسنان لما فيها من البريق (مبين) ظاهر أمره للبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وإن النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله أو يخبله لئلا يعود إلى استراق السمع ثم يعود إلى مكانه قال أفرأيت قوله تعالى وأنا كنا نقعد منها مقاعد الآيات قال غلظت وشد أمرها حين بعث رسول الله ﷺ قال ابن قتبية إن الرجم كان قبل مبعثه ﷺ ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه ﷺ قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطيء أبداً فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولاً فيضل الناس في البوادي. قال القرطبي اختلفوا في أن الشهاب هل يقتل أم لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول أصح (والأرض مددناها) بسطانها وهو بالنصب على الحذف على شريطة ١٩ التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية أعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وإياها في ما بعده أعني قوله تعالى (والقينا فيها رواسي) أي جبالاتها وثابت وقد مر بيانه في أول الرعد (وأنبتنا فيها) أي في الأرض أو فيها وفي رواسيها (من كل شيء موزون) بميزان الحكمة ذاتاً وصفة ومقداراً وقيل ما يوزن من الذهب والفضة وغيرهما أو من كل شيء مستحسن مناسب أو ما يوزن ويقدر من أبواب النعمة (وجعلنا لكم فيها معاش) ما يعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة ٢٠ وقرئ بالهمزة تشبيهاً بالشئ (ومن لستم له برازقين) عطف على معاش أو على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معاش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والماليك والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسابهم أنهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق أن الله تعالى هو الذي يرزقهم وإياهم أو وجعلنا لكم فيها معاش ولمن لستم له برازقين.

١٥ الحجر

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ ١٥ الحجر

١٥ الحجر

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾

- ٢١ (وإن من شيء) إن للشيء من مزية لنا كيد و شيء في محل الرفع على الابتداء أى ما من شيء من الأشياء  
 \* الممكنة فيدخل فيه ما ذكر دخولا أولياً (إلا عندنا خزائنه) الظرف خبر للببتداء وخزائنه مرتفع به  
 على أنه فاعله لا عبادته أو خبر له والجملة خبر للببتداء الأول والخزان جمع الخزانة وهى ما يحفظ فيه نفائس  
 الأموال لا غير غلب فى العرف على ما للملوك والسلاطين من خزان أرزاق الناس شهت مقدوراته  
 تعالى الفاتنة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة فى كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول  
 أيديهم مع كمال افتقارهم إليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأنية لإيجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت  
 الإرادة بوجودها وجدت بلاتأخر بنفائس الأموال المخزونة فى الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على  
 \* طريقة الاستعارة التخيلية (وما ننزله) أى ما نوجد وما نكون شيئاً من تلك الأشياء ملتبساً بشيء من  
 \* الأشياء (إلا بقدر معلوم) أى إلا ملتبساً بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا  
 بما تقتضيه القدرة فإن ذلك غير متناه فإن تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون  
 ما عدا ذلك مع استواء الكل فى الإمكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضى اختصاص  
 كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الأشياء على وجه الكثرة حسبما هو فى خزائن  
 القدرة وهو إما عطف على مقدر أى ننزله وما ننزله الخ أحوال مما سبق أى عندنا خزائن كل شيء والحال  
 أنا ما ننزله إلا بقدر معلوم فالأول لبيان سعة القدرة والثانى لبيان بالغ الحكمة وحيث كان إنشاء ذلك  
 بطريق التفضل من العالم العلوى إلى العلم السفلى كما فى قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج  
 ٢٢ وكان ذلك بطريق التدرج عبر عنه بالنزول وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وأرسلنا الرياح)  
 عطى على جعلنا لكم فيها معابش وما بينها اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق أى أرسلنا الرياح  
 \* (لواحق) أى حوامل شبهت الريح التى تهب بالخير من إنشاء سحب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا  
 يكون كذلك أو ملافحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله [وتخبط بما تطيح  
 \* الطوائح] أى المملكات وقرى وأرسلنا الريح على إرادة الجنس (فأنزلنا من السماء) بعد ما أنشأ ما بتلك  
 \* الرياح سحباً ماطرأ (ماء فأسقيناكموه) أى جعلناه لكم سقياً وهو أبلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة  
 \* على جعل الماء معداً لهم ينتفعون به متى شاءوا (وما أنتم له بخازنين) نفي عنهم ما أنبتة لجنابه بقوله وإن من  
 شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قيل نحن القادرون على إيجاده وخزونه فى السحاب وإنزاله وما أنتم على ذلك  
 بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بعد ما أنزلناه فى الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها  
 ٢٣ سقياً لكم مع أن طبيعة الماء تقتضى الفور (وإننا لنحن نحيي) بإيجاد الحياة فى بعض الأجسام القابلة لها

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْرِبِينَ ﴿٢٤﴾

١٥ الحجر

وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

١٥ الحجر

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾

١٥ الحجر

- (ونميت) بإزالتها عنها وقد يعمم الإحياء والإماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو إما تأكيد للأول أو مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لأننا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لأن اللام مانعة من ذلك كما قيل فإن النجاة جوزوا دخول لام التأكيدي على ضمير الفصل كما في قوله تعالى إن هذا هو القصاص الحق بل لأنه لم يقع بين اسمين (ونحن الوارثون) أى الباقيون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون الملك عند انقضاء زمان الملك المجازى الحاكمون فى الكل أولاً وآخرأ وليس لهم إلا التصرف الصورى والمالك المجازى وفيه تنبيه على أن المتأخر ليس بوارث المتقدم كما يترأى من ظاهر الحال ( ولقد علمنا ٢٤ المستقدمين منكم ) من تقدم منكم ولادة وموتاً ( ولقد علمنا المستأخرين ) من تأخر ولادة وموتاً أو من خرج من أصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد أو من تقدم فى الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة ومن تأخر فى ذلك لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكامل عليه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل عليها دليل عليه وفى تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التأكيدي وقيل رغب رسول الله ﷺ فى الصف الأول فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله ﷺ فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والأول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى ( وإن ربك هو يحشرهم ) أى للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على أنه هو القادر ٢٥ على حشرهم والمتولى له لا غير لأنهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحى العظام وهى رميم أى هو يحشرهم لا غير وفى الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية إشعار بعلية الحكم وفى الإضافة إلى ضمير ﷺ دلالة على اللطف به عليه الصلاة والسلام (إنه حكيم) بالغ الحكمة متقن فى أفعاله فإنها عبارة عن العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغى (عليم) وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للإيذان باقتضائها للحشر والجزاء ( ولقد خلقنا الإنسان ) أى هذا النوع بأن خلقنا أصله وأول فرد من ٢٦ أفراده خلقاً بديعاً منطويأ على خلق سائر أفراده انطواءً إجمالياً كما مر تحقيقه فى سورة الأنعام (من صلصال) من طين يابس غير مطبوخ بصلصال أى بصوت عند نقره قيل إذا توهمت فى صوته مدأفه وصليل وإن توهمت فيه ترجيحاً فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن (من حمأ) من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال أى من صلصال كائن من حمأ (مسنون) أى مصور من سنة الوجه وهى صورته أو مصبوب من سن الماء صبه أى مفرغ على هيئة الإنسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة فى القوالب وقيل منتن فهو صفة لحما وعلى الأولين حقه أن يكون صفة لصلصال وإنما أخرج عن حمأ تنبيهاً على أن ابتداء

١٥ الحجر

وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾

١٥ الحجر

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾

١٥ الحجر

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾

مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حما كأنه سبحانه أفرغ الحما فصور من ذلك تمثال  
 ٢٧ إنسان أجوف فيس حتى إذا نقر صوت ثم غيره إلى جوهر آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (والجان)  
 أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان  
 من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وقرى بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره  
 \* (خلقه) وهو أقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية (من قبل) من قبل خلق الإنسان ومن هذا  
 \* يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين أحد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل (من  
 نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع من خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما  
 لا امتناع من خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجسام المولفة التي غالب أجزائها الجزء الناري فإنها  
 أقبل لها من التي غالب أجزائها الجزء الأرضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم  
 من تراب ومساق الآية السكرية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى ويان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه  
 ٢٨ على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والإحياء (وإذ قال ربك)  
 نصب يا ضمرا ذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من أنه أدخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي  
 التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء إلى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الإضافة إلى ضميره  
 عليه الصلاة والسلام إشعار بعلو الحكم وتشريف له عليه الصلاة والسلام أي اذكر وقت قوله تعالى  
 \* (لئلا تك إنى خالق) فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من  
 \* غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه (بشرا) أي إنسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب  
 بل الظاهر أن يكون قد قيل لهم إنى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على  
 \* الاسم وقيل جسما كشيئا يلاق ويباشرو قيل خلقا بادى البشر بلا صوف ولا شعرة (من صلصال) متعلق  
 \* بخالق أو بمحذوف وقع صفة لمفعوله أي بشرا كائنات من صلصال كائن (من حمال مسنون) تقدم تفسيره  
 ولا يتأني هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فإن عدم التعرض عند الحكاية لوصف  
 الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع  
 ٢٩ المحكي غايته أنه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح هنا (فإذا سويته) أي صورته بالصورة الإنسانية  
 \* والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طباعته (ونفخت فيه من رוחي) النفخ إجراء الريح إلى  
 تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها وليس نمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة  
 بالفعل على المادة القابلة لها أي فإذا كملت استعدادده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمري

١٥ الحجر

فَسَجِدَ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾

١٥ الحجر

إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

١٥ الحجر

قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾

- (فقعوا له) أمر من وقع بقع وفيه دليل على أن ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل أى اسقطوا له
- (ساجدين) تحية له وتعظيماً أو اسجدوا لله تعالى على أنه عليه الصلاة والسلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضى الله تعالى عنه [أليس أول من صلى لقبلكم \* وأعلم الناس بالقرآن والسنن] (فسجد الملائكة) أى خلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد الملائكة (كلهم) ٣٠
- بحيث لم يشذ منهم أحد (أجمعون) بحيث لم يتأخر فى ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحالية بل يفيد التأكيد أيضاً فإن الاشتقاق الواضح يرشد إلى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والأصل فى الخطاب التنزيل على أكل أحوال الشئ ولا ريب فى أن السجود معاً أكمل أصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيداً وأقيم مقام كل فى إفادة معنى الإحاطة من غير نظر إلى الكمال فإذا فهمت الإحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الأصل صوتاً للكلام عن الإلغاء وقيل أكد بتأكيدين مبالغة فى التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الأمر التعاقب كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والى فى سورة ص أو على الأمر التنجيزى كما يستدعيه ما فى غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه فى تفسير سورة البقرة (إلا إبليس) استثناء متصل إما لأنه كان جنيماً مفرداً مغموراً ٣١
- بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا وإما لأن من الملائكة جنساً يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى (أبى أن يكون مع الساجدين) استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فإن مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم أنه مع الإباء والاستكبار أو منقطع فيتصل به ما بعده أى لكن إبليس أبى أن يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث أدمج فى معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر والاستكبار مع تحقير آدم عليه الصلاة والسلام ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام فى سلك أولئك المقربين الكرام (قال) استئناف مبنى على سؤال من قال فماذا قال الله تعالى عند ذلك فقيل قال (يا إبليس مالك) أى أى سبب لك لا أى غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك (ألا تكون) فى أن لا تكون (مع) الساجدين) لآدم مع أنهم هم ومنزلتهم فى الشرف ومنزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصى الثلاث المذكورة قال تعالى فى سورة الأعراف قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك وفى سورة ص قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية فى كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر فى موطن آخر وإشعاراً بأن كل واحدة من تلك المعاصى الثلاث كافية فى التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً فى سورة البقرة وسورة نبي إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه .

١٥ الحجر

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَتَجِدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاصِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

١٥ الحجر

قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِئَتَكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾

١٥ الحجر

وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾

٣٣ (قال) أى إبليس وهو أيضاً استئناف مبنى على السؤال الذى ينساق إليه الكلام (لم أكن لأسجد)

اللام لنا كبعد النفي أى ينافى حالى ولا يستقيم منى لأنى مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها أن أسجد

• (لبشر) أى جسم كثيف (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) اقتصر ههنا على الإشارة الإجمالية إلى

ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين

ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه الصلاة والسلام من التراب الذى هو أخس العناصر وأسفلها

بل تعرض لكونه مخلوقاً منه فى أخس أحواله من كونه طيناً متغيراً وقد اكتفى فى سورة الأعراف

وسورة ص بما حكى عنه ههنا فاقصر على حكاية تعرضه لخلقته عليه الصلاة والسلام من طين وكذا فى

سورة بنى إسرائيل حيث قيل أسجد لمن خلقت طيناً وفى جوابه دليل على أن قوله تعالى مالك ليس

استفساراً عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفى عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم

للتفصى عن المناقشة وأنى له ذلك كأنه قال لم أمتنع عن امتثال الأمر ولا عن الانظام فى سلك الملائكة

بل عما لا يليق بشأنى من الخضوع للفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل

عنه أن ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلى بالمعارف الربانية والتخلى عن الملكات الردية التى

أقبحها التكبر والاستعصاء على أمر رب العالمين جلا جلاله (قال فأخرج منها) أى من زمرة الملائكة

المعززين لآمن السماء فإن وسوسته لأدم عليه الصلاة والسلام فى الجنة إنما كانت بعد هذا الطرد وقوله

تعالى فاهبط منها ليس نصافى ذلك فإن الخروج من بين الملائكة على هبوط وأى هبوط أو من الجنة على

أن وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روى عن الحسن البصرى أو بطريق المشافهة بعد أن احتال فى

دخولها وتوسل إليه بالحية كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولا ينافى هذا طرده على رهوس

• الاثهاد لما يقتضيه من الحكم البالغة (فإنك رجم) مطرود من كل خير وكرامة فإن من يطرد يرمم

بالحجارة أو شيطان يرمم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فإن من عارض النص بالقياس

٣٥ فهو رجم ملعون (وأن عليك اللعنة) الإبعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وإن كان

• جارياً على السنة العباد قيل فى سورة ص وإن عليك لعنتى (إلى يوم الدين) إلى يوم الجزاء والعقوبة وفيه

إشعار بتأخير عقابه وجزائه إليه وأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وإنما يتحقق ذلك يومئذ

وفيه من التهويل مالا يوصف وجعل ذلك أقصى أمد اللعنة ليس لأنها تنقطع هنالك بل لأنه عند ذلك

يعذب بما ينسب به اللعنة من أقانين العذاب فتصير كالأزائل وقيل إنما حدث به لأنه أبعد غاية يضر بها

الناس كقوله تعالى خالدن فيها مادامت السموات والأرض وحيث أمكن كون تأخير العقوبة مع الموت



قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾

١٥ الحجر

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾

١٥ الحجر

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

١٥ الحجر

كسائر من أخرت عقوباتهم إلى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما حكى عنه بقوله تعالى (قال رب فأنظرنى) أى أمهلنى وأخرنى ولا تمتنى والفاء متعلق بمحذوف ينسحب عليه الكلام أى إذ جعلتنى رجماً فأمره (إلى يوم يبعثون) أى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم \* وبأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالاته بعد يوم البعث (قال فإنك من المنظرين) ورود الجواب ٣٧ بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول مأسأله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعاً لهم فى ذلك دليل على أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم ألا لا إنشاء لإنظار خاص به وقع إجابة لدعائه أى إنك من جملة الذين أخرت أجالهم ألا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الإنظار بالاستنظار بل لربط الإخبار المذكور به كما فى قوله [فإن ترحم فانت لذاك أهل] فإنه لا إمكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الأهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الإخبار بتلك الأهلية للرحمة بوقوعها وأن استنظاره كان طلباً لتأخير الموت إذ به يتحقق كونه من جملة من لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه فى ذلك فى سلك من أخرت عقوباتهم إلى الآخرة فى علم الله تعالى عن سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحياة ولأن ذلك التأخير معلوم من إضافة اليوم إلى الدين مع إضافته فى السؤال إلى البعث كما عرفته وفى سورة الأعراف قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء فى الاستنظار والإنظار تعويلاً على ما ذكره من أنهما فى سورة ص فإن إيراد كلام واحد على أساليب متعددة غير عزيز فى الكتاب العزيز وأما أن كل أسلوب من أساليب النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما حكى من اللعين إنما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع إلا دفعة فمقام المحاورة إن اقتضى أحد الأساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ إلى طبقة الإعجاز وماعده قاصر عن رتبة البلاغة فضلاً عن الارتقاء إلى معالم الإعجاز فقد مر تحقيقه بوفيق الله تعالى فى سورة الأعراف (إلى يوم الوقت المعلوم) وهو وقت النفخة الأولى التى علم أنه يصعق عندها من فى ٣٨ السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله تعالى ويجوز أن يكون المراد بالأيام واحداً والاختلاف فى العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لأن غرض اللعين به يتحقق ويوم الدين لما ذكر من الجزاء ويوم الوقت المعلوم لما ذكر أولاً استنثاره تعالى بعلبه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعاً وبعثهم وجزائهم فى يوم واحد يموت اللعين فى أوله ويبعث فى أواسطه ويعاقب فى بقيته يروى أن بين موته وبعثه أربعين سنة من سنى الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى أنه قال قدمت المدينة أريد أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه فإذا أنا بحلقة عظيمة وكعب الأحبار فيها يحدث

١٥ الحجر

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾

١٥ الحجر

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه الصلاة والسلام الوفاة قال يارب سببتم بي عدوى إبليس إذا رأيته ميتاً وهو منظر إلى يوم القيامة فأجيب أن يا آدم إنك ستزد إلى الجنة وتؤخر اللعين إلى النظرة ليدوق ألم الموت بعدد الأولين والآخرين ثم قال للملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يارب حسبي فضج الناس وقالوا يا أبا إسحق كيف ذلك فأبى فألحوا فقال يقول الله سبحانه للملك الموت عقيب النفخة الأولى قد جعلت فيك قوة أهل السموات السبع وأهل الأرضين السبع وإني ألبستك اليوم أثواب السخط والغضب كلما نزل بغضبي وسطوتني على رجليي إبليس فأذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الأولين والآخرين من الثقلين أضعافاً مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون ألفاً قد امتلأوا غيظاً وغضباً وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وانزع روحه المنتين بسبعين ألف كلاب من كلابها وناد مالكاً ليفتح أبواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر إليها أهل السموات والأرضين لما توارى بغتة من هولها فيذهب إلى إبليس فيقول قف لي يا خبيث لا تذيقك الموت كم من عمر أدركت وقرون أضلكت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب إلى المغرب فإذا هو به بين عينيه فيغوص البحر فتزمنه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الأرض ولا يحيط له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويتمرغ في التراب من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق حتى إذا كان في الموضع الذي أهبط فيه آدم عليه الصلاة والسلام وقد نصبت له الزبانية الكلاب وصارت الأرض كالجرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاب ويبقى في النزوع والعذاب إلى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم إلى عدوك كما كيف يذوق الموت ٣٩ فيطلعان فينظران إلى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا أتممت علينا نعمتك (قال رب بما أغويتني) الباء للقسمة وما مصدرية والجواب (لا زين لهم) أي أقسم يا غوائلك إياي لا زين لهم المعاصي (في الأرض) أي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الأرض وإقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي إقسامه بهذا فإنه فرع من فروعه وأثر من آثارها فلعله أقسم بهما جميعاً فحكى تارة فسمه بهذا وأخرى بذلك أو للسببية وقوله لا زين جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيك لإغوائني أقسم لا أفعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الأباطيل والمعتزلة أولوا الإغواء بالنسبة إلى الغي أو التسبيب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واعتذروا عن إهمال الله تعالى وتسليطه له على إغواء بني آدم بأنه تعالى قد علم منه ومن تبعه أنهم يتوتون على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل أم لم يعمل وأن في إهماله تعريضاً لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب (ولا غوينهم ٤٠ أجمعين) لأجلهم على الغواية (إلا عبادك منهم المخلصين) الذين أخلصتهم اطاعتك وطهرتهم من الشوائب

- ١٥ الحجر قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾
- ١٥ الحجر إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾
- ١٥ الحجر وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
- ١٥ الحجر لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾
- ١٥ الحجر إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾

- ٤١ فلا يعمل فيهم كيدى وقرىء بكسر اللام أى الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى (قال هذا صراط) أى حق (على) أن أراعيه (مستقيم) لا عوج فيه والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه \* أو الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلى الوصول إلى من غير اعوجاج وضلال والأظهر أن ذلك لما وقع في عبارة إبليس حيث قال لا فعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرىء على من علو الشرف (إن عبادى) وهم المشار إليهم بالمخلصين (ليس عليك سلطان) تسلط ٤٢ وتصرف بالإغواء (إلا من اتبعك من الغاوين) وفيه مع كونه تحقيقاً لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين \* وبيان لمنزلة الإغواء وأن إغوائه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وإن جهنم لموعدهم) أى موعد المتبعين أو الغاوين والاول أنسب وأدخل ٤٣ في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على أن جهنم مكان الوعد وأن الموعود بما لا يوصف في الفضاءة (أجمعين) \* تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعل مصدر أعلى تقدير المضاف أو معنى الإضافة إن جعل اسم مكان (لها سبعة أبواب) يدخلونها لكثرتهم أو سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية ٤٤ والمتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم) من الاتباع \* أو الغواية (جزء مقسوم) حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فأعلاها للوحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للوحدين ولعل حصرها في السبع لا ينحصر المملكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرىء بضم الزاى وبحذف الهمزة وإلقاء حركتها إلى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء أو من ضميره في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها (إن المتقين) من اتباعه في الكفر ٤٥ والفواحش فإن غيرهم مكفر (في جنات وعيون) أى مستقرون فيها خالدون لكل واحد منهم جنة وعين \* منهما كقوله تعالى ولئن خاف مقام ربه جنتان وقرىء بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم .

١٥ الحجر

أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾

١٥ الحجر

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾

١٥ الحجر

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

١٥ الحجر

نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾

١٥ الحجر

وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

١٥ الحجر

وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

- ٤٦ (ادخلوها) على إرادة القول أسراً من الله تعالى لهم بالدخول وقرىء أدخلوها أسراً منه تعالى للبلائكة  
 \* بإدخالهم وقرأ الحسن أدخلوها مبنياً للمفعول على صيغة الماضي من الإدخال (بسلام) ملتبسين بسلام  
 ٤٧ أى سالمين أو مسلماً عليكم (آمنين) من الآفات والزوال (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أى حقد كان  
 في الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله  
 \* تعالى عليهم أجمعين (إخواناً) حال من الضمير في قوله تعالى في جنات أو من فاعل أدخلوها أو من الضمير  
 \* في آمنين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيه معنى الإضافة وكذلك قوله تعالى (على سرر متقابلين) ويجوز  
 كونهما صفتين لإخواناً أو حالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في  
 ٤٨ الأول وعن مجاهد تدور بهم الأسيرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع أحوالهم (لا يمسهم فيها نصب)  
 أى تعب بأن لا يكون لهم فيها ما يوجب من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من  
 غير مزاوله عمل أصلاً أو بأن لا يعتريهم ذلك وإن باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استئناف  
 \* أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين (وما هم منها بمخرجين) أبدأ الأبدال لأن تمام النعمة بالخلود  
 ٤٩ ، ٥٠ (نبي عبادي) وهم الذين عبر عنهم بالمتقين (أنى أنا الغفور الرحيم) (وأن عذاب هو العذاب  
 الأليم) فذلك لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة إشعار بأن ليس المراد بالمتقين  
 من يتقى جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب  
 ٥١ إيدان بأنهم بما يقتضيهما الذات وأن العذاب إنما يتحقق بما يوجب من خارج (ونبئهم) عطف على نبي عبادي  
 والمقصود اعتبارهم بما جرى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أهله من البشرى في تضاعيف الخوف وبما  
 حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه الصلاة والسلام مع أهله التابعين له في ضمن الخوف وتبديهم بحلول  
 \* انتقامه تعالى من المجرمين وعليهم بأن عذاب الله هو العذاب الأليم (عن ضيف إبراهيم) عن ابن عباس  
 رضى الله تعالى عنهما أنهم جبريل عليه الصلاة والسلام وملاك معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه وقيل  
 جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقيل الضحاك كانوا تسعة وعن السدى كانوا أحد

١٥ الحجر

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾

١٥ الحجر

قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾

١٥ الحجر

قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾

١٥ الحجر

قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾

عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل أنهم كانوا اثني عشر ملكا وإنما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لأنهم لم يكونوا مرسلين إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بل إلى قوم لوط حسبما يأتي ذكره (إذ دخلوا عليه) نصب بفعل مضمر معطوف على نبيء أى واذكر وقت دخولهم عليه أو خبر مقدر ٥٢ مضاف إلى ضيف أى خبر ضيف إبراهيم حين دخولهم عليه أو بنفس ضيف على أنه مصدر فى الأصل (فقالوا) عند ذلك (سلاما) أى نسلم سلاما أو سلمنا أو سلمت سلاما (قال إنا منكم وجلون) أى خائفون \* فإن الرجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه الصلاة والسلام حين امتنعوا من أكل ما قرب به إليهم من العجل الحنيد لما أن المعتاد عندهم أنه إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجيء بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه الصلاة والسلام بسبب دخولهم بغير إذن ولا بغير وقت إذ لو كان كذلك لأجابوا حينئذ بما أجابوا حينئذ به ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لتقريب الطعام إليهم وإنما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين فى غير هذا الموضع ألا يرى إلى أنه لم يذكر ههنا رده عليه الصلاة والسلام لسلامهم (قالوا لا توجل) ٥٣ لا تخف وقرى لا تاجل ولا توجل من أوجه أى أخافه ولا توجل من واجله بمعنى أوجهه (إنا نبشرك) استئناف لتعليل النهى عن الوجل فإن المباشرة لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء أهله فى عافية وسلامة زمانا طويلا (بغلام) هو إسحق عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى فبشرناها بإسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام اكتفاء بما ذكر فى سورة هود (عليه السلام) ٥٤ إذا بلغ وفى موضع آخر بغلام حلیم (قال أبشروني) بذلك (على أن مسنى الكبر) وأثر فى تعجب عليه الصلاة والسلام من بشارتهم بالولد فى حالة مباينة للولادة وزاد فى ذلك فقال (فيم تبشرون) أى بأى أعجوبة تبشروننى فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شىء أو بأى طريقة تبشروننى وقرى بتشديد النون المكسورة على إدغام نون الجمع فى نون الوقاية (قالوا بشركناك بالحق) أى بما يكون لا محالة أو باليقين ٥٥ الذى لا لبس فيه أو بطريقة هى حق وهو أمر الله تعالى وقوله (فلا تكن من القانطين) من الآيسين \* من ذلك فإن الله قادر على أن يخلق بشرأ بغير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عافرو قرى من القنطين وكان مقصده عليه الصلاة والسلام استعظام نعمته تعالى عليه فى ضمن التمتع العادى المبني على سنة الله

١٥ الحجر

قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾

١٥ الحجر

قَالَ قَدْ خَطَبُكُمُ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾

١٥ الحجر

قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَجْرِ مِينَ ﴿٥٨﴾

١٥ الحجر

إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾

تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرته سبحانه كما ينبغي عنه قول الملائكة فلا تكن  
 ٥٦ من القانطين دون أن يقولوا من الممترين أو نحوه (قال ومن يقنط) استفهام إنكارى أى لا يقنط (من  
 رحمة ربه إلا الضالون) المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكال عليه وقدرته  
 كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن  
 نفسه على أبلغ وجه أى ليس بى قنوط من رحمته تعالى وإنما الذى أقول لبيان منافاة حالى لفيضان تلك  
 النعمة الجليلة على وفى التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرىء بضم النون وبكسر ها  
 من قنط بالفتح ولم تكن هذه المفاوضة من الملائكة مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام خاصة بل مع سارة  
 أيضاً حسبما شرح فى سورة هود ولم يذكر ذلك هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هذه هناك  
 ٥٧ اكتفاء بما ذكر هنا (قال) أى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله (فما  
 خطبكم) أى أمركم وشأنكم الخطير الذى لأجله أرسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون) صريح فى أن بينهما  
 مقالة مطوية لهم أشير به إلى مكانها كما فى قوله تعالى قال أسجد لمن خلقت طيناً قال أرايتك هذا الذى  
 كرمت على الآية فإن قوله الأخير ليس موصولاً بقوله الأول بل هو مبنى على قوله تعالى فاخرج منها  
 فإنك رجيم فإن توسيط قال بين قوليه للإيدان بعدم اتصال الثانى بالأول وعدم ابتناؤه عليه بل غيره  
 ثم خطابه لهم عليهم الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجرداً عن ذلك مع  
 تصديره بالفاء دليل على أن مقالهم المطوية كانت متضمنة لبيان أن مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن  
 آخر لأجله أرسلوا فكانه قال عليه الصلاة والسلام إن لم يكن شأنكم مجرد البشارة فإذا هو فلا حاجة إلى  
 الالتجاء إلى أن علمه عليه الصلاة والسلام بأن كل المقصود ليس البشارة بسبب أنهم كانوا ذوى عدد  
 والبشارة لا تحتاج إلى عدد ولذلك اكتفى بالواحد فى ذكرها عليه الصلاة والسلام ومريم ولا إلى أنهم  
 ٥٨ بشروه فى تضاعيف الحال لإزالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا يتدوم بها فتأمل (قالوا إنا أرسلنا  
 إلى قوم مجرمين) هم قوم لوط لكن وصفوا بالإجرام وجىء بهم بطريق التنكير ذماً لهم واستهانة بهم  
 ٥٩ (إلا آل لوط) استثناء متصل من الضمير فى مجرمين أى إلى قوم أجمعوا جميعاً إلا آل لوط فالقوم  
 والإرسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجمعهم إلا آل لوط لنهلك الأولين  
 وننجى الآخرين ويدل عليه قوله تعالى (إنا لمنجؤهم) أى لوط وآله (أجمعين) أى بما يصيب القوم فإنه

١٥ الحجر

إِلَّا أَمْرًا تَقْدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾

١٥ الحجر

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾

١٥ الحجر

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾

١٥ الحجر

قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾

- استئناف للإخبار بنجاتهم لعدم إجرامهم أو لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فإن ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين أو لتعليله فإن من تعلق بهم التنجية بمنجى من شمول العذاب أو منقطع من قوم وقوله تعالى إنا لمنجوعهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى (إلا أمراته) استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الأول من الضمير خاصة لاختلاف الحكيم ٦٠
- اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوعهم اعتراضاً وقرىء بالتخفيف (قدرنا إنا لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة \* لهم لك معهم وقرىء قدرنا بالتخفيف وإنما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بأفعال القلوب لتضمنه معنى العلم وبجوز حمله على معنى قلنا لأنه بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره وإسنادهم له إلى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلنى والاختصاص (فلما جاء آل لوط المرسلون) شروع ٦١
- في بيان كيفية إهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما أجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمحل للإبذان بأن مجيئهم لتحقيق ما أرسلوا به من الإهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فإن ما حكى عنه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى (قال ٦٢ إنكم قوم منكرون) إنما قاله عليه الصلاة والسلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلال لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكائد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعمود والمعناد من الإعانة والإمداد فيما يأتى ويذر عند تجشمه في تخليصهم إنكاراً لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لأسباب المدافعة والممانعة حتى ألجأته إلى أن قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لأنه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفاً أن يطرقوه بشرطاً قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكى بقوله تعالى (قالوا بل ٦٣ جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى بالعذاب الذى كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه الصلاة والسلام جليلة الأمرفانى يمكن أن يعتربه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل إضراباً عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لآجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هى إضراب عما فهمه عليه الصلاة والسلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خيلنا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذى كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقابلة على ما جرى بينه وبين أهل المدينة من المجادلة للسرعة إلى ذكر بشارة لوط عليه الصلاة والسلام بإهلاك

١٥ الحجر

وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤﴾

فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعَ أَذْبَرُهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ

١٥ الحجر

تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾

١٥ الحجر

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿١٦﴾

قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهما وحيث كان ذلك مستديعاً لبيان كيفية النجاة وترتيب مبادئها أشير إلى ذلك إجمالاً ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعى ثقة بمراعاته في مواقع آخر ونسبة المجيء بالعذاب إليه عليه الصلاة والسلام مع أنه نازل بالقوم بطريق تفويض أمره إليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم جاءوه به وفوضوا أمره إليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به (وأتيناك بالحق) أى باليقين الذى لا مجال فيه اللامتراه والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنهيصاً على نفي الامتراه عنه أو المراد بالحق الإخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى (وإننا لصادقون) تأكيد له أى أتيناك فيما قلنا بالخبر الحق أى المطابق للواقع وإننا لصادقون فى ذلك الخبر أو فى كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الأول تأكيد لثبوت ما كيد وقوله تعالى (فأسر بأهلك) شروع فى ترتيب مبادئ النجاة أى اذهب بهم فى الليل وقرى بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير فى الليل وقرى فسر من السير (بقطع من الليل) بظائفة منه أو من آخره قال [افتحى الباب وانظرى فى النجوم \* كم علينا من قطع ليل بهم] وقيل هو بعد ماضى منه شئ صالح (واتبع أدبارهم) وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على أحوالهم ولعل لإيثار الاتباع على السوق مع أنه المقصود بالأمر للبالغه فى ذلك إذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهى عنه بقوله تعالى (ولا يلتفت منكم) أى منك ومنهم (أحد) فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه أو يصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف منكم أحد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك أبوطنوا أنفسهم على المهاجرة أو هو نهى عن ربط القلب بما خلفوه أو هو للإسراع فى السير فإن الملتفت قلباً يخلو عن أدنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة من الإسراء والالتفات لا يستدعى عدم وقوعه فإن ذلك لما عرفت مراراً لاكتفاء بما ذكر فى مواضع آخر (وامضوا حيث تؤمرون) إلى حيث أمركم الله تعالى بالمضى إليه وهو الشام أو مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وإيثار المضى إلى ما ذكر على الوصول إليه والحق به الإيذان بأهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين (وقضينا) أى أوحينا (إليه) مقضياً ولذلك عدى يالى (ذلك الأمر) مبهم يفسره (أن دابر هؤلاء مقطوع) على أنه بدل منه وإيثار اسم الإشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التى هى مدار ثبوت الحكم أى دابر هؤلاء المجرمين وإيراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها أدخلت فى الدلالة على الوقوع وفى لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالأمر والإشارة



١٥ الحجر

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾

١٥ الحجر

قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءَ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾

١٥ الحجر

وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٦٩﴾

١٥ الحجر

قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

إليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وإبهامه أولاً ثم تفسيره ثانياً من الدلالة على نخامة الأمر وفضاعته  
 مالا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد  
 (مصباحين) داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن \*  
 دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء (وجاء أهل المدينة) شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم ٦٧  
 على مكان الأضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما أشير إلى ذلك إجمالاً حسبما نبه عليه أى  
 جاء أهل سدوم منزل لوط عليه الصلاة والسلام (يستبشرون) أى مستبشرين بأضيافه عليه الصلاة \*  
 والسلام طمعاً فيهم (قال إن هؤلاء ضيفي) الضيف حيث كان مصدراً فى الأصل أطلق على الواحد ٦٨  
 والمتعدد والمذكر والمؤنث وإطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه الصلاة والسلام لكونهم فى زى  
 الضيف والتأكيد ليس لإنكارهم بذلك بل لتحقيق انصافهم به وإظهار اعتنائه بشأنهم وتشمره لمراعاة  
 حقوقهم وحمايتهم من سوءه ولذلك قال (فلا تفضحون) أى عندهم بأن تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا أنه \*  
 ليس لى عندهم قدر وحرمة أولاً تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أسى إلى ضيفه فقد أسى إليه يقال  
 فضحه فضحاً وفضيحة إذا ظهر من أمره ما يلزمه العار (واتقوا الله) فى مباشرتكم لما يسوؤنى (ولا تخزون) ٦٩  
 أى لا تذلونى ولا تهينونى بالتعرض لمن أجزتهم بمثل تلك الفعللة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد أن  
 نهام عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون أكثر تأثيراً فى جانبه عليه الصلاة والسلام  
 وأجلب للعار إليه إذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتساح فيه وأما بعد الشعور به والمناسبة  
 لحايته والذب عنه فذاك أعظم العار عبر عليه الصلاة والسلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهى المذكور  
 بسبب لجأهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزى وأمرهم بتقوى الله تعالى فى ذلك وإنما لم يصرح بالنهى عن  
 نفس تلك الفاحشة لأنه كان يعرف أنه لا يفيد ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى فى ركوب الفاحشة ولا  
 يساعده توسيطه بين النهيين عن أمرين متعلقين بنفسه عليه الصلاة والسلام وكذلك قوله تعالى (قالوا أؤلم  
 ٧٠ ننهك عن العالمين) أى عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر  
 أى ألم نتقدم إليك ولم ننهك عن ذلك فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد من الغرباء بالسوء وكان عليه الصلاة  
 والسلام ينههم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه الصلاة والسلام عن أن يجير أحداً فكانهم قالوا  
 ما ذكرت من الفضيحة والخزى إنما جاءك من قبلك لا من قبلنا إذ لولا تعرضك لما نتصدى له لما اعتراك

١٥ الحجر

قَالَ هَتُوْلَاءَ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾

١٥ الحجر

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

١٥ الحجر

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾

١٥ الحجر

فَجَعَلْنَاهَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾

١٥ الحجر

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾

١٥ الحجر

وَإِنَّهَا لَلسَّبِيلِ مَقِيمٌ ﴿٧٦﴾

١٥ الحجر

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

- ٧١ تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه (قال هؤلاء بناتي) يعنى نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم أو بناته حقيقة أى فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثتهم وعدم كفائتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل في سورة هود (إن كنتم فاعلين) أى قضاء الوطر أو ما أقول لكم (لعمرك) قسم من الله تعالى بحياة النبي ﷺ أو من الملائكة بحياة لوط عليه الصلاة والسلام والتقدير لعمرك قسمى وهى لغة فى العمر يختص به القسم لإثارة للخفة لكثرة دورانه على الألسنة (إنهم لفي سكرتهم) غوايتهم أو شدة غلظتهم التى أزالعت عقولهم وتميزهم بين الخطأ والصواب
- (يعمّهون) يتجربون ويتبادون فكيف يسمعون النصيح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
- ٧٢ (فأخذتهم الصيحة) أى الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فجعلناها عاليها) على المدينة أو على قراهم وهو المفعول الأول لجعلناها وقوله تعالى (سافلها) مفعول ثان له وهو أدخل فى الهول والفضاعة من العكس كما مر (وأمطرنا عليهم) فى تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب (حجارة) كائنة (من سجيل) من طين متحجر أو طين عليه كتاب
- ٧٣ وقد فصل ذلك فى سورة هود (إن فى ذلك) أى فيما ذكر من القصة (آيات) لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق (للمتوسمين) أى المتفكرين المتفرسين الذين يثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ
- ٧٤ بسمته (وإنها) أى المدينة أو القرى (للسبيل مقيم) أى طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها
- ٧٥ (إن فى ذلك) فيما ذكر من المدينة أو القرى أو فى كونها بمرأى من الناس يشاهدونها فى ذهابهم وإيابهم
- (لآية) عظيمة (للمؤمنين) باقوه ورسوله فإنهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم العذاب الذى ترك ديارهم بلاقع إنما حاق بهم لسوء صنيعهم وأما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق أو الأوضاع الفلكية وإفراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما أن المشاهد ههنا بقية الآثار لا لكل القصة كما فيها ساف

١٥ الحجر

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾

١٥ الحجر

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مَبِينٍ ﴿٧٩﴾

١٥ الحجر

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾

١٥ الحجر

وَأَتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾

١٥ الحجر

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾

١٥ الحجر

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾

- (وإن كان) إن مخففة من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة أى وإن الشأن كان ٧٨ (أصحاب الأيكة) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام والأيكة والليكة الشجرة المتنفة المتكاثفة وكان •
- ٧٩ عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى إليهم (لظالمين) متجاوزين عن الحد (فانتقمنا منهم) • بالعذاب روى إن الله سلط عليهم الحرسبعة أيام ثم بعث سبحانه قانتجنوا إليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فأحرقهم فهو عذاب يوم الظلة (ولإنهما) يعنى سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدین • فإنه عليه الصلاة والسلام كان مبعوثاً إليهما فذكر أحدهما منبه على الآخر (لبإمام مبين) لطريق واضح • والإمام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمع البناء واللوح الذى يكتب فيه لأنها مما يؤتم به (ولقد كذب ٨٠ أصحاب الحجر) يعنى ثمود (المرسلين) أى صالحاً فإن من كذب واحداً من الأنبياء عليهم السلام فقد كذب • الجميع لا تفاهم على التوحيد والأصول التى لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيدون لحبيب بن عبد الله بن الزبير وأصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه (وأتيناكم آياتنا) وهى الآيات المنزلّة على نبيهم أو المعجزات من النافّة وسقيها وشربها ودرها أو ٨١ الأدلة المنصوبة لهم (فكانوا عنها معرضين) إعرافاً كلياً بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالنافّة ما فعلوا •
- (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لو ثاقمها ٨٢ أو من العذاب لحسبانهم أن ذلك يحميهم منه . عن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال مررتا مع رسول الله ﷺ على الحجر فقال لا ندخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله ﷺ راحلته فأمرع حتى خلفها (فأخذتهم الصيحة مصبحين) ٨٣ وهكذا وقع في سورة هود وقيل صاحبهم جرير بل عليه الصلاة والسلام وقيل أتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الأعراف فأخذتهم الرجفة أى الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتوج الهواء تموجاً شديداً يفضى إليها كما مر في سورة هود .

١٥ الحجر

فَأَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ

١٥ الحجر

الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾

١٥ الحجر

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

١٥ الحجر

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾

- ٨٤ (فأغنى عنهم) ولم يدفع عنهم ما نزل بهم (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والأموال الوفرة والعدد المتكاثرة وفيه تمكيم بهم والفاء لترتيب عدم الإغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لعدم الإغناء المطلق فإنه أمر مستمر (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي إلا خلقاً متناسباً بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء دفعاً لفسادهم وإرشاداً لمن بقي إلى الصلاح أو إلا بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال كما ينبغي عنه قوله تعالى (وإن الساعة لأتية) فينتقم الله تعالى لك فيها من كذبك (فاصفح) أي أعرض عنهم (الصفح الجميل) إعرافاً جميلاً وتحمل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف (إن ربك) الذي يبلغك إلى غاية الكمال (هو الخلاق) لك ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق (العليم) بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تسكل جميع الأمور إليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل أحوالكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح فهو تعليل للأمر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وأبي رضى الله تعالى عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعاً) سبع آيات وهي الفاتحة وعليه ٨٧ عمر وعلى وابن مسعود وأبو هريرة رضى الله تعالى عنهم والحسن وأبو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد ابن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الأسباع (من المثاني) بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فإن كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة أو أما تكرر قراءتها في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون مدار للتسمية ولا أنها ثني بما يقرأ بعدها في الصلاة أو أما تكرر نزولها فلا يكون وجهاً للتسمية لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني إذ السورة مكية بالانفاق وإن كان المراد غير هامن السور فوجه كونها من المثاني أن كلاماً من ذلك تكرر قراءته والفاظة أو قصصه ومواظبه أو من الثناء لاشتغاله على ما هو ثناء على الله واحدتها مثناة أو مثنية صفة للآية وأما الصحائف وهي الأسباع فلها وقع فيها من تكرير القصص

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ  
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

١٥ الحجر

١٥ الحجر

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾

١٥ الحجر

كَمَا أُنزِلَتْ عَلَى الْمُقْسِمِينَ ﴿٩٠﴾

١٥ الحجر

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾

والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الشفاء على الله تعالى كأنها تنثني عليه سبحانه بأفعاله وصفاته  
الحسنى ويجوز أن يراد بالمثنى القرآن لما ذكر أولاً أنه منثني عليه بالإعجاز أو كتب الله تعالى كلها فن للتبعيض  
وعلى الأول للبيان (والقرآن العظيم) إن أريد بالسبع الآيات أو السور فن عطف الكل على البعض  
أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع أو كل القرآن فهو عطف أحد الوصفين على الآخر كما في قوله  
[إلى الملك القرم وابن الهمام \* وليث الكتاب في المزدحم] أي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثنى  
والقرآن العظيم (لا تمدن عينيك) لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك (إلى ما متعنا به) من ٨٨  
زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها (أزواجاً منهم) أصنافاً من الكفرة فإن ما في الدنيا من  
أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحق لا يعبا به أصلاً وفي حديث أبي بكر رضي الله  
تعالى عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً وروى أنه  
وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البر والطيب والجواهر  
وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينها بها وأنفقناها في سبيل الله فقيل لهم قد أعطيتكم  
سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا أتباعك في  
سلك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل أو أنهم الممتنعون به ويأباه كلمة على فإن تمتعهم به لا يكون مداراً  
للحزن عليهم (واخفض جناحك للمؤمنين) أي تواضع لهم وارفق بهم وأن جانبك لهم وطب نفساً  
من إيمان الأغنياء (وقل إني أنا النذير المبين) أي المندر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله (كما أنزلنا ٩٠، ٨٩  
على المقسمين) قيل إنه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ أي أنزلنا عليك كما أنزلنا على أهل الكتاب  
(الذين جعلوا القرآن عضين) أي قسموه إلى حق وباطل حيث قالوا عناداً وعدواناً بعضه حق موافق ٩١  
للنوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو قسموه لأنفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة  
البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا أو قسموا ما قرءوا من كتبهم وحرفوه فأقروا ببعضه  
وكذبوا ببعضه وحملوا وسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على إمداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب  
ذلك بأنه جل المقام عن التشبيه ولقد أوتي عليه الصلاة والسلام ما لم يؤت أحد قبله ولا بعده مثله وقيل

إنه متعلق بقوله إني أنا النذير المبين فإنه في قوة الأمر بالإلذار كأنه قيل أنذر قريشاً مثل ما أنزلنا على  
المقتسمين يعنى اليهود وهو ما جرى على بنى قريظة والنضير بأن جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك  
وأنت خبير بأن ما يشبه به العذاب المنذر لا بد أن يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين إذ به  
تتحقق فائدة التشبيه وهى تأكيد الإلذار وتشديده وعذاب بنى قريظة والنضير مع عدم وقوعه لإذ ذلك لم  
يسبق به وعد ووعد فهم منه فى غفلة محضه وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من  
الإعجاز لكن إذا صادف مقاماً يقتضيه كما فى قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ونظائر على أن تخصيص  
الافتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى فى الافتسام المتفرع على  
الموافقة والمخالفة وفى الافتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع  
كونه من نتائج الافتسام تخصيص من غير غرض وقد جعل الموصول مفعولاً أولاً لأن رأى أنذر المعضنين  
الذين جزموا القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا  
مداخل مكة أيام الموسم فعدد كل منهم فى مدخل لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ يقول  
بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فأهلكهم الله تعالى يوم  
بدر وقبله بأفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق فى عدم كون العذاب الذى شبه به العذاب المنذر  
واقعاً ولا معلوماً للمنذرين ولا موعود الوقوع أنه لا داعى إلى تخصيص وصف التعضية بهم وإخراج  
المقتسمين من بينهم مع كونهم أسوة لهم فى ذلك فإن وصفهم لرسول الله ﷺ بما وصفوا من السحر  
والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو إلا نفس التعضية ولا إلى إخراجهم من  
حكم الإلذار على أن ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصاً  
بهم بل عاماً لكلا الفريقين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود  
ابن المطلب قد هلكوا قبل مهلك أكثر المقتسمين يوم بدر ولا إلى تقديم المفعول الثانى على الأول كما  
ترى وقيل إنه وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون فى مداخل مكة كما حرر وفيه مع  
ما مر أن قوله تعالى كما أنزلنا صريح فى أنه من قول الله تعالى لا من قول الرسول ﷺ والاعتذار بأن ذلك  
من باب ما يقوله بعض خواص الملك أمرنا بكذا وإن كان الأمر هو الملك حسبما سلف فى قوله تعالى  
قدرنا لإنهالمن الغابرين بعسف لا يخفى وأن لإعمال الوصف الموصوف بما لم يجوزه البصريون فلا بد من الحرب  
إلى مسلك الكوفيين أو المصير إلى جعله مفعولاً غير صريح أى أنا النذير المبين بعذاب مثل عذاب  
المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحاً عليه الصلاة والسلام  
فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري أن عذابهم حيث كان متحققاً ومعلوماً للمنذرين حسبما نطق به القرآن  
العظيم صالح لأن يقع مشبهاً به العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقبه حيث لم يمكن كونه صفة  
للمقتسمين حينئذ فسواء جعلناه مفعولاً أولاً للنذير أو لما دل هو عليه من أنذر لا يكون للتعريض لعنوان  
التعضية فى حين الصلة ولالعنوان الافتسام بالمعنى المزبور فى حين المفعول الثانى فائدة لما أن ذلك إنما يكون  
للإشعار بعملية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه

تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فإن للمعصين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك أولئك كما أن أولئك بمعزل من التعصية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهومهما ولا وجوداً تصحح وقوع أحدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد إذ لا دلالة لعنوان التعصية على ذلك وإنما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الوصول مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية لا يليق بحزاة التنزيل وجلالة شأنه الجليل إذا عرفت هذا فاعلم أن الأقرب من الأقوال المذكورة أنه متعلق بالأول وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين وأن الوصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لوازم النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم إتياء مماثلاً لإنزال الكتابين على أهلهم وعدم التعرض لذكر ما أنزل عليهم من الكتابين لأن الغرض بيان المماثلة بين الإيتامين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بأن يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناكم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الإيتامين من التثاني فإن الأول على وجه التكرمة والامتنان وشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبهاً به فإن ذلك إنما هو لمسلطته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زماناً لا لمزية تعود إلى ذاته كما في الصلاة الحليلية فإن التشبيه فيها ليس ليكون رحمة الله تعالى الفائضة على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وآله أتم وأكمل مما فاض على النبي ﷺ وإنما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة إشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلاً عن إيهام أفضلية ما تعلق به الأول مما تعلق به الثاني وإنما ذكروا بعنوان الاقتسام إنكاراً لا تصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الإنزال المذكور وإذناً بأنه كان من حقهم أن يؤمنوا بأكمله حسب إيمانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما أوتى النبي ﷺ ولقد بين أولاً علو شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه الصلاة والسلام بمكانه واستغناؤه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات إلى زهرة الدنيا وعبر عن إتيانها لأهلها بالتمتع النبي عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن لعدم إيمان المنهمكين فيها بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وبإظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما أوتى من القرآن العظيم ثم رجع إلى كيفية إتيانه على وجه أدمج فيه ما يريح شبه المنكرين ويستنزهم عن العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحياً صادقاً فتأمل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل إني أنا النذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب إنك ستأتي نذيراً على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى يريد أن ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة الاستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل أي قل هذا القول حال كونه كما أنزلنا على أهل الكتابين أي موافقاً لذلك فالأنسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضاً بما فعلوا من تحريفهم وكتابتهم لنعت النبي ﷺ وقوله تعالى عشرين جمع عضة وهي الفرقة

١٥ الحجر

فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾

١٥ الحجر

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

١٥ الحجر

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾

١٥ الحجر

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾

١٥ الحجر

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

أصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية إذا جعلها أعضاء وإنما جمعت جمع السلامة جبراً للمحذوف كسنيين وعزين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذى الروح المستلزم لإزالة حياته وإبطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما وجدان فيما لا يضره التبعض من المنليات للتخصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضته إذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش فنقصانها على الأول واو على الثاني هاء (فوربك لنسألنهم أجمعين) أى لنسألن يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع (عما كانوا يعملون) فى الدنيا من قول وفعل وترك فبدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا أولياً ولنجزينهم بذلك جزاءاً موفوراً وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على أعمالهم التي ذكر بعضها وفى التعرض لوصف الربوبية مضافاً إليه عليه الصلاة والسلام إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً أو افرق بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أى ما تؤمر به من الشرائع المودعة فى تضاعيف ما أوتيته من المثانى السبع والقرآن العظيم (وأعرض عن المشركين) أى لا تلتفت إلى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تنصدل لانتقام منهم (إنا كفيناك المستهزين) بقمهم وتدميرهم قبل كانوا خمسة من أشرف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث بن قيس بن الطلالة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بياغوث فى إيذاء النبي ﷺ والاستهزاء به فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال قد أمرت أن أكفيكم فإوما إلى ساق الوليد فربنا لفتعلق بشو به سهم فلم ينعطف تعظماً لأخذه فأصاب عرقافى عقبه فقطه فأت وأوما إلى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فأت وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمى وإلى أنف الحرث فامتخط قيحاً فأت وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر) وصفهم بذلك تسلياً لرسول الله ﷺ وتهويناً للخطب عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام بل اجترعوا على العظيمة التي هي الإشراف بالله سبحانه (فسوف يعلمون) عاقبة ما يأتون ويندرون .



١٥ الحجر

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾

١٥ الحجر

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾

١٥ الحجر

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

- ( ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ) من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك ٩٧ وتحلية الجملة بالنأكيد لإفادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقة باستمرار ما يواجهه من أقوال الكفرة ( فسبح بحمد ربك ) فافزع إلى الله تعالى فيما ٩٨ نابك من ضيق الصدر والخرج بالتسبيح والتقديس ملتبساً بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى من إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والإشعار بعلّة الحكم أغنى الأمر بالتسبيح والحمد (وكن من الساجدين) أى المصلين يكفيك ويكشف الغم عنك \* أو فزعه عما يقولون ملتبساً بحمده على أن هداك للحق المبين وعنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة ( واعبد ربك ) دم على ما أنت عليه من عبادته تعالى وإيثار الإظهار ٩٩ بالعنوان السالف آنفاً لتأكيد ما سبق من إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والإشعار بعلّة الأمر بالعبادة ( حتى يأتيك اليقين ) أى الموت فإنه متيقن للحقوق بكل حى مخلوق وإسناد الإتيان إليه للإبذان بأنه متوجه إلى الحى طالب للوصول إليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حياً من غير إخلال بها لحظة . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستمزين بمحمد ﷺ .

## ١٦ — سورة النحل

(مكية وآياتها مائة وثمان وعشرون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦ النحل

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

(سورة النحل مكية إلا وإن عاقبتكم إلى آخرها ، وهي مائة وثمان وعشرون آية )

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (أتى أمر الله) أى الساعة أو مايعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بأمر الله للتفخيم والتهويل وللإيدان بأن تحققة في نفسه وإتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب وإتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع أو عن إتيان مباديه القريبة على نهج إسناد حال الأسباب إلى المسببات وأياً ما كان فقيه تنبيه على كمال قرب من الوقوع واتصاله وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل (فلا تستعجلوه) فإن النهى عن استعجال الشيء وإن صح تفريعه على قرب وقوعه أو على وقوع أسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه إذ بالوقوع يستحيل الاستعجال رأساً لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهى الغائب واستعجالهم وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهمك لامع المؤمنين سواء أريد بأمر الله ما ذكر أو العذاب الموعود للكفرة خاصة أما الأول فلأنه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة أو مايعمها وغيرها من العذاب حتى يعمهم النهى عنه وأما الثانى فلأن استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينظمهما صيغة واحدة والاتجاه إلى إرادة معنى مجازى يعمهما معاً من غير أن يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روى من أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئاً فنزلت اقتراب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله ﷺ فرفع الناس رءوسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لا لما توهم من أن التصدير بالفاء ياباه فإنه بمنزل عن إباته حسباً تحققة بل لأن مناط اطمئنانهم إنما وقوفهم على أن المراد بالإتيان هو الإتيان الادعائى لا الحقيقى الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامتناع النهى عنه لما أن النهى عن الشيء يقتضى إمكانه في الجملة ومدار ذلك الوقوف إنما هو النهى عن الاستعجال المستلزم لإمكانه المقتضى لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائناً من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم

يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

النحل ١٦

- العموم لأن المراد بأمر الله إنما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون أمر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقضى به الإعجاز التنزيل أنه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج إشرأفهم المستتبع لنسبة الله عز وجل إلى ما لا يليق به من العجز والاحتياج إلى الغير واعتقاد أن أحداً يحجزه عن إنجاز وعده وإمضاء وعيده وقد قالوا في تضاعيفه إن صح بحجى العذاب فالأصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيلاً بطريق الاستئناف (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى تنزهه وتقدس بذاته وجل عن إشرأفهم المؤدى إلى صدور أمثال هذه الأباطيل عنهم أو عن أن يكون له شريك في دفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجديد إشرأفهم واستمراره والالتفات إلى الغيبة للإيدان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تقوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهى عنه بالمتنزه عنه وقرىء على صيغة الخطاب (ينزل الملائكة) بيان لتعمم التوحيد حصصاً به عليه تنبيهاً إجمالياً ببيان تقدس جناب الكبرياء ٢ وتعالى عن أن يحوم حوله شائبة أن يشاركه شيء فى شيء وإيدان بأنه دين أجمع عليه جمهور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمروا بدعوة الناس إليه مع الإشارة إلى سر البغته والتشريع وكيفية إلقاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول ﷺ يأتیان ما أوعدهم به وباقترا به إزاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بذلك وإظهاراً لبطلان رأيهم فى الاستعجال والتكذيب وإيضاح صيغة الاستقبال للإشعار بأن ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة إما جبريل عليه السلام قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع إذا كان رئيساً أو هو ومن معه من حفظة الوحي بأمر الله تعالى وقرىء ينزل من الإنزال وتنزل بحذف إحدى التاءين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل (بالروح) أى بالوحي الذى من جملة ما أقرآن على نهج الاستعارة فإنه يحى القلوب الميتة بالجهل أو يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد والباء متعلقة بالفعل أو بما هو حال من مفعوله أى ملتبس بالروح (من أمره) بيان للروح الذى أريد به لروحى فإنه أمر بالخير أو حال منه أى حال كونه ناشئاً ومبتدأ منه أو صفة له على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أى بالروح الكائن من أمره الناشئ منه أو متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى عما خطيئناهم أى ينزلهم بأمره (على من يشاء من عباده) أن ينزلهم به عليهم لاختصاصهم صفات توهمهم لذلك (أن أنذروا) بدل من الروح أى ينزلهم ملتبسين بأن أنذروا أى بهذا القول المخاطبون به الأنبياء الذين نزلت الملائكة عليهم والأمر هو الله سبحانه والملائكة نفلة للأمر كما يشعر الباء فى المبدل منه وأن إما مخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف أى ينزلهم ملتبسين بأن

١٦ النحل

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾

١٦ النحل

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾

١٦ النحل

وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٤﴾

الشان أقول لكم أنذروا أو مفسرة على أن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كأنه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده أنذروا فلاحل لها من الإعراب أو مصدرية لجواز كون صلتها إنشائية كما في قوله تعالى وأرأى أقم وجهك حسبا ذكر في أوائل سورة هود فحملها الجر على البدلية أيضاً والإنذار الإعلام خلا أنه مختصر بإعلام المحذور من نذر بالشئ. إذا علمه فحذره وأنذره بالأمر لإنذار أى أعلمه وحذره وخوفه في إبلاغه كذا في القاموس أى أعلموا الناس (أنه لا إله إلا أنا) فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وقائدة تصدير الجملة به الإيذان من أول الأمر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زياد تقرير له في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه ابتداء إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن لديه عندوروده فضل تمكن كأنه قيل أنذروا أن الشأن الخطير هذا وأنباء مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الإشرار وذلك كاف في كون إعلامه لإنذار وقوله سبحانه (فانقون) خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة أى إذا كان الأمر ذكر من جريان عاداته تعالى بتنزيل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام وأمرهم بأن ينذروا الناس لا شريك له في الألوهية فانقون في الإخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافية من الإشرار وفروعه التي جمعتها الاستعجال والاستمراء وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الأدلة العقلية فقيه

٣ (خلق السموات والأرض بالحق) أى أوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفائق والنقط اللائق (تعالى) وتقدس بذاته لا سيما بأفعاله التي من جملة إبداع هذين المخلوقين (عما يشركون) عن إشرارهم المعهود أو عن شركه ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدى ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلى المنظوى ع

٤ تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالإنفس فقال (خلق الإنسان) أو هذا النوع غير الفرد الأول منه (من نطفة) جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضو (فإذا هو) بعد الخلق (خصيم) منطبق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم (مبين) لحجته لقن بها وهو أنسب بمقام الامتنان بإعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته أو مخاصم لخال منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا أنسب بمقام تعداد هبات الكفرة روى أن أبى بن خلف

٥ الجمعى أنى النبي ﷺ بعظم رميم فقال يا محمد أترى الله تعالى يحيي هذا بعدما قدم فنزلت (والأنعام) وهو الأنواع الثمانية من الإبل والبقر والضأن والمعز وانتصابه بضمير يفسره قوله تعالى (خلقها) أو بالعطف على الإنسان وما بعده بيان ما خلق لأجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله تعالى (لكم) إمامتعلق بخلافه وقوله (فيها) خبر مقدم وقوله (دف) مبتدأ وهو ما يدفأ به فيق من البرد والجملة حال من المفعول

١٦ النحل

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٧٠﴾

وَنَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأُنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧١﴾ ١٦ النحل

- الظرف الأول خبر للببتدا المذكور وفيها حال من دفء إذ لو تأخر لكان صفة (ومنافع) هي درها  
 وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وإنما عبر عنها بها ليتناول الكل مع أنه الانسب بمقام الامتتان  
 بالنعيم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية أسلوب الترتي إلى الأعلى (ومنها تأكلون) أي تأكلون ما يؤكل  
 منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للإيماء إلى أنها لا تبقى عند الأكل كما في السابق واللاحق  
 فإن الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محال لها بخلاف الأكل وتقديم  
 الظرف للإيذان بأن الأكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش لأن الأكل مما عداها من الدجاج والبط  
 وصيد البر والبحر من قبيل النفك مع أن فيه مراعاة للفواصل ويحتمل أن يكون معنى الأكل منها أكل  
 ما يحصل بسببها فإن الحبوب والثمار المأكولة تنكسب بأكراه الإبل ويأثم تناجها وألبانها وجلودها  
 (ولكم فيها) مع ما فصل من أنواع المنافع الضرورية (جمال) أي زينة في أعين الناس ووجاهة عندهم  
 (حين تريحون) تردونها من مراعيها إلى مراعيها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة من حظائرهما  
 إلى مسارحهما فالفعل محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لأن ما يدور عليه أمر  
 الجمال من تزين الألفية والأكناف بها وتجاوب ثعائها ورغائها إنما هو عند ورودها وصدورها في  
 ذينك الوقتين وأما عند كونها في المراعي فينقطع إصافتها الحسية إلى أربابها وعند كونها في الحظائر  
 لا يراها راء ولا ينظر إليها ناظر وتقديم الإراحة على السرح لتقدم الورد على الصدور وليكونها أظهر  
 منه في استتباع ما ذكر من الجمال وأنتم في استجلاب الأنس والبهجة إذ فيها حضور بعدغية وإقبال  
 بعد إدبار على أحسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرى حيناً تريحون وحيناً  
 تسرحون على أن كلا الفعلين وصف لحيناً بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل أُنْقَالَكُمْ) جمع ثقل  
 وهو متاع المسافرين وقيل أُنْقَالَكُمْ أجرامكم (إلى بلد) قال ابن عباس رضى الله عنهما أريد به اليمن ومصر  
 والشام ولعله نظر إلى أنها متاجر أهل مكة وقال عكرمة أريد به مكة ولعله نظر إلى أن أنقالمهم وأحمالمهم  
 عند القبول من متاجرهم أكثر وحاجتهم إلى الحمولة أمس والظاهر أنه عام لكل بلد سحيق (لم تكونوا  
 بالغية) واصلين إليه بأنفسكم مجردين عن الأنقال لولا الإبل (إلا بشق الأنفس) فضلاً عن استصحابها  
 معكم وقرى بفتح الشين وهما الغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الأمر عليه شقاً  
 وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كأنه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد  
 فالإضافة إلى الأنفس مجازية أو على تقدير مضاف أي وإلا بشق قوى الأنفس وهو استثناء مفرغ  
 من أعم الأشياء أي لم تكونوا بالغية بشيء من الأشياء إلا بشق الأنفس ولعل تغيير النظم الكريم  
 السابق الدال على كون الأنعام مداراً للنعيم السابقة إلى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للإشعار بأن

١٦ النحل

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

١٦ النحل

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾

هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للأوقات والاطراد في الأحيان الممودة بمثابة النعم السالفة فإنها بحسب المنشأ وخاصة بالإبل وبحسب المتعلق بالضرارين في الأرض المتقابين فيها للتجارة وغيرها في أحياء غير مطردة وأما سائر النعم المعدودة فوجوده في جميع أصناف الأنعام وعامة لكافة المخاطبين دائماً وفي عامة الأوقات (إن ربكم لرؤوف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الأمور الشاقة (والخيل) هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالإبل وهو عطف على الأنعام أي خلق الخيل (والبغال والحمير لتركبوها) تعليل بمعظم منافعها وإلا فالارتفاع بها بالحمل أيضاً مما لا ريب في تحقيقه (وزينة) عطف على محل تركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلاً لفاعل الفعل المعلل دون الأول وتأخير لكون الركوب أهم منه أو مصدر لفعل محذوف أي وتزينوا بها زينة وقرى به غير واو أي خلقها زينة لتركبوها ويجوز أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال من فاعل تركبوها أو مفعوله أي متزينين بها أو متزيناً بها (ويخلق ما لا تعلمون) أي يخلق في الدنيا غير ما عدد من أصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول إلى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة أو يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون أي ما ليس من شأنكم أن تعلموه وهو ما أشير إليه بقوله ﷺ حكاية عن الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن يكون هذا إخباراً بأنه سبحانه يخلق من الخلاق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمة الباطنة والظاهرة . عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عن يمين العرش نهراً من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نور وجمالاً إلى جمال وعظماً إلى عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم على طريقة الاستعارة أو على نهج إسناد حال سالكة إليه كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه أي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصول لمن يسلكه إلى الحق الذي هو التوحيد بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه أو مصدر بمعنى الإقامة والتعديل قاله أبو البقاء أي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها أي جعلها بحيث يصل سالكوها إلى الحق لكن لا بعدما كانت في نفسها منحرفة عنه بل إبداءها ابتداءً كذلك على نهج قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة إلى ما ذكر من نصب الأدلة وقد فعل ذلك حيث أبدع هذه البدائع التي كل واحد منها

لا حب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وأرسل رسلا مبشرين ومنذرين وأنزل عليهم كتباً من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ماجل من الأسرار ودق المهادى إلى سبيل الاستدلال بتلك الأدلة المفضية إلى معالم الهدى المنجية عن فياق الضلالة ومهاوى الردى ألا يرى كيف بين أولاً تنزه جناب الكبرياء وتعالیه بحسب الذات عن أن يحوم حوله شائبة توهم الإشراك ثم أوضح سر إلقاء الوحي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكيفية أمرهم بإبذار الناس ودعوتهم إلى التوحيد ونهيهم عن الإشراك ثم كر على بيان تعالیه عن ذلك بحسب الأفعال مرشداً إلى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ثم فصل أفعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بأنفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخاق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غيب بيان وتعديل له أيما تعديل فالمراد بالسبيل على الأول الجنس بدليل إضافة القصد إليه وقوله تعالى (ومنها) في محل الرفع على الابتداء إما باعتبار مضمونه وإما بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنادون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر إلخ أى بعض السبيل أو بعض من السبيل فإنها تؤنث وتذكر (جائر) أى مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه إليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كالماتحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع إليها بتقدير المضاف أى ومن جنسها لما عرفت من أن تعديل السبيل وتقويمه إبداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه وأياً ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الأسلوب رعاية لأمر مطلوب كما قيل فإن ذلك إنما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكاً معيناً وإسناد يعدل عن ذلك لنكتة أهم منه كما في قوله سبحانه الذى يطعمنى ويسقنى وإذا مرضت فهو يشفين فإن مقتضى الظاهر أن يقال والذى يسقمنى ويشفين ولكن غير إلى ما عليه النظم الكريم فتدريجاً عن إسناد ما تكرهه النفس إليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد إعلام أنه مستقيم حتى يصح إسناد أنه جائر إليه تعالى فيحتاج إلى الاعتذار عن عدم ذلك على أنه لو أريد ذلك لم يوجد لتغيير الأسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الأدلة لهداية الناس إليه ولا إمكان لإسناد مثله إليه تعالى بالنسبة إلى الطريق الجائر بأن يقال وجارها ثم يغير سبك النظم عن ذلك لداعية أقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جئ بها لبيان الحاجة إلى البيان والتعديل وإظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الأدلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا إلى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل إلى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتمام البتة فإن ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعيه تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصى بحسب الاستعداد وإليه أشير بقوله تعالى (ولو شاء الله لهداكم أجمعين) أى لو شاء أن يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة إليه البتة مستلزمة لاهتمامكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ولا

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾

١٦ النحل

يُنَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

١٦ النحل

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

حكمة في تلك المشيئة لما أن الذي عليه يدور فلك التكليف وإليه ينسحب الثواب والعقاب إنما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الأعمال التي بها ينيط الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه إليه على نهج الاستقامة وإيثار حرف الاستعلاء على أداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير أن يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علواً كبيراً كما في قوله تعالى هذا صراط على مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الأولى والمعنى أن قصد السبيل واصل إليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعاً إلى الأول وأنت خير بأن هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من أدلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه إجمالي وفصل بعض أدلته المتعلقة بأحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي إليه بعضاً للخاططين على التأمل فيما سبق وحثاً على حسن التلقى لما لحق أتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من أحوال النبات فقيل (هو الذي أنزل) بقدرته القاهرة (من السماء) أي من السحاب أو من جانب السماء (ماء) أي نوعاً منه وهو المطر وتأخره عن المجرور لما مر مراراً من أن المقصود هو الإخبار بأنه أنزل من السماء شيئاً هو الماء لا أنه أنزله من السماء والسر فيه ما سلف من أن عند تأخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقباً له مشتاقاً إليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن (لكم منه شراب) أي ما تشربونه وهو إما مرتفع بالظرف الأول أو مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه إيهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر إلى الاعتذار بأنه لا بأس به لأن مياه العيون والآبار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الأرض وقوله تعالى فأسكنناه في الأرض وقيل الظرف الأول متعلق بأنزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وأنت خير بأن ما فيه من توسط المنسوب بين المجرورين وتوسط الثاني منهما بين الماء وصفته بما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل (ومنه شجر) من ابتدائية أي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الأرض سواء كان له ساق أو لا أو تبعيضية مجازاً لأنه لما كان سقيه من الماء جعل كأنه منه كقوله أسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلاء الذي تأكله الإبل فتسمن أسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه يسمت يعني الكلاء (فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية وأسامها أصحابها وأصلها السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعى علامات في الأرض (ينبت) أي الله عز وجل وقرىء بالزون (لكم به) بما أنزل من السماء (الزروع والزيتون والنخيل والأعناب) بيان للنعم الفائضة عليهم من الأرض



وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾

١٦ النحل

بطريق الاستئناف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وأنها سنته الجارية على مر الدهور أو لاستحضار صورة الإنبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر آنفاً مع ما في تقديم أولهما من الاهتمام به لإدخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ماعداه لأنه أصل الأغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث إنه أدام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الأعناب لظهور أصلاتها وبقائها وجمع الأعناب للإشارة إلى ما فيها من الاشتمال على الأصناف المختلفة وتخصيص الأنواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى (ومن كل الثمرات) للإشعار بفضائها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للأنعام لحصوله بغير صنع من البشر أو الإرشاد إلى مكارم الأخلاق فإن مقتضاها أن يكون اهتمام الإنسان بأمر ما تحت يده وأكل من اهتمامه بأمر نفسه أو لأن أكثر المخاطبين من أصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذائه فإنه غذاء حيواني للإنسان وهو أشرف الأغذية وقرىء ينبت من الثلاثي مسنداً إلى الزرع وما عطف عليه (إن في ذلك) أى فى إزال الماء وإنبات ما فصل (لآية) عظيمة دالة على تفرده تعالى بالآلوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة (لقوم يتفكرون) فإن من تفكر فى أن الحبة أو الزواة تقع فى الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنبسط فى أعماق الأرض وينشق أعلاها وإن كانت منتكسة فى الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والحبوب والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الأشكال والألوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الأمثال على النمط المحرر لا إلى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة إلى الكل علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شيء فى شيء من صفات الكمال فضلاً عن أن يشاركه أخس الأشياء فى أخص صفاته التى هى الآلوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علواً كبيراً وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة إلى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكير (وسخّر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفاً لئلا تمكم ومعاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها (والشمس والقمر) يدأبان فى سيرهما وإنارتهم أصالة وخلافة وإصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التى من جملتهما ما فصل وأجل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاءوا كما فى قوله تعالى سبحانه الذى سخّر لنا هذا ونظّره بل هو تصرفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصلحتهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب إرادتهم وفى التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير إيماء إلى ما فى المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة إلى المخاطبين وإيثار صيغة الماضى للدلالة على أن ذلك أمر واحد مستمر وإن تجددت آثاره (والنجوم مسخرات بأمره) مبتدأ وخبر أى سائر النجوم فى

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ التحل ١٦

حركاتها وأوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى أو لما خلقن له بإرادته ومشيئته  
وحيث لم يكن عود منافع النجوم إليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملون والقمرين لم ينسب تسخيرها إليهم  
بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك  
عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرىء برفع الشمس  
والقمر أيضاً وقرىء بنصب النجوم على أنه مفعول أول لفعل مقدر يذى عنه الفعل المذكور ومسخرات  
مفعول ثان له أى وجعل النجوم مسخرات بأمره أو على أنه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات  
حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع أى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذى خلقها ودبرها  
كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو لحكمه أو مصدر ميمى جمع لاختلاف الأنواع أى أنواعا  
من التسخير وما قيل من أن فيه إيذاناً بالجواب عما عسى يقال أن المؤثر في تكوين النبات حركات  
الكواكب وأوضاعها بأن ذلك إن سلم فلا ريب في أنها أيضاً أمور ممكنة الذات والصفات واقعة على  
بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعاً للدور والتسلسل فبيناه  
حسبان ما ذكر أدلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وأنت تدري أن ليس الأمر كذلك  
فإنه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر  
الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من  
بعد موتها ليقولن الله الآية وإنما ذلك أدلة التوحيد من حيث إن من هذا شأنه لا يتوهم أن يشاركه شيء في شيء  
فضلا عن أن يشاركه الجواد في الألوهية (إن في ذلك) أى فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر بجملا ومفصلا  
\* (لايات) باهرة متكاثرة (لقوم يعقلون) وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم  
القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية أظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة إلى التأمل والتفكير  
ويجوز أن يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالشار إليه حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول  
عليها بالتسخير التى لا يتصدى لمعرفتها إلا الماهرة من أساطين علماء الحكمة ولا ريب في أن احتياجها إلى التفكير  
أكثر (وما ذرا) عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على أنه مفعول لجعل أى وما خلق (لكم في  
\* الأرض) من حيوان ونبات حال كونه (مختلفاً ألوانه) أى أصنافه فإن اختلافها غالباً يكون باختلاف  
اللون مسخر لله تعالى أو لما خلق له من الخواص والأحوال والكيفيات أو جعل ذلك مختلف الأنواع  
أى الأصناف لئلا تتعوا من ذلك بأى صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بأن ذكر  
الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بأن الأول لا يستلزم الثاني لزوماً عقلياً لجواز كون ما خلق لهم  
عزير المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر أى خلق وأنبت على أن قوله مختلفاً ألوانه حال  
\* من مفعوله (إن في ذلك) الذى ذكر من التسخيرات ونحوها (لاية) بينة الدلالة على أن من هذا شأنه  
\* واحداً لا ند له ولا ضد (لقوم يذكرون) فإن ذلك غير محتاج إلا إلى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلَّوْا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

١٦ النحل

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَضُوا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

١٦ النحل

الضرورة وأما ما يقال من أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم فداره مالو حنا به من حسابان ماذكر دليلا على إثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فإن إيراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من المقدمات المسددة جى به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة أن يشاركه شيء في الألوهية (وهو ١٤ الذى سخر البحر) شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر لاثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا أى جعله بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد (لناكلوا منه لحما طريا) هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل ووصفه بالطراوة للإشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة إلى أكله كيلا يتسارع إليه الفساد كما ينبى عنه جعل البحر مبتدأ أكله وللإيذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن إطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله والجواب أن مبنى الإيمان العرف ولا ريب في أنه لا يفهم من اللحم عند الإطلاق ولذلك لو أمر خادمه بشراء اللحم لجاء بالسمك لم يكن ممثلا بالأمر ألا يرى إلى أن الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال إن شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة (وأتستخرجوا منه حلية) كاللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم أو لكون لبسهن لأجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جرى الفلك (ولتبتغوا) عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتهديد مبادئ الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية أو على علة محذوفة أى لتبتغوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الأنبارى أو متعلقة بفعل محذوف أى وفعل ذلك لتبتغوا (من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجاسة (ولعلكم تشكرون) أى تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث إن فيها قطعاً لمسافة طويلة مع أحمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مراوغة أسباب السفر بل من غير حركة أصلا مع أنها في تضاعيف الممالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للإيذان باستغنائها عن النصريح به وبحصولها معاً (وألقى في الأرض رواسي) أى ١٥ جبالا ثوابت وقدر تحقيقه في أول سورة الرعد (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب أولئلا تميد بكم فإن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك أو تتحرك بأدنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت حافاتها وتوجهت الجبال

١٦ التحل

وَعَلَّمَنِي وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

١٦ التحل

أَفَنَ يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

بقيام نحو المركز فصارت كالآلة وتاد وقيل لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهاراً) أى وجعل فيه أنهاراً لأن فى ألقى معنى  
 ١٦ الجعل (وسبلاً لعلكم تهتدون) بها إلى مقاصدكم (وعلامات) معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل  
 ومنهل وريح وقد نقل أن جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى  
 العارى والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو النريا والفرقدان وبنات النعش  
 والجدى وقرى بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الأول بطريق حذف الواو  
 من النجوم للتحفيف ولعل الضمير لقرى فإشراهم كانوا كثيرى النرد للنجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم  
 فى أسفارهم وصرف النظم عن سن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم  
 ١٧ خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فلا اعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم (أفن يخلق)  
 هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الأفاعيل البديعة أو يخلق كل شىء (كمن لا يخلق) شيئاً أصلاً  
 وهو تبكيت للكفرة وإبطال لإشراكهم وعبادتهم الأصنام بإنكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها  
 وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضى ذلك اقتضاء ظاهراً وتعقيب الحمزة بالغاء لتوجيه الإنكار إلى  
 توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الأمور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك  
 فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم لآيتين والافتقار على ذكر الخلق من  
 بينها لكونه أعظمها وأظهرها واستتباعه إياها أو لكون كل منها خلقاً مخصوصاً أى أبعد ظهور اختصاصه  
 تعالى بمبدئية هذه الشئون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرد به باللوهية واستبداده باستحقاق  
 العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمنزل من ذلك بالمرة كما هو قضية إشراككم ومدارها وإن كان  
 على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين اختير ما عليه النظم الكريم  
 مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفادياً عن توسيط عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبهاً  
 على كمال قبح ما فعلوه من حيث إن ذلك ليس مجرد رفع الأصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية إلى  
 مرتبة المحدثات ولا ريب فى أنه أقبح من الأول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شأنه كائناتاً ما كان والتعبير  
 عنه بما يخص بالعقلاء للمشكلة أو العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم لدلالة النص فإن من يخلق حيث  
 لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وأياً ما كان فدخل الأصنام فى حكم عدم  
 المائلة والمشابهة إما بطريق الاندراج تحت الموصول العام وإما بطريق الانفهام بدلالة النص على  
 الطريقة البرهانية لأنها هى المرادة بالموصول خاصة (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون  
 ذلك فإنه لو ضوحه بحيث لا يفتقر إلى شىء سوى التذكير.

وَأِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ النحل ١٦

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ النحل ١٦

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ النحل ١٦

- (وإن تعدوا نعمة الله) تذكري إجمالاً لنعمته تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر إirاده عقبيها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون المبادرة إلى إلزام الحجة وإلزام الحجة لإثر تفصيل ما فصل من الأفاعيل التي هي أدلة الوجدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلائلها عليهم وإن لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلائلها من حيثية الإلزام أيضاً لكنها حيث كانت مستتبعات الحيثية الأولى استغنى عن التصريح بهائم بين حالها بطريق الإجمال أي إن تعدوا نعمته الفائضة عليكم بما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً (لأحصوها) أي لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو إجمالاً فضلاً \* عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة إبراهيم بفضل الله سبحانه (إن الله لغفور) \* حيث يستمر ما فرط منكم من كفرانها والإخلال بالقيام بحقوقها ولا يماجلكم بالعقوبة على ذلك (رحيم) \* حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون وتذرون من أصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وأيما نعمة فالجملة لتعليل للحكم بعدم الإحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية (والله يعلم ما تسرون) تضررونه من العقائد والأعمال (وما تعلمون) أي تظهرونه منهما وحذف العائد لإعارة الفواصل أي يستوى بالنسبة إلى علمه المحيط سرهم وعلنهم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الإلهية مالا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على أبلغ وجه كان علمه تعالى بالسر أقدم منه بالعلن أو لأن كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمحل في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية (والذين يدعون) شروع في تحقيق كون الأصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد أوصافها وأحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الأحوال وإن كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وأنهم لا يعرفون ذلك إلا بالتصريح أي والآلهة الذين يعبدون الكفار (من دون الله) سبحانه \* وقرى على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب (لا يخلقون شيئاً) من الأشياء أصلاً أي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين الخلوقة تلازم بحسب المفهوم وإن تلازما في الصدق أثبت لهم ذلك تصريحاً فليل (وهم يخلقون) أي شأنهم ومقتضى ذاتهم الخلوقة لأنهم ذات ممكنة مفتقرة في ماهياتها وجوداتها إلى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما أثبت لهم وبين ما نفي
- ١٤٥ - أبي السعود

١٦ النحل

أَمُوتْ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ١٦ النحل

١٦ النحل

لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

عندهم من وصفى المخلوقة والخالقية والإيدان بعدم الافتقار إلى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل  
بفاعله جل جلاله ويجوز أن يجعل الخلق الثاني عبارة عن النعت والتصوير رعاية للمشكلة بينه وبين  
الأول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبادتهم وأعجز عنهم وإيداناً بكال ركاكة عقولهم حيث أشركوا  
بخالقهم مخلوقهم وأما جعل الأول أيضاً عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له إذ القدرة على مثل ذلك الخالق  
ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة أصلاً ولما أن إثبات المخلوقة لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما أن  
بعض المخلوقين أحياء صرح بذلك فقيل (أموات) وهو خبر ثان للوصول لا للضمير كما قيل أو خبر  
مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الأموات مما يعتريه الحياة سابقاً أو لاحقاً كجساد الحيوان والنطف  
التي ينشئها الله تعالى حيواناً احتراز عن ذلك فقيل (غير أحياء) أي لا يعترىها الحياة أصلاً فهي أموات  
على الإطلاق وأما قوله تعالى (وما يشعرون أيان يبعثون) أي ما يشعر أولئك الآلهة أيان يبعث عبدتهم  
فعلى طريقة التهمك بهم لأن شعور الجهاد بالأمور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل أحد فكيف بمالا  
يعلمه إلا العليم الخبير وفيه إيدان بأن البعث من لوازم التكليف وإن معرفة وقته بما لا بد منه في الألوهية  
٢٢ (إلهكم إله واحد) لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتمحيض للنتيجة غب إقامة الحججة  
(فالذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم  
لعقوبتهم وذللتهم (قلوبهم منكروة) للوحدانية جاحدة لها أو للآيات الدالة عليها (وهم مستكبرون)  
عن الاعتراف بها أو عن الآيات الدالة عليها والفاء للإيدان بأن إصرارهم على الإنكار واستمرارهم  
على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى أنه قد ثبت بما قرر من  
الحجج والبيّنات اختصاص الإلهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك إصرارهم على ما ذكر من الإنكار  
والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الوصول للإشعار بكونه معللاً بما في حيز الصلة فإن الكفر  
بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع إلى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي إلى قصر  
ال نظر على العاجل والإعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لإنكارها وإنكار مؤداها  
والاستكبار عن اتباع الرسول ﷺ وتصديقه وأما الإيمان بها وبما فيها فيدعو لاحالة إلى التأمل في  
٢٣ الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقيناً بالوحدانية وخضوعاً لأمر الله تعالى (لا جرم) أي  
حقاً وقد مر تحقيقه في سورة هود (أن الله يعلم ما يسرون) من إنكار قلوبهم (وما يعلنون) من استكبارهم  
وقولهم للقرآن أساطير الأولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك (لأنه لا يحب المستكبرين)  
تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد أي لا يحب المستكبرين عن التوحيد أو عن الآيات الدالة عليها أو

١٦ النحل

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ

١٦ النحل

مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ

١٦ النحل

الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

- لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر (وإذا قيل لهم) أى لأولئك المنكرين المستكبرين ٢٤ وهو بيان لإضلالهم غيب بيان ضلالهم (ماذا أنزل ربكم) القائل الوافدون عليهم أو المسلمون أو بعض منهم على طريق التهم وماذا منصوب بما بعده أو مرفوع أى شئ أنزل أو ما الذى أنزله (قالوا أساطير الأولين) أى ماتدعون نزوله والمنزل بطريق السخرية حاديت الأولين وأباطيلهم وليس من الإنزال فى شئ قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ﷺ عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه ﷺ (ليحملوا) متعلق بقالوا أى قالوا ما قالوا ليحملوا (أوزارهم) ٢٥ الخاصة بهم وهى أوزار ضلالهم (كاملة) لم يكفر منها شئ بنسبة أصابتهم فى الدنيا كما يكفر بها أوزار المؤمنين (يوم القيامة) ظرف ليحملوا (ومن أوزار الذين يضلونهم) وبعض أوزار من ضل بإضلالهم وهو وزر الإضلال لأنهما شريكان هذا يضلّه وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل فى نفس الأمر من غير أن يكون غرضاً وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الإضلال أو باعتبار حال قولهم لا حال الحمل (بغير علم) حال من الفاعل أى يضلونهم غير عالين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال وأما حمله على معنى غير عالين بأنهم يحملون يوم القيامة أوزار الضلال والإضلال على أن يكون العامل فى الحال قالوا وتأيد به سياتى من قوله تعالى وأتام العذاب من حيث لا يشعرون من حيث إن من حمل ما ذكر من أوزار الضلال والإضلال من قبيل إتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده أن الحمل المذكور إنما هو يوم القيامة والعذاب المذكور إنما هو العذاب الدنيوى كما ستقف عليه أحوال من المفعول أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وقائدة التقييد بها الإشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذى لب وإنما يتبعهم الأغبياء والجهلة والتنبيه على أن جهلهم ذلك لا يكون عذراً إذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين الحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل (ألا ساء ما يزرُونَ) أى بئس شيئاً يزرُونَ ما ذكر (قد مكر الذين من قبلهم) وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم إلى أنفسهم كدأب من قبلهم من الأمم الخالية الذين أصابهم ما أصابهم من العذاب العاجل أى قدسوا منصوبات ليذكروا بهارسل الله تعالى (فاتى الله) أى أمره وحكمه (بنيانهم) وقرىء بينهم وبيوتهم (من القواعد) وهى الأساطين التى تعمد به أو أساسه فضعضت أركانه (نخر عليهم السقف من فوقهم) أى سقط عليهم سقف بنيانهم إذ لا يتصور له القيام

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُسْتَفْتُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ  
إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

١٦ النحل

بعد تهدم القواعد شبت حال أولئك الماكرين في تسويتهم المكاييد والمنصوبات التي أردوا بها الإيقاع  
برسل الله سبحانه وفي إبطاله تعالى تلك الحيل والمكاييد وجعله إياها أسباباً لهلاكهم بحال قوم بنوا بنياناً  
وعمدوه بالأساطين فأتى ذلك من قبل أساطينه بأن ضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا وقرىء نخر  
عليهم السقف بضمين (وأناهم العذاب) أى الهلاك والدمار (من حيث لا يشعرون) يأتيناه منه بل  
يتوقعون إتيان مقابله بما يريدون ويشتهون والمعنى أن هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم أساطير  
الاولين سيأتىهم من العذاب مثل ما أتاهم وهم لا يحسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه (ثم  
يوم القيامة يخزيهم) فإنه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى هذا الذى فهم من التمثيل من عذاب  
هؤلاء أو ما هو أعم منه وما ذكر من عذاب أولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيامة يخزيهم أى يذلهم  
بعذاب الخزي على رؤوس الأشهاد وأصل الخزي ذل يستحي منه وهم الإيماء إلى ما بين الجزامين من  
التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبيل بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم  
القيامة كما هو المتبادر من تقدير الظرف على الفعل بل لأن الإخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بأن لهم جزاء  
آخر وياً فتبقى النفس مترقبة إلى وروده سائلة عنه بأنه ماذا مع تيقنها بأنه في الآخرة فسبق الكلام على  
وجه يؤذن بأن المقصود بالذكر لإخزاؤهم لا كونه يوم القيامة والضمير إما للمفترين في حق القرآن  
الكريم أولهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما أشير إليه وتخصيصه بهم بإياه السباق والسياق كما ستقف  
عليه (وبقول) لهم تفضيحاً وتوبيخاً فهو الخ بيان للإخزاء (أين شركائى) أضافهم إليه سبحانه حكاية  
لإضافتهم الكاذبة فقيه توبيخ إثر توبيخ مع الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أى تخاصمون  
الأنبياء والمؤمنين في شأنهم بأنهم شركاء حقاً حين يذو الحكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها  
للشفاعة أو المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيك والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة  
حتى يعتذر بأنهم يجوز أن يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء فيها أو  
بأنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب بل يكفى في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذى كانوا يزعمون أنهم منصفون  
من عنوان الإلهية فليس هناك شركاء ولا أما كنهها على أن قوله ليتفقدوها ليس بسديد فإنه قد تبين عندهم  
الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرىء بكسر النون أى تشاقوني  
على أن مشاقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين لاسيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل  
(قال الذين أوتوا العلم) من أهل الموقف وهم الأنبياء والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد وكانوا  
يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم أى توبيخاً لهم وإظهاراً للشكاهة بهم وتقريراً  
لما كانوا يعطونهم وتحقيراً لما أوعدوهم به وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحمه وقوعه حسبما هو



الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا أَلْسَلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

النحل ١٦

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

النحل ١٦

- المعتاد في أخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف (إن الخزي) الفضيحة \*  
والذل والهوان (اليوم) منصوب بالخزي على رأى من يرى إعمال المصدر المصدر باللام أو بالاستقرار \*  
في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف إلا أنه مغتفر في الظروف وإيراده للإشعار بأنهم  
كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق (والسوء) العذاب (على الكافرين) بالله تعالى وبآياته ورسوله (الذين تتوفاهم ٢٨  
الملائكة) بتأنيث الفعل وقرىء بتذكيره وبإدغام التاء في التاء والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار  
صورة توفهم إياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على أنه نعت للكافرين أو بدل منه أو في محل  
النصب أو الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره إلى حين الموت دون من آمن  
منهم ولو في آخر عمره أى على الكافرين المستمرين على الكفر إلى أن يتوفاهم الملائكة (ظالمى أنفسهم) \*  
أى حال كونهم مستمرين على الكفر فإنه ظلم منهم لأنفسهم وأى ظلم حيث عرضوها للعذاب المخدوبدولوا  
فطرة الله تبديلاً (فألقوا السلم) أى فيلقون والعدول إلى صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع وهو  
عطف على قوله تعالى ويقول أين شركائى وما بينهما جملة اعتراضية جىء بها تحقيقاً لما حاق بهم من الخزي  
على رموس الأَشهاد أى فيسلمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة  
الشكيمة قائلين (ما كنا نعمل) في الدنيا (من سوء) أى من شرك قالوه منكبين لصدوره عنهم كقوله لهم  
والله ربنا ما كنا مشركين وإنما عبروا عنه بالسوء اعترافاً بكونه سيئاً لا إنكاراً لكونه كذلك مع الاعتراف  
بصدوره عنهم ويجوز أن يكون تفسيراً للسلم على أن يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين  
فموجوب عن قوله سبحانه أين شركائى في سورة الأنعام لا عن قول أولى العلم إطاء لعدم استحقاقهم  
لما دهمهم من الخزي والسوء (بل) رد عليهم من قبل أولى العلم وإثبات لما نفوه أى بلى كنتم تعملون ما تعملون \*  
(إن الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أوانه (فادخلوا أبواب جهنم) أى كل صنف باب ٢٩  
المعدله وقيل أبوابها أصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابس والمقاساة (خالدين فيها) إن أريد  
بالدخول حدوته فالحال مقدرة وإن أريد مطلق الكون فيها فهى مقارنة (فلبئس مَثْوًى المتكبرين) \*  
عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكروهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر الإشعار بعليته  
لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف أى جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بأننا ما كنا عاملين  
ذلك في اعتقادنا روماً للحفاظة على أن لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما في سورة الأنعام من  
قوله تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم .

## ١٦ النحل

الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾

جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ

## ١٦ النحل

الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾

الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ النحل

٣٠. (وقيل للذين اتقوا) أى المؤمنين وصفوا بالتقوى إشعاراً بأن ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن

• التقوى (ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً) سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعم ولا تغيير في

الصورة والمعنى أى أنزل خيراً فإنه جواب مطابق للسؤال ولسببك الواقع فى نفس الأمر مضمونا وأما

الكفرة فإنهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس له من دافع غيروا

صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الأساطير وما لما ممن إنكار النزول روى أن أحياء

العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمره

فَالْأَنْصَارُ وَقَالُوا إِنْ لَمْ تَنْفَعْنَا كُنْ خَيْرًا لَكَ فَيَقُولُ أَفَأَنْتَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَى قَوْمِكَ أَنْ أَسْأَلَهُمْ

• أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا أخيراً (الذين

\* أحسنوا) أى أعملوا أو فعلوا الإحسان (فى هذه) الدار (الدنيا حسنة) أى مثوبة حسنة مكافأة فيها

• (ولدار الآخرة) أى مثوبتهم فيها (خير) مما أتوا فى الدنيا من المثوبة أو خير على الإطلاق فيجوز

\* إسناد الخيرية إلى نفس دار الآخرة (ولنعلم دار المتقين) أى دار الآخرة حذف لدلالة ماسبق عليه

وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة إحسانهم ووعدهم بذلك ثوابي

الدنيا والآخرة فلا محل له من الإعراب أو بديل من خيراً أو تفسير له أى أنزل خيراً هو هذا الكلام

۳۱ الجامع قالوه ترغيباً للسائل (جنات عدن) خبر مبتداً محذوف أو مبتداً خبره محذوف أي لهم جنات

\* ويجوز أن يكون هو المخصوص بالمدح (يدخلونها) صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك (تجزي

\* من تحتها الانهار ) أو كلاهما حال على تقدير علميته ( لهم فيها ) في تلك الجنات ( ما يشاؤون ) الظرف

الأول خبر لما والثاني حال منه والعامل مافى الأول أو متعلق به أى حاصل لهم فيها ما يشاؤون من

أنواع المشتبهات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشيئة أو لما مر مراراً من أن تأخير ماحقه التقديم

\* يوجب ترقب النفس إليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن (كذلك) مثل ذلك الجزاء الأوفى

\* (يجزى الله المتقين) اللام للجنس أى كل من يتقى من الشرك والمعاصى ويدخل فيه المتقون المذكورون

٣٢ دخولا أولياً ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى أو للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة (الذين تنوون

\* الملائكة ) نعت للمؤمنين وقوله تعالى ( طيبين ) أى طاهرين عن دنس الظلم لأنفسهم حال من الضمير

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾

النحل ١٦

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

النحل ١٦

وقادته الإيذان بأن ملاك الأمر في التقوى هو الطهارة عما ذكر إلى وقت توفهم ففيه حث للؤمنين على الاستمرار على ذلك وغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه أنفسهم بالكلية إلى جناب القدس (يقولون) حال من الملائكة أى قائلين لهم (سلام عليكم) قال القرطبي رحمه الله إذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله تعالى يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (ادخلوا الجنة) اللام للعهد أى جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فإن ذلك بشارة عظيمة وإن تراخى المبشر به لادخول القبر الذى هو روضة من رياضها إذ ليس في البشارة به مافى البشارة بدخول نفس الجنة (بما كنتم تعملون) بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة أو بالذى كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفى التوفى للحشر لأن الأمر بالدخول حينئذ يتحقق (هل ينظرون) أى ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم (إلا ٣٣ أن تأتيمهم الملائكة) لقبض أرواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لا لأنه يلحقهم البتة لحوق الأمر المنتظر بل لمباشرتهم لأسبابه الموجبة المؤدية إليه فكأنهم يقصدون إتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفصل (أو يأتى أمر ربك) التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷻ إشعار بأن إتيانه لطف به ﷻ وإن كان عذاباً عليهم والمراد بالأمر العذاب الدينى لا القيامة لكن لا لأن انتظارها يجمع انتظار إتيان الملائكة فلا يلائمه العطف بأولائها لأنها ليست نصافى العناد إذ يجوز أن يعتبر منع الخلو ويراد بإيرادها كفاية كل واحد من الأمرين في عذابهم بل لأن قوله تعالى فيما سيأتى ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم الآية صريح في أن المراد به ما أصابهم من العذاب الدينى (كذلك) أى مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء (فعل الذين) خلوا (من قبلهم) من الأمم (وما ظلمهم الله) بما سبقت من عذابهم (ولكن كانوا) بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك (أنفسهم يظلمون) كان الظاهر أن يقال ولكن كانوا الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه أوتر ما عليه النظم الكريم لإفادة أن غائلة ظلمهم آيلة إليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل أحد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس (فأصابهم) عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان أن فعلهم ذلك ظلم ٣٤ لأنفسهم (سيئات ما عملوا) أى أجزية أعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه إيذاناً بفظاعته لا على حذف المضاف فإنه يوم أن لهم أعمالاً غير سيئاتهم (وحاق بهم) أى أحاط بهم من الحيق الذى هو إحاطة الشر وهو أبلغ من الإصابة وأقطع (ما كانوا به يستهزئون) من العذاب

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ  
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٥﴾ ١٦ النحل  
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ  
حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٥٦﴾ ١٦ النحل

٣٥ (وقال الذين أشركوا) أى أهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الإصرار إلى الموصول  
لتنقير يعهم بما فى حيز الصلة وذهمهم بذلك من أول الأمر (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) أى لو شاء عدم  
عبادتنا لشيء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك (نحن ولا آبائنا) الذى نفتدى بهم فى ديننا (ولا حرمانا من دونه  
من شيء) من السوائب والبجائر وغيرها وإنما قالوا ذلك تكذيباً للرسل ﷺ وطعننا فى الرسالة رأساً  
متمسكين بأن ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو أنه شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئاً ولا نحرم عما  
حرماناً شيئاً كما يقول الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الأمر كما شاء من التوحيد ونفى الإشراك  
وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت أنه لم يشأ شيئاً من ذلك وإنما يقوله الرسل من تلقاء أنفسهم فأجيب  
عنه بقوله عز وجل (كذلك) أى مثل ذلك الفعل الشنيع (فعل الذين من قبلهم) من الأمم أى أشركوا  
بالله وحرّموا حله وردوا رسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم على الخطأ وهدوهم إلى الحق (فهل على  
الرسل) الذين يبلغون رسالات الله وعزائم أمره ونهيهم (إلا البلاغ المبين) أى ليست وظيفتهم إلا تبليغ  
الرسالة تبليغاً واضحاً أو موضحاً وإبانة طريق الحق وإظهار أحكام الوحي الذى من جملتها تحمى تعلق مشيئة  
الله تعالى بأعداءه من صرف قدرته واختياره إلى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم  
سبلنا وأما الجاؤم إلى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاموا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من  
وظيفتهم ولا من الحكمة التى عليها يدور أمر التكليف فى شيء حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم  
حقيقة الرسل أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فإن ما يترتب عليه الثواب والعقاب من أفعال العباد  
لا بدق تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئى إلى تحصيله وإلا  
لكان الثواب والعقاب اضطراريين قائما للتعليل كما أنه قيل كذلك فعل أسلافهم وذلك باطل فإن الرسل  
ليس شأنهم إلا تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما وإجراء موجبهما على الناس قسراً  
والجاء لإيراد كلمة على للإبذان بأنهم فى ذلك مأمورون أو بأن ما يبلغونه حق للناس عليهم إيفاءه وبهذا  
ظهر أن حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى أعلم بالصواب (ولقد بعثنا  
٢٦ فى كل أمة رسولا) تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بأفعال العباد بعد بيان أن الإلجاء ليس من  
وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الأفعال الاختيارية  
لهم أى بعثنا فى كل أمة من الأمم الحالية رسولا خاصاً بهم (أن اعبدوا الله) يجوز أن تكون أن  
مفسرة لما فى البعث من معنى القول وأن تكون مصدرية أى بعثنا بأن اعبدوا الله وحده (واجتنبوا

إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

١٦ النحل

- الطاغوت) هو الشيطان وكل ما يدعو إلى الضلالة (فمنهم) أي من تلك الأمم والفناء فصيحة أي فبلغوا
- ما بعثوا به من الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم (من هدى الله) إلى الحق
- الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي إلى تحصيله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي وجبت وثبتت إلى حين الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته إلى تحصيل الحق وتغيير الأسلوب للإشعار بأن ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها إلا حسبما حصل منهم من التوجه إلى الحق وعدمه إلا بطريق القسر والإلجام حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده (فسيروا) يامعشر قريش (في الأرض فانظروا) في أكنافها (كيف كان عاقبة المكذبين) من عادوثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الأمر بالسير على مجرد الإخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير إخبار بحلول العذاب للإيذان بأنه غنى عن البيان وأن ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما أنه بعده وأن ملاك الأمر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بأنه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء (إن تحرص) خطاب لرسول الله ﷺ وقرىء بفتح ٣٧
- الراء وهي لغية (على هدام) أي إن أطلب هدايتهم بجمدك (فإن الله لا يهدي من يضل) أي فاعلم أنه تعالى لا يخلق الهداية جبراً أو قسراً فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على أنهم ممن حقت عليه الضلالة وللإشعار بعلّة الحكم ويجوز أن يكون المذكور علة للجزاء المحذوف أي إن تحرص على هدام فلست بقادر على ذلك لأن الله لا يهدي من يضل وهؤلاء من جملتهم وقرىء لا يهدي على بناء المفعول أي لا يقدر أحد على هداية من يضل الله تعالى وقرىء لا يهدي بفتح الهاء وإدغام تاء يهتدى في الدال ويجوز أن يكون يهدي بمعنى يهتدى وقرىء يضل بفتح الياء وقرىء لا هادي لمن يضل ولمن أضل (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم في الهداية أو يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فإن مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد لا لأن المراد نبي طائفة من الناصرين من كل منهم (وأقسموا بالله) شروع في بيان فن آخر من أباطيلهم ٣٨ وهو إنكارهم البعث (جمد أيمانهم) مصدر في موقع الحال أي جاهدين في أيمانهم (لا يبعث الله من يموت) ولقد رد الله تعالى عليهم أبلغ رد بقوله الحق (بلى) أي بلى يبعثهم (وعداً) مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فإن ذلك موعد من الله سبحانه أو المحذوف أي وعد بذلك وعداً (عليه) صفة لوعده أي وعداً ثابتاً عليه

لَيْبِينَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ النحل ١٦

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ رُكْنٌ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ النحل ١٦

- ✽ إنجازها لا متناهي الخلف في وعده أو لأن البعث من مقتضيات الحكمة (حقاً) صفة أخرى له أو نصب على
- ✽ المصدرية أى حق حقاً (ولكن أكثر الناس) لجهلهم بشئون الله عز شأنه من العلم والقدرة والحكمة
- وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى
- ✽ منه وعلى أن البعث مما يقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها (لا يعلمون) أنه يبعثهم فيبتون
- القول بعدمه أو أنه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا
- ٣٩ أساطير الأولين (ليبين لهم) غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت إذ التبيين يعم المؤمنين
- أيضاً فإنهم وإن كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الأمر فيصل علمهم إلى مرتبة
- عين اليقين أى يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الأحوال كما هي ومعاينتها بصورها
- ✽ الحقيقية الشأن (الذين يختلفون فيه) من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه
- ✽ البعث دخولا أولاً (وليعلم الذين كفروا) بالله سبحانه بالإشراك وإنكار البعث وتكذيب وعده الحق
- ✽ (أنهم كانوا كاذبين) في كل ما يقولون لاسيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول
- للدلالة على نغامته والإشعار بعلمية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلها غاية للبعث
- المشار إليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وإبطال مقالة المعاندين المستدعى للتعرض لما
- يردعهم عن المخالفة وبلجهم إلى الإذعان للحق فإن الكفرة إذا علموا أن تحقيق البعث إذا كان لتبيين
- أنه حق وليعلموا أنهم كاذبون في إنكاره كان ذلك أزجر لهم عن إنكاره وأدعى إلى الاعتراف به ضرورة
- أنه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر أنك تصلى لأصلين رغماً لأنك وإظهار الكذبك
- ولا تنكر الغايات أدل على وقوع الفعل المغايبها وإلا فالغاية الأصلية للبعث باعتبار ذاته إنما هو
- الجزاء الذى هو الغاية القصوى للخلق المغايب بمعرفة عز وجل وعبادته وإنما لم يذكر ذلك لتكرار ذكره
- في مواضع أخرى وشهرته وإنما لم يذكر علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بأن يقال وإن الذين كفروا كانوا
- كاذبين بل جرى بصيغة العلم لأن ذلك ليس مما تعلق به التبيين الذى هو عبارة عن إظهار ما كان مبهما قبل
- ذلك بأن يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذى نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون وأما كذب الكافرين
- فليس من هذا القبيل فماتعلق به علم ضرورى حاصل لهم من قبل أنفسهم وقدمر تحقيقه في سورة التوبة
- عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وإنما خص الإسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا أن الكافرين
- ٤٠ الآية لأن علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك أيضاً (إنما قولنا) استئناف لبيان كيفية التكوين على
- ✽ الإطلاق إبداء وإعادة بعد التنبيه على إنية البعث ومنه يظهر كيفيته فأكافه وقولنا مبتدأ وقوله (لشئ) أى
- أى شئ كان مما عزوهم أن متعلق به على أن اللام للتبليغ كفى في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية
- أى لا أجل شئ وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لأنه كان شئنا

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

١٦ النحل

- قبل ذلك (إذا أردناه) ظرف لقولنا أى وقت إرادتنا لوجوده (أن نقول له كن) خبر للبستاء (فيكون) \*  
 إما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام أى فتقول ذلك فيكون كقوله تعالى إذا قضى  
 أمراً فإنما يقول له كن فيكون وإما جواب لشرط محذوف أى فإذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك  
 قول ولا مقول له ولا أمر ولا ما مور حتى يقال إنه يلزم منه أحد المحالين إما خطاب المعلوم أو تحصيل  
 الحاصل أو يقال إنما يستدعيه انحصار قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار أسباب التكوين فيه كما  
 يفيد قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فإن المراد بالأمر هو الشأن الشامل  
 للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الإطلاق فيه بل إنما هو تمثيل لسهولة  
 تأتى المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير أسرع حدودها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور  
 المطيع لأمر الأمر المطاع فالمعنى إنما إيجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون ولما  
 عبر عنه بالأمر الذى هو قول مخصوص وجب أن يعبر عن مطلق الإيجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية  
 الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والألباب وقرئ بنصب يكون عطفاً على نقول أو تشبيهاً له  
 بجواب الأمر (والذين هاجروا في الله) أى في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجه (من بعد ما ظلموا) ٤١  
 ولعلمهم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ وأخرجهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم  
 بوأهم الله تعالى المدينة حسباً وعد بقوله سبحانه (لننبوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) أى مباداة حسنة أو تبوئة  
 حسنة كما قال قتادة وهو الأنسب بما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية  
 وأما ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعائس وجبير  
 وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم يريدونهم عن الإسلام فأما صهيب فقال لهم أنا  
 رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر  
 رضى الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فإنما  
 يناسب ما حكى عن الأصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية إلى آخر  
 السورة مدنية فيحمل ما نقلناه عنه من نزول الآية في أصحاب الهجرة على أن يكون نزولها بالمدينة بين  
 الهجرة وأما جعل رسول الله ﷺ من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرئ لشوئهم  
 ومعناه إثوادة حسنة أو لنزولهم في الدنيا منزلة حسنة وهى الغلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب  
 قاطبة وأهل الشرق والغرب كافة (ولا جزاء الآخرة) أى أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة (أكبر) مما  
 يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك  
 الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة أفضل (لو كانوا يعلمون) الضمير  
 للكفار أى لو علموا أن الله تعالى يجمع لهم المهاجرين خير الدارين لو أقوم في الدين وقيل للمهاجرين

١٦ النحل

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ١٦ النحل

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ١٦ النحل

- ٤٢ أى لو علموا ذلك ل زادوا فى الاجتهاد أو لما تألموا لما أصابهم من المهاجرة وشدائدها (الذين صبروا) على الشدائد من أذية الكفار ومفارقة الأهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب أو الرفع على المدح (وعلى ربهم) خاصة (يتوكلون) منقطعين إليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين إليه الأمر كله والجملة إما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال
- ٤٣ للدلالة على دوام التوكل أو حال من ضمير صبروا (وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً نوحى إليهم) وقرئ بالياء مبنياً للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله أجل من أن يكون له رسول من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ أى جرت السنة الإلهية حسبما اقتضته الحكمة بأن لا يبعث الدعوة العامة إلا بشراً يوحى إليهم بواسطة الملك أو امره ونواحيه ليلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله ﷺ تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب إليهم ف قيل (فاستلوا أهل الذكر) أى أهل الكتاب أو علماء الأخبار أو كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموا ذلك (إن كنتم لا تعلمون) حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على أنه لم يرسل الدعوة العامة ملكاً وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلاً معه رسلاً إلى الملائكة أو إلى الرسل ولا امرأة ولا صبياً ولا ينافيه نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو فى المهد لأنها أعم من الرسالة وإشارة إلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم (بالبينات والزبر) بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدّر وقع جواباً عن سؤال من قال بهم أرسلوا ف قيل أرسلوا بالبينات والزبر أو بما أرسلنا داخل تحت الاستثناء مع رجلاً عند من يجوزه أى ما أرسلنا إلا رجلاً بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط أو على نية التقديم قبل أداة الاستثناء أى ما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجلاً عند من يجوز تأخر صلة ما قبل إلا إلى ما بعده أو بما وقع صفة للبستنى أى إلا رجلاً ملتبساً بالبينات أو بنوحى على المفعولية أو الحالية من القائم مقام فاعل يوحى وهو إليهم على أن قوله تعالى فاستلوا اعتراض أو بقوله لا تعلمون على أن الشرط للتبكي كقول الأنجبر
- إن كنت عملت لك فاعطى حق (وأنزلنا إليك الذكر) أى القرآن وإنما سمي به لأنه تذكير وتنبيه للغافلين (لتبين للناس) كافة ويدخل فيهم أهل مكة دخولاً أولاً (ما نزل إليهم) فى ذلك الذكر من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافياً كما ينبى عنه صيغة التفعيل فى الفعلين لاسيما بعد ورود الثانى أولاً على صيغة الأفعال ولما أن التبين أعم من التصريح بالمقصود ومن الإرشاد إلى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الإطلاق سواء كان فى الأحكام الشرعية أو غيرها ولعل قوله عز وجل (ولعلمهم يتفكرون) إشارة إلى



أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِرِسْمِ الْأَرْضِ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾

١٦ النحل

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾

١٦ النحل

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

١٦ النحل

ذلك أى إرادة أن يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدى إلى مثل ما أصاب  
الاولين من العذاب ( أفأمن الذين مكروا السيئات ) هم أهل مكة الذين مكروا برسول الله ﷺ وراموا  
صد أصحابه عن الإيمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الأنبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما أن  
المراد تحذير هؤلاء عن إصابة مثل ما أصاب أولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر  
محذوف أى مكروا والمكرات السيئات التى قصت عنهم أو مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل  
أى عملوا السيئات ففعله تعالى ( أن يخسف الله بهم الأرض ) مفعول لأمن أو السيئات صفة لما هو المفعول  
أى أى أفأمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله أن يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف  
على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم أى أنزلنا إليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذى من جملته أنباء الأمم  
المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا فى ذلك ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم  
الأرض كما فعل بقارون على توجيه الإنكار إلى المعطوفين معاً أو أتفكروا فأمنوا على توجيهه إلى  
المعطوف على أن الأمن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله أحد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة  
أى أمكر فأمن الذين مكروا الخ ( أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون ) يأتيناه أى فى حالة غفلتهم أو  
من مآمنهم أو من حيث يرجون إتيان ما يشتهون كما حكى فيما سلف مما نزل بالماكرين ( أو يأخذهم فى  
تقلبهم ) أى فى حالة تقلبهم فى مسائرهم ومتاجرهم ( فاهم بمعجزين ) بممتنعين أو فائتين بالحرب والفرار  
على ما يرويه حال القلب والسير والفاء إما لتعليل الأخذ أو لترتيب عدم الإعجاز عليه دلالة على شدته  
وفظاعته حسبما قال عليه السلام إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وإيراد الجملة الاسمية الدلالة على دوام  
النفي لاننى الدوام ( أو يأخذهم على تخوف ) أى مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بأن يهلك قوماً قبلهم  
فيتخوفوا فإياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتنا القلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن  
إصابة العذاب فيها بالآخذ وعن إصابته حالة الغفلة المنبثة عن السكون بالإتيان وقيل التخوف التنقص  
قال قائلهم [ تخوف الرحل منها تامكافرداً \* كاتخوف عود النبعة السفن ] أى يأخذهم على أن ينقصهم  
شيئاً بعد شئ فى أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الأحوال الثلاث بيان قدرة الله سبحانه  
على إهلاكهم بأى وجه كان لا الحصر فيها ( فإن ربكم لرؤوف رحيم ) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة  
ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها .

أُولَئِكَ يَرْوُونَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّاهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ  
دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾

١٦ النحل

وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ ﴿٤٩﴾ ١٦ النحل

- ٤٨ (أولم يروا) استفهام إنكارى وقرىء على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم ينظروا ولم يروا متوجهين (إلى ما خلق الله من شيء) أى من كل شيء (يتفَيَّؤوا ظلاله) أى يرجع شيئاً فشيئاً حسبما يقتضيه إرادة الخالق تعالى فإن التفَيُّؤَ مطاوع الإفاة وقرىء بتأنيث الفعل (عن اليمين والشمائل) أى ألم يروا الأشياء التى لها ظلال متفَيِّئة عن أيانها وشمائلها أى عن جانبي كل واحد منها
- استعير لهما ذلك من يمين الإنسان وشماله (سجداً لله) حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأييدها لإرادته تعالى فى الامتداد والتقلص وغيرهما غير متمتعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى (وهم داخرون) أى صاغرون متقادون حال من الضمير فى ظلاله والجمع باعتبار المعنى وإيراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما أن الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها فإنها كل يوم من أيام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقاداً لما قدر لها من التفَيُّؤَ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال أن أصحابها من الأجرام داخرة منقاداً لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به أو كلاهما حال من الضمير المشار إليه والمعنى ترجع ظلال تلك الأجرام حال كونها منقاداً لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والأشجار والأحجار التى لا يظهر لظلالها أثر سوى التفَيُّؤَ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها أو اختلاف مشارقها ومغاربها وأما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لأن الكواكب منه تظهر آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربى المقابل له فإن الظلال فى أول النهار تبتدىء من الشرق واقعة على الربع الغربى من الأرض وعند الزوال تبتدىء من الغرب واقعة على الربع الشرقى منها وبعد ما بين سجود الظلال وأصحابها من الأجرام السفلية الثابتة فى أخبارها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع فى بيان سجود المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أو لا فقيل (والله يسجد) أى له تعالى وحده يخضع وينقاد لأشياء غيره استقلالاً أو اشتراكاً فالقصر ينظم القلب والإفراد إلا أن الأنسب محال مخاطبين قصر الأفراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين (ما فى السموات) قاطبة (وما فى الأرض) كائناً ما كان (من دابة) بيان لما فى الأرض وتقديمه لقلته ولثلا يقع بين المبين والمبين فصل والإفراد مع أن المراد بالجمع لإفادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الأخفش هو كقولك ما أتانى من رجل مثله وما أتانى من الرجال مثله (والملائكة) عطف

١٦ النحل

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

١٦ النحل

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾

١٦ النحل

وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾

- على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيماً وإجلالاً أو على أن يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح أو يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم (وم) أى الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة إما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسند إلى الملائكة أو استئناف أخبر عنهم بذلك (يخافون ربهم) أى مالك أمرهم وفيه تربية للمهابة وإشعار بعلّة الحكم (من فوقهم) أى يخافونه جل وعلا خوف هيبة وإجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده أو يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لأن من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) أى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وإيراد الفعل مبذراً للمفعول جرى على سنن الجلالة وإيدان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده إلى غيره سبحانه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين أن جميع الموجودات يخصوصون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد أصلاً عز وجل أردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الإشراف فليل (وقال الله) عطفاً على قوله والله يسجد وإظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للإيدان بأنه متمين الألوهية وإنما المنهى عنه هو الإشراف به لا أن المنهى عنه مطلق اتخاذ إلهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض أيهما كان أى قال تعالى لجميع المكلفين (لا تتخذوا إلهين اثنين) وإنما ذكر العدد مع أن صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على أن مساق النهي هي الاتينية وإنها منافية للألوهية كما أن وصف الإله بالوحدة في قوله تعالى (إنما هو إله واحد) للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية وأنها من لوازم الإلهية وأما الإلهية فأمر مسلم الثبوت له سبحانه وإليه أشير حيث أسند إليه القول وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة على رأى من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الأسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه (فإياي فارهبون) التفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم وكرر الفعل أى إن كنتم راهبين شيئاً فإياي اربوا فارهبوا لا غير فإني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض (وله ما في السموات والأرض) خلقاً وملكا تقرير لعلّة انقياد ما فيها له سبحانه ٥٢ خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى (وله الدين) أى الطاعة والانقياد (واصباً) أى واجباً ثابتاً لازوالاً لما تقرر أنه الإله وحده الحقيقي بأن يرب وقيل واصباً من الوصب أى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجواز أى وله

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَنِ اللَّهَ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ ﴿٥٣﴾

١٦ النحل

ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

١٦ النحل

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

١٦ النحل

- \* الجزء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفغير الله تتقون) الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق أى أعقيب تقرر الشئون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للوجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الأنداد وكون الدين له واصباً المستدعى ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذى شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون (وما بكم) أى أى شئ يلا بكم ويصاحبكم (من نعمة) آية نعمة كانت (فمن الله) فهى من الله فما شرطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الأخبار دون الحصول فإن ملاسة النعمة بهم سبب للإخبار بأنها منه تعالى لا لكونها منه تعالى (ثم إذا مسكم الضر) مساساً يسيراً (فإليه تجأرون) تتضرعون فى كشفه لا إلى غيره والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى [ يراوح من صلوات المليك \* لك طوراً تسجوداً وطوراً جواراً ] وقرئ تجرون بطرح الهمزة والفاء حركتها إلى ما قبلها وفى ذكر المساس المنهى عن أدنى إصابة وإيراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس أدنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع إيراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملاستها للمخاطبين بياء صاحبة وإيراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفضامة ولعل إيراد إذا دون إن للتوسل به إلى تحقق وقوع الجواب (ثم إذا كشف الضر عنكم) وقرئ كشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمدادى زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخى رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الإشراف المدلول عليها بقوله سبحانه (إذا فريق منكم برهم يشركون) فإن ترتبها على ذلك فى أبعاد غاية من الضلال ثم إن وجه الخطاب إلى الناس جميعاً فمن التبعية والفريق فريق الكفرة وإن وجهه إلى الكفرة فن للبيان كأنه قيل إذا فريق كافر وهم أتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد فمن تبعية أيضاً والتعرض لوصف الربوبية للإيدان بكال قبح ما ارتكبه من الإشراف والكفران (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة وإنكار كونها من الله عز وجل (فتمتعوا) أمر تهديد والالتفات إلى الخطاب للإيدان بقتاها السخط وقرئ بالياء مبنياً للمفعول عطفاً على ليكفروا على أن يكون كفران النعمة والتمتع غرضاً لهم من الإشراف ويجوز أن يكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد أكيد منبئ عن أخذ شديد حيث لم يذكر المفعول إشعاراً بأنه مما لا يوصف.

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ النحل ١٦

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ النحل ١٦

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ النحل ١٦

يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ النحل ١٦

(ويجعلون) لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعداداً لجناياتهم أى يفعلون ما يفعلون من الجوار إلى ٥٦  
الله تعالى عند مساس الضر ومن الإشراف به عند كشفه ويجعلون (لما لا يعلمون) أى لما لا يعلمون حقيقة \*  
وقدره الخسيس من الجمادات التى يتخذونها شركاء لله سبحانه جملة وسفاهة ويزعمون أنها تنفعهم وتشفع  
لهم على أن مامو صولة والعاثد إليها محذوف أو لما لا علم له أصلاً وليس من شأنه ذلك فما موصولة أيضاً  
والعاثد إليها ما فى الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء ليكون ما عبارة عن آلهتهم التى وصفوها  
بصفات العقلاء أو مصدرية واللام للتعليل أى لعدم علمهم والمجمول له محذوف للعلم بمكانه (نصيبياً عما  
رزقناهم) من الزرع والأنعام وغيرهما تقرّباً إليها (تالله لقسان) سؤال توبيخ وتقرّيع (عما كنتم تفترون)  
فى الدنيا بأهلها حقيقة بأن يتقرّب إليها وفى تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب  
المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة الذين يقولون ٥٧  
الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيهه وتقديسه له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك أو تعجيب من جرائهم \*  
على التفوه بمثل تلك العظيمة (ولهم ما يشتهون) من البنين وما مرفوعة المحل على أنه مبتدأ والظرف \*  
المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض فى حق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات أى  
يجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين يؤدى إلى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار (وإذا بشر أحدهم ٥٨  
بالأنثى) أى أخبر بولادتها (ظل وجهه) أى صار أو دام النهار كله (مسوداً) من السكابة والحياء من \*  
الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والنشويش (وهو كظيم) ممتلئ حنقاً وغيظاً (يتوارى) أى ٥٩  
يستخفى (من القوم من سوء ما بشر به) من أجل سوءه والتعبير عنها بما لإسقاطها عن درجة العقلاء  
(أيمسكه) أى متردداً فى أمره محدثاً نفسه فى شأنه أيمسكه (على هون) ذل وقرىء هوان (أم يدسه) يخفيه \*  
(فى التراب) بالوآد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرىء بالتأنيث (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون ما هذا \*  
شأنه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالى عن الصاحبة والولد والحال أنهم يتعاشون عنه ويختارون  
لأنفسهم البنين فدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع إبانهم إياه لا جعلهم البنين لأنفسهم ولا عدم  
جعلهم له سبحانه ويجوز أن يكون مداره التمسكس لقوله تعالى تلك إذا قسمة ضيزى .

لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦﴾ النحل  
 وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ  
 أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَغِيثُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٧﴾ النحل  
 وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السِّنَنُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ  
 مُّفْرَطُونَ ﴿١٨﴾ النحل

- ٦٠ (الذين لا يؤمنون بالآخرة) من ذكرت قبائحهم (مثل السوء) صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح  
 وهي الحاجة إلى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وإيثار الذكور للاستظهار بهم وواد البنات لدفع العار  
 وخشية الإملاق المنادى كل ذلك بالمعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير  
 \* للإشعار بأن مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة (ولله) سبحانه وتعالى (المثل الأعلى) أي  
 الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في الملو مطلقاً وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع  
 \* والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علواً كبيراً (وهو العزيز) المتفرد بكمال  
 \* القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم (الحكيم) الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا  
 ٦١ أيضاً من جملة صفاته العجيبة تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس) الكفار (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم التي  
 من جملتها ما عدهم من قبائحهم وهذا تصريح بما أفاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وإيدان بأن ما أتوه  
 \* من القبائح قد تنهى إلى أمد لا غاية وراءه (ما ترك عليها) على الأرض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى  
 \* (من دابة) أي ما ترك عليها شيئاً من دابة قط بل أهلكها بالمرّة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا  
 فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول إن الظالم لا يضمر  
 إلا نفسه فقال بلى والله حتى أن الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد  
 الجمل يهلك في حجره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء لم يكن الأبناء فيلزم أن  
 لا يكون في الأرض دابة لما أنها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الأرض  
 \* جميعاً (ولكن) لا يؤاخذهم بذلك بل (يؤخرهم إلى أجل مسمى) لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا أو  
 \* يكثر عذابهم (فإذا جاء أجلهم) المسمى (لا يستأخرون) عن ذلك الأجل أي لا يتأخرون وصيغة  
 \* الاستفعال للإشعار بمعجزهم عنه مع طلبهم له (ساعة) فذة وهي مثل في قلة المدة (ولا يستقدمون) أي  
 لا يتقدمون وإنما تعرض لذكره مع أنه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الأجل مبالغة في بيان عدم  
 الاستنخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر  
 أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموت وهم كفار فإن من مات كافراً مع أنه لا توبة له رأساً قد  
 ٦٢ نظم في سخط من لم تقبل توبته للإيدان بأنهم ماسيان في ذلك وقدر في تفسير سورة يونس (ويجعلون لله)

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

١٦ النحل

وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

١٦ النحل

- أى يثبتون له سبحانه وينسبون إليه في زعمهم (ما يكرهون) لأنفسهم بما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية
- للتقريع وتوطئة لقوله تعالى (وتصف ألسنتهم الكذب) أى يجمعون له تعالى ما يجمعون ومع ذلك تصف
- ألسنتهم الكذب وهو (أن لهم الحسنى) العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي
- عنده للحسنى وقرىء الكذب وهو جمع الكذوب على أنه صفة الألسنة (لا جرم) رد لكلامهم ذلك
- وإثبات لنقيضه أى حقاً (أن لهم) مكان ما أملوا من الحسنى (النار) التى ليس وراء عذابها عذاب وهى
- علم فى السوإى (وأنهم مفرطون) أى مقدمون إليها من أفرطته أى قدمته فى طلب الماء وقيل منسيون
- من أفرطت فلاناً خلنى إذا خلفته ونسيته وقرىء بالتشديد وفتح الراء من فرطته فى طلب الماء وبكسر
- الراء المشددة من التفریط فى الطاعات وبكسر المخففة من الإفراط فى المعاصى فلا يكونان حينئذ من أحوالهم
- الآخرىة كما عطف عليه (ناقه لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) تسلياً لرسول الله ﷺ عما يناله من جهالات
- الكفرة ووعيد لهم على ذلك أى أرسلنا إليهم رسلاً فدعوهم إلى الحق فلم يجيبوا إلى ذلك (فزين لهم الشيطان
- أعمالهم) القبيحة فعكفوا عليها مصرين (فهو وإيهم) أى قرينهم وبئس القرين (اليوم) أى يوم زين
- لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية أو فى الدنيا أو يوم القيامة على طريق حكاية الحال
- الآتية وهى حال كونهم معذبين فى النار والولى بمعنى الناصر أى فهو ناصرهم اليوم لناصرهم غير مبالغة
- فى نفى الناصر عنهم ويجوز أن يكون الضمير عائداً إلى مشركى قريش والمعنى زين للأمم السالفة أعمالهم فهو
- ولى هؤلاء لأنهم منهم وأن يكون على حذف المضاف أى ولى أمثالهم (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم)
- هو عذاب النار (وما أرسلنا عليك الكتاب) أى القرآن (إلا لتبين) استثناء مفرغ من أعم العلل أى ما أنزلنا
- عليك لعله من العلل الا لتبين (لهم) أى للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر وأحكام الأفعال
- وأحوال المعاد (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين أى وللهداية والرحمة (لقوم يؤمنون) وإنما
- انتصبا لكونهما أثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه
- عليهما لتقديمه فى الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالؤمنين لأنهم المغتصمون آثاره (والله أنزل
- من السماء) من السحاب أو من جانب السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تأكيداً لمضمونه وتوطئة
- لما يعقبه من أدلة التوحيد (ماء) نوعاً خاصاً من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مراراً

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ۚ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا

لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

١٦ النحل

• من التشويق إلى المؤخر فأحيا به الأرض بما أنبت به فيها من أنواع النباتات (بعد موتها) أى بعد يبسها وما يفيد الفاء من التعقيب العادى لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة (إن فى ذلك) أى فى إزال الماء من السماء وإحياها الأرض الميتة به (لآية) وأية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسمعون) هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك أصم (وإن لكم فى الأنعام لعبرة) عظيمة وأى عبرة تحار فى دركها العقول وتهيم فى فهمها ألباب الفحول (نسقيكم) استئناف لبيان ما أهم أولا من العبرة (مما فى بطونه) أى بطون الأنعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فإنه اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنيّة على أفعال كأش وأخلاق كما أن تأنيته فى سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جملة جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن ليس لجميعها أوله على المعنى فإن المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفى سورة المؤمنين (من بين فرث ودم لبناً) الفرث فضالة ما يبق من العلف فى الكرش المنهضة بعض الانهضام وكثيف ما يبق فى المعاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان أسفلها فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً ولعل المراد به أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذى يغزو البدن لأن عدم تكونهما فى الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاء الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث أخلاطاً أربعة معها مائة فتميز القوة المميزة تلك المائة بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها إلى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الأعضاء بحسبها فتجرى على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز العليم ثم إن كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولاً لاجل الجنين إلى الرحم فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها العذوية البيض ويلد طعمه فيصير لبناً ومن تدبر فى بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط واللبان وأعداده قارها ومجارها والأسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهى رأفته ورحمته فن الأولى تبعية لما أن اللبن بعض ما فى بطونه لأنه مخلوق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التى فى الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لأن بين الفرث والدم مبدأ الإسقاء وهى متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مراراً من أن تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس شوقاً إلى المؤخر موجباً لفصل تمكينه عند وروده عليها لاسيما إذا كان المقدم متضمناً لوصف مناف لوصف المؤخر كالذى نحن فيه فإن بين وصفى المقدم والمؤخر تنافياً وتناوباً بحيث لا يترامى ناراها فإن ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف إلى المؤخر



وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

النحل ١٦

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

النحل ١٦

كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا أو حال من لبناً قدم عليه لتسكيره والتنبية على أنه موضع العبرة (خالصاً) عن شائبة مافي الدم والفرث من الأوصاف يبرزخ من القدرة القاهرة \* الحاجة عن بغى أحدهما عليه مع كونهما مكتنفين له (سائغاً للشاربين) سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص أحد باللبن وقرىء سيقاً بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين (ومن ثمرات النخيل والأعناب) ٦٧ متعلق بما يدل عليه الإسقاء من مطلق الإطعام المنتظم لإعطاء المَطْعُوم والمشروب فإن اللبن مطعوم كما أنه مشروب أى ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الأعناب أى من عصيرهما وقوله تعالى (تتخذون منه سكرًا) استئناف لبيان كنه الإطعام وكشفه أو بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد أو خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون أى ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف إذا كان في الكلام كلمة من سائغ نحو قوله تعالى وما من إلا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الأولين لأنه للمضاف المحذوف أعنى العصير أو لأن المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم (ورزقا حسناً) كالتمر والدبس والزبيب والحل والآية إن كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة (إن في ذلك لآية) باهرة (لقوم يعقلون) \* يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل (وأوحى ربك إلى النحل) أى ألهمها وقذف في قلوبها ٦٨ وعليها بوجه لا يعلمه إلا العليم الخبير وقرىء بفتحيتين (أن اتخذى) أى بأن اتخذى على أن مصدرية ويجوز أن تكون مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع أن النحل مذكر للحمل على المعنى أو لأنه جمع نخلة والتأنيث لغة أهل الحجاز (من الجبال بيوتاً) أى أو كالأماكن مافيهما من الخلايا وقرىء ببيتاً بكسر الباء (ومن الشجر وما يعرشون) أى يعرشه الناس أى يرفعه من كرم أو سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذى لنفسك بيوتاً من الجبال والشجر إذا لم يكن لك أرباب وإلا فاتخذى ما يعرشونه لك وإيراد حرف التبعية لما أنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها (ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها (فاسلكى) ما أكلت ٦٩ منها (سبل ربك) أى مسالكه التى برأها بحيث يحل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من أجوافك أو فاسلكى الطرق التى ألهمك في عمل العسل أو فاسلكى راجعة إلى بيوتك سبل ربك لا تنوع عليك ولا

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ  
 اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

١٦ النحل

- \* تلتبس (ذلا) جمع ذلول وهو حال من السبل أى مذلة غير متوعدة ذلها الله سبحانه وسهلها لك أو
- \* من الضمير فى اسلكى أى اسلكى منقاداً لما أمرت به (يخرج من بطونها) استئناف عدل به عن خطاب
- النحل لبيان ما يظهر منها من تعجيب صنع الله تعالى التى هى موضع العبرة بعد ما أمرت بما أمرت
- \* (شراب) أى عسل لأنه مشروب واحتج به بقوله تعالى كلى من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق
- العطرة فتستحيل فى بطنها عسلاً ثم تقيء إدخاراً للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء قليلة حلوة
- صغيرة متفرقة على الأزهار والأوراق وتضعها فى بيوتها فإذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلاً فسر
- \* البطون بالأفواه (مختلف ألوانه) أبيض وأسود وأصفر وأحمر حسب اختلاف سن النحل أو الفصل
- \* أو الذى أخذت منه العسل (فيه شفاء للناس) إما بنفسه كما فى الأمراض البلغمية أو مع غيره كما فى سائر
- الأمراض إذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع أن التشكير فيه مشعر بالتبعية ويجوز كونه
- للتفخيم وعن قتادة أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال إن أخى يفتسك بطنه فقال ﷺ اسقه
- العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك
- فسقاه فبرىء كما أنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله تعالى من أحوال النحل وعن ابن
- مسعود رضى الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاء من العسل والقرآن
- \* (إن فى ذلك) الذى ذكر من أعاجيب آثار قدرة الله تعالى (آية) عظيمة (لقوم يتفكرون) فإن من
- تفكر فى اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والآفعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وحمّة
- القسمة التى لا يقدر عليها حذاق المهندسين إلا بالآلات رقيقة وأدوات أنيقة وأنظار دقيقة جزم قطعاً بأن
- ٧٠ له خالقاً قادراً حكماً يلهمها ذلك ويهديها إليه جل جلاله (والله خلقكم) لما ذكر سبحانه من عجائب
- أحوال ما ذكر من الماء والنبات والأتعام والنحل أشار إلى بعض عجائب أحوال البشر من أول عمره إلى
- آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر فى أربع الأولى سن النشو والنماء والثانية سن
- الوقوف وهى سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهى سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط
- \* الكبير وهى سن الشيخوخة (ثم يتوفاكم) حسبما تقتضيه مشيئته المبينة على حكم بالغه بأجال مختلفة لأطفالاً
- \* وشباباً وشيوخاً (ومنكم من يرد) قبل توفيه أى يعاد (إلى أردل العمر) أى أخسه وأحقه وهو خمس
- وسبعون سنة على ما روى عن على رضى الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضى الله عنه وقبل
- خمس وتسعون وإثبات الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للإيدان بأن بلوغه والوصول إليه رجوع
- فى الحقيقة إلى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمه ننكسه فى الخلق ولا عمر أسوأ حالاً من عمر
- \* الهرم الذى يشبه الطفل فى نقصان العقل والقوة (لكيلا يعلم بعد علم) كثير (شيئاً) من العلم أو من

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾

١٦ النحل

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

١٦ النحل

- المعلومات أو لكيلا يعلم شيئاً بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الأول شيئاً (إن الله عليم) \*
- بمقادير أعماركم (قدير) على كل شيء يميت الشباب النشيط ويبقى الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت
- الآجال ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمرجهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى
- الطبايع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أى جعلكم متفاوتين فيه فأعطاكم ٧١
- منه أفضل مما أعطى ممالئكم (فما الذين فضلوا) فيه على غيرهم (برادى رزقهم) الذى رزقهم إياه (على
- ما ملكت أيمانهم) على ممالئكم الذين هم شركاؤهم في المخلوقة والمرزوقية (فهم) أى الملاك والممالك (فيه) \*
- أى في الرزق (سواء) أى لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء \*
- للدلالة على ترتيب التساوى على الرد أى لا يردونه عليهم رداً مستتبهاً للتساوى وإنما يردون عليهم منه
- شيئاً يسيراً حيث لا يرضون بمساواة ممالئكم لأنفسهم وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في
- شيء لا يختص بهم بل يعمهم وإياهم من الرزق الذى هم أسوة لهم في استحقاقه فأبالمهم يشركون بالله سبحانه
- وتعالى فيما لا يليق إلا به من الألوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذى هو بمنزل
- من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب الكمال قباحة ما فعله المشركون تقريراً عليهم كقوله تعالى هل
- لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء الآية (أفبنعمة الله يجحدون) حيث يفعلون \*
- ما يفعلون من الإشراك فإن ذلك يقتضى أن يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم إلى شركائهم ويجحدوا
- كونهم من عند الله تعالى أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج البالغة بعدما نعم الله بها عليهم والباء لتضمين
- الجمود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهى داخلة فى المعنى على الفعل أى
- أشركون به فيجحدون نعمته وقرىء تجحدون على الخطاب أو ليس المولى برادى رزقهم على ممالئكم
- بل أنا الذى أرزقهم وإياهم فلا يحسبوا أنهم يعطونهم شيئاً وإنما هو رزقى أجريه على أيديهم فهم جميعاً فى
- ذلك سواء لا منزبة لهم على ممالئكم ألا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين أو
- على فعلهم المؤذن بذلك أو المفضلون برادى بعض فضلهم على ممالئكم فيتساووا فى ذلك جميعاً مع أن
- التفضيل ليس إلا ليلوهم أيشكرون أم يكفرون ألا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كأنه
- قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن أبى ذر رضى الله
- عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إنما هم إخوانكم فاكسوم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما
- رؤى عبده بعد ذلك إلا وداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت (والله جعل لكم من أنفسكم) ٧٢

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ النحل ١٦

فَلَا تَضُرُّوا اللَّهَ الْآمَنَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ النحل ١٦

- \* من جنسكم (أزواجاً) لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم وقيل هو خلق
- \* حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام (وجعل لكم من أزواجكم) وضع الظاهر موضع المضمرة للإيذان
- \* بأن المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره (بنين) وبأن نتيجة الأزواج هو التوالد (وحفدة) جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد أى جعل لكم
- \* خدماً يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم أولاد الأولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك إيذاناً
- \* بوجه المنة فإنهن يخدمن البيوت أتم خدمة وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل البنون والعطف
- \* لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنسوب في الموضعين عن المجرور لما مر من
- \* التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للإيذان من أول الأمر بعود منفعة الجعل إليهم إمداد
- \* للتشويق وتقوية له أى جعل لمصلحتكم بما يناسبكم أزواجاً وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة
- \* (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ أو من الحلايات ومن للتبويض إذ المرزوق في الدنيا أنموذج لما في
- \* الآخرة (أفبالباطل يؤمنون) وهو أن الأصنام تنفعهم وأن البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى
- \* داخلة على الفعل وهى للعطف على مقدر أى يكفرون بالله الذى شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أو أبعد
- \* تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه (وبنعمة الله) تعالى الفائضة عليهم بما
- \* ذكروا مما لا يحيط به دائرة البيان (هم يكفرون) حيث يضيفونها إلى الأصنام وتقديم الصلة على الفعل
- \* للاهتمام أو لإيهام الاختصاص مبالغة أو لرعاية الفواصل والالتفات إلى الغيبة للإيذان باستيجاب حالهم
- \* للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجيباً لهم بما فعلوه (ويعبدون من دون الله)
- \* لعله عطف على يكفرون داخل تحت الإنكار التوبيخى أى يكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه (مالاً)
- \* يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً) إن جعل الرزق مصدراً فشيئاً نصب على المفعولية منه أى
- \* ما لا يقدر على أن يرزقهم شيئاً لا من السموات مطراً ولا من الأرض نباتاً وإن جعل اسماً للرزق
- \* فنصب على البدلية منه بمعنى قليلاً ومن السموات والأرض صفة لرزق أى كأنما منها ويجوز كونه تأكيداً
- \* للإيتماع أى لا يملك رزقاً ما شيئاً من الملك (ولا يستطيعون) أن يملكوه إذ لا استطاعة لهم رأساً لأنها
- \* موات لا حراك بها فالضمير للآلهة ويجوز أن يكون للكفرة على معنى أنهم مع كونهم أحياء متصرفين
- \* في الأمور لا يستطيعون من ذلك شيئاً فكيف بالجماد الذى لا حس به (فلا تضرُّوا الله الأمثال)
- \* التفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهى أى لا تشرُّوا به شيئاً والتعبير عن ذلك بضرب المثل
- \* للقصد إلى النهى عن الإشراف به تعالى في شأن من الشئون فإن ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة
- \* أى لا تشبهوا بشأنه تعالى شأناً من الشئون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة
- \* نوح وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

١٦ النحل

ونظائره والفاء للدلالة على ترتيب النهى على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل من أن يملك لهم من أقطار السموات والأرض شيئاً من رزق ما فضلاً عما فصل من نعمة الخلق والنفصيل في الرزق ونعمة الأزواج والأولاد (إن الله يعلم) تعليل للنهى المذكور ووعيد على المنهى عنه أى أنه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذكرون وأنه في غاية العظم والقيح (وأنتم لا تعلمون) ذلك وإلا لما فسلموه أو أنه تعالى يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الأمر والنهى ويجوز أن يراد فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهادى الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الأمثال في هذا الباب فقال (ضرب الله مثلاً) أى ذكر وأورد شيئاً يستدل به على تباين الحال بين جنباه عز ٧٥ وجل وبين ما أشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادى بفساد ما ارتكبهوه نداء جليلاً (عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) بدل من مثلاً وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والمعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلاً ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لا اشتراكها في كونها عبدان لله سبحانه وقد أدمج فيه أن الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي إبهام المثل أولاً ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجوالة (ومن رزقناه) من موصوفة معطوفة على عبداً أى رزقناه بطريق الملك والالتفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حالى ضرب المثل والرزق (مننا) من جنبنا الكبير المتعالى (رزقاً حسناً) حلالاً طيباً أو مستحسناً عند الناس مرضياً (فهو ينفق منه) تفضلاً وإحساناً والفاء لترتيب الإنفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه من رزقاً حسناً فأنفق وإيثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الإنفاق واستمراره التجددى (سراً وجهراً) أى حال السر والجهر أو إنفاق سر وإنفاق جهر والمراد بيان عموم إنفاقه للأوقات وشمول إنعامه لمن يختب عن قبوله جهراً والإشارة إلى أصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للإيذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بأن يقال وحرراً مالكا للأموال مع كونه أدل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بأن الأحرار أيضاً تحت ربة عبوديته سبحانه وتعالى وأن مالكيهم لما يملكونه ليست إلا بأن يرزقهم الله تعالى إياه من غير أن يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فإن العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجهد ومالك الملك خلاق العالمين (هل يستوون) جمع الضمير للإيذان بأن المراد بما ذكر من انصف بالاً وصاف المذكورة من الجنس المذكورين لأفردان معنيين منها أى هل يستوى العبيد والأحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع أن الفريقين سيان في البشرية والخلقوية لله سبحانه

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ  
بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ النحل

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ النحل

وأن ما ينفقه الأحرار ليس مما لهم دخل في إيجادهِ ولا في تملكهِ بل هو مما أعطاه الله تعالى إياهم لحيث  
\* لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا دليل أذل منه وهو الأصنام (الحمد لله)  
أى كله لأنه مولى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره وإن ظهرت على أيدي بعض الوسائط فضلاً عن  
استحقاق العبادة وفيه إرشاد إلى ما هو الحق من أن ما يظهر على يد من ينفق مما ذكر راجع إلى الله سبحانه  
\* كما لوح به قوله تعالى رزقناه (بل أكثرهم لا يعلمون) ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه  
لأجلها ونفى العلم عن أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك وإنما لا يعلمون بموجبه عناداً كقوله  
٧٦.. تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (وضرب الله مثلاً) أى مثلاً آخر يدل على  
مادل عليه المثل السابق على وجه أوضح وأظهر وبعد ما بهم ذلك لتنتظر النفس إلى ورودهِ وتفرقه حتى  
\* يتمكن لديها عند ورودهِ بين فقيل (رجلين أحدهما أبكر) وهو من ولد أخرس (لا يقدر على شيء)  
\* من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره بحس أو فِراسة لقلة فهمهِ وسوء إدراكهِ (وهو كل) ثقل وعيال  
\* (على مولاه) على من يعوله وبلى أمره وهذا بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته  
\* على شيء مطلقاً وقوله تعالى (أينما يوجهه) أى حيث يرسله مولاه في أمر بيان لعدم قدرته على إقامة  
\* مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرىء على البناء للفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه (لا يأت  
\* بخير) بنجح وكفاية مهم البتة (هل يستوى هو) مع ما فيه من الأوصاف المذكورة (ومن يأمر بالعدل)  
\* أى من هو منطبق فهو ذورأى وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل (وهو)  
\* في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام (على صراط مستقيم) ومقابلة الصفات المذكورة  
بهذين الوصفين لأنهما في حاق ما يقابلها فإن محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية وملخص  
هذين استحقاق كمال الأمرية المستتبع لحيازة المحاسن بأجمعها وتغيير الأسلوب حيث لم يقل والآخر  
أمر بالعدل الآية لمراعاة الملازمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم أن كلا من  
الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد إنشاؤه بما ذكر عقيبهِ ولا يبعد أن يقال إن الله  
تعالى ضرب مثلاً بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع  
٧٧ التساوى بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي (وقه) تعالى خاصة  
\* لالا حد غيره استقلالاً ولا اشتراكاً (غيب السموات والأرض) أى الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

١٦ النحل

- قاطبة بحيث لا سبيل لهم إليها لا مشاهدة ولا استدلال ومعنى الإضافة إليها التعلق بهما إما باعتبار الوقوع فيها حالاً أو مآلاً وإما باعتبار الغيبة عن أهلها والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلوماتية حسبما ينبيء عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وإن كان الأمر كذلك في نفس الأمر وفيه إشعار بأن علمه سبحانه حضوري فإن تحقق الغيوب في نفسها علم بالنسبة إليه تعالى ولذلك لم يقل والله علم غيب السموات والأرض (وما أمر الساعة) التي هي أعظم ما وقع فيه الماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتهما عن أهلها أو ظهور آثارها فيها عند وقوعها فإن وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وإن كان لإنبئتها من الغيوب التي نصبت عليها الأدلة أي ما شأنها في سرعة المجيء (إلا كلبح البصر) أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها (أو هو) أي بل أمرها فيما ذكر (أقرب) من ذلك وأسرع زماناً \* بأن يقع في بعض من زمانه فإن ذلك وإن قصر عن حركة أنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام إلى أبعاد هي أزمنة أيضاً بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة أو ما أمرها إلا كالشيء الذي يستقر ويقال هو كلبح البصر أو هو أقرب وأياً ما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالإتيان (إن الله على كل شيء قدير) ومن جملة الأشياء أن يجيء بها أسرع ما يكون فهو قادر على ذلك أو ما أمر إقامة الساعة التي كتبها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي إماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الأولاد كون أجمعين وقد أنكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الإمكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتى إلا كلبح البصر أو هو أقرب على مامر من الوجهين إن الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والأرض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما أن علمه بخصوصه غائب عن أهلها فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) ٧٨ عطف على قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا منتظم معه في سلك أدلة التوحيد من قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرىء بكسرهما أيضاً جمع الأم زبدت الهاء فيه كازبدت في إهراق من إهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال [أمهتي خندف والياس أبي] (لا تعلمون شيئاً) في موقع الحال أي غير عالمين شيئاً أصلاً \* (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) عطف على أخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الإخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الإخراج أي جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها بأفئدتكم وتنهبوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرار الإحساس فيحصل لكم علوم

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

١٦ النحل

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾

١٦ النحل

- بديهية يتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والأفئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدور وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات لما مر من الإيذان من أول الأمر بكون المجمعول نافعا لهم وتشويق النفس إلى ما أؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن (لعلكم تشكرون) كي تعرفوا ما أنعم به عليكم طوراً غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما أنه طريق تلقى الوحي أو لأن إدراكه أقدم من إدراك البصر وإفراده باعتبار كونه مصدراً في الأصل (ألم يروا) وقرىء بالناء (إلى الطير) جمع طائر أى ألم ينظروا إليها
- ٧٩ (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث إن معنى التسخير جعل الشيء منقاداً لآخر بتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للإنسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على أن الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى (في جو السماء) أى في الهواء المتباعد من الأرض والسكاك والالوح أبعد منه وإضافته إلى السماء لما أنه
- في جانبها من الناظر ولإظهار كمال القدرة (ما يمسكن) في الجوحين قبض أجنحتهن وبسطهما وقوفهن
- (إلا الله) عز وجل بقدرته الواسعة فإن ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو إما حال من الضمير المستتر في مسخرات أو من الطير وإما مستأنف
- (إن في ذلك) الذى ذكر من تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة يتمكن بها منه بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذناً كذلك وجعل أجسادها من الخفة بحيث إذا بسطت أجنحتها وأذناها لا يطبق ثقلها يخرق ماتحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لأنها لا تلاقيه بحجم كبير
- (لآيات) ظاهرة (لقوم يؤمنون) أى من شأنهم أن يؤمنوا وإنما خص ذلك بهم لأنهم المنتفعون به
- ٨٠ (والله جعل لكم) معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سياتى من المجرور والمنصوب لما مر من الإيذان من أول الأمر بأنه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس إلى وروده وقوله تعالى (من بيوتكم) أى من بيوتكم المعهودة التي تبنيونها من الحجر والمدر تبين لذلك المجمعول المهم في الجملة وتأكيد لما سبق من التشويق (سكناً) فعل بمعنى مفعول أى موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم أو تسكنون إليه من غير أن ينتقل من مكانه أى جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون إليه وتطمثون به (وجعل لكم من جلود



وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَسًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ  
وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُم بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلُونَ ﴿٨١﴾

١٦ النحل

١٦ النحل

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾

الأنعام بيوتاً) أى بيوتاً آخر مغارة لبيوتكم المعهودة هى الخيام والقباب والاختبة والفساطيط  
(لستخفونها) تجدونها خفيفة سهلة المأخذ (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم فى النقض والحمل والنقل وقرى.  
بفتح العين (ويوم إقامتكم) وقت نزولكم فى الضرب والبناء (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) عطف  
على قوله تعالى من جلود والضمائر للأنعام على وجه التنويع أى وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار  
الإبل وأشعار المعز (أثناً) أى متاع البيت وأصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر أثيث (ومتاعاً) أى  
شيئاً يتمتع به بفنون التمتع (إلى حين) إلى أن تقضوا منه أو طارككم أو إلى أن يبلى ويفنى فإنه فى معرض  
البلا والفناء وقيل إلى أن تموتوا والكلام فى ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل (والله جعل لكم مما خلق) ٨١  
من غير صنع من قبلكم (ظلالاً) أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه  
بذلك لما أن تلك الديار غالبه الحرارة (وجعل لكم من الجبال أكناساً) مواضع تسكنون فيها من الكهوف  
والغيران والسروب والكلام فى الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذى مر غير مرة (وجعل لكم سراويل)  
جمع سربال وهو كل ما يلبس أى جعل لكم ثياباً من القطن والكتان والصوف وغيرها (تقيكم الحر)  
خصه بالذكر اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر لأن وقايته هى الأهم عندهم لما مر آنفاً (وسراويل)  
من الدروع والجواشن (تقيكم بأسكم) أى البأس الذى يصل إلى بعضكم من بعض فى الحرب من الضرب  
والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص  
المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ثم بما يخص المسافرين بمن لهم قدرة على الخيام  
وأضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الأنعام الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يأويه إلا الظلال  
حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالاً الخ ثم بما لا بد منه لا حد حيث قال وجعل لكم سراويل الخ ثم بما لا غنى عنه  
فى الحروب حيث قال وسراويل تقيكم بأسكم ثم قال (كذلك) أى مثل ذلك الإتمام البالغ (يتم نعمته عليكم  
لعلكم تسلون) أى لئلا أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والآنفسية والآفاقية  
فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لأمره وإفراد النعمة إما  
لأن المراد بها المصدر أو لإظهار أن ذلك بالنسبة إلى جانب الكبرياء شئ قليل وقرىء تسلون أى تسلون  
من العذاب أو من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع (فإن تولوا) فعل ماض على طريقة الالتفات ٨٢  
وصرف الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ تسلياً له أى فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما أتى  
إليهم من البينات والعبارة والعهظ (فإنما عليك البلاغ المبين) أى فلا قصور من جهتك لأن وظيفتك  
هى البلاغ الموضح أو الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ النحل ١٦

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ النحل ١٦

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ النحل ١٦

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ

فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ النحل ١٦

- ٨٣ (يعرفون نعمة الله) استئناف لبيان أن توليهم وإعراضهم عن الإسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى أصلاً فإنهم يعرفونها ويعترفون أنها من الله تعالى (ثم ينكرونها) بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم أنها بشفاعه آلهتنا أو بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد ﷺ عرفوها بالمعجزات كما يعرفون أبناءهم ثم أنكروها عناداً ومعنى ثم لاستبعاد الإنكار بعد المعرفة لأن حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الإنكار وإسناد المعرفة والإنكار المنفرع عليها إلى ضمير المشركين على الإطلاق من باب إسناد حال البعض إلى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل واحد منهم فإن بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه (وأكثرهم الكافرون) أي المنكرون بقولهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا يتأني كالفرقة الأولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرفوا نقصان العقل أو التفريط في النظر أو لم يقيم عليه
- ٨٤ الحجة لأنه لم يباغ حد التكليف فتدبر (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) يشهد لهم بالإيمان والطاعة وعليهم
- بالكفر والعصيان وهو نبيها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار إذ لا عذر لهم وثم للدلالة على أن ابتلاهم بالمنع عن الاعتذار المنهي عن الإقناط الكلي وهو عند ما يقال لهم اخشوا فيها ولا تكلمون
- أشد من ابتلائهم بشهادة الأنبياء عليهم السلام عليهم وأطم (ولاهم يستعقبون) يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم إذ الآخرة دار الجزاء لادار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر أو خوفهم يوم نبعث الخ أو يوم نبعث يحق بهم ما يحق بما لا يوصف وكذا قوله تعالى (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) ذلك (ولاهم ينظرون)
- أي يملكون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الأوثان أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحل عليه وقانونهم في الغي والضلال (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) أي نعبدهم أو نطيعهم وأعلمهم قالوا ذلك طمعاً في توزيع العذاب بينهم كما ينبغي عنه قوله سبحانه (فألقوا) أي شركاؤهم (إليهم القول) إنكم لكاذبون) فإن تكذيبهم إياهم فيها قالوا ليس إلا للدفاع والتخلص عن غائلة مضمونة وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لأن الأوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم

وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ النحل ١٦

الَّذِينَ كَفَرُوا وَاصْذَوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ النحل ١٦  
وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ  
الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ النحل ١٦

السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لانحن أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهاً لله سبحانه عن الشريك والشياطين وإن كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والإلجاء كما قال إبليس وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوكم فاستجبتم لي فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل إنما عبدتم أهواءكم (وألقوا) أي الذين أشركوا (إلى الله يومئذ السالم) ٨٧ الاستسلام والانتقاد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا (وضل عنهم) أي ضاع وبطل (ما كانوا يفترون) من أن الله سبحانه شركاء وأنهم ينصرون ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرءوا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر ٨٨ (زدناهم عذاباً فوق العذاب) الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفاً وقيل يخرجون من النار إلى الزميرير فيبادرون من شدة البرد إلى النار (بما كانوا يفسدون) متعلق بقوله زدناهم أي زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الإفساد وهو الصد المذكور (ويوم نبعث) تكرير لما سبق تنبيهاً للتهديد (في كل ٨٩ أمة شهيداً عليهم) أي نبياً (من أنفسهم) من جنسهم قطعاً لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم لإشعار بأن شهادة أنبيائهم على الأمم تكون بمحضر منهم (وجئنا بك) لإثبات لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع (شهيداً على هؤلاء) الأمم وشهادتهم كقوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً وقيل على أمتك والعالم في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة (ونزلنا عليك الكتاب) الكامل في الكتابية الحقيقي بأن يخص باسم الجنس وهو إما استئناف أو حال بتقدير قد (تبياناً) بياناً بليغاً (لكل شيء) يتعلق بأمور الدين ومن جملة ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم عليهم السلام فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيداً عليهم وكذا من جملة ما أخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيداً عليهم عليهم الصلاة والسلام والتبيان كالتلقاء في كسر أوله وكونه تبياناً لكل شيء من أمور الدين باعتبار أن فيه نصاً على بعضها وإحالة لبعضها على السنة حيث أمر باتباع النبي ﷺ وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحشا على الإجماع وقد رضى رسول الله ﷺ لأمته باتباع أصحابه حيث قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتمعوا وقاسوا ووطنوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى تبيان

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

١٦ التحل

يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا

١٦ التحل

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾

الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبياناً فإن المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد إنه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من أنصار (وهدي ورحمة) للعالمين فإن حرمان الكفر من مغنم آثاره من تفریطهم لا من جهة الكتاب (وبشرى للمسلمين) خاصة أو يكون كل ذلك خاصاً بهم لأنهم المنتفعون بذلك (إن الله يأمر) أي فيما نزله تبياناً لكل شيء وهدي ورحمة وبشرى للمسلمين وإيثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لإفادة التجدد والاستمرار (بالعدل) بمراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وهو رأس الفضائل كما يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الحرمة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين الثور والجن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التباعد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والنزهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير (والإحسان) أي الإتيان بما أمر به على الوجه اللائق وهو إما بحسب الكمية كالإطعام بالنوافل أو بحسب الكيفية كما يشير إليه قوله عليه الصلاة والسلام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (وإيتاء ذى القربى) أي إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص إثر تعميم اهتماماً بشأنه (وينهى عن الفحشاء) الإفراط في مشايعة القوة الشهوية كالزنا مثلاً (والمُنْكَر) ما ينكر شرعاً أو عقلاً من الإفراط في إظهار آثار القوة الغضبية (والبغى) الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر إلا وهو مندرج في هذه الأقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبياناً لكل شيء وهدي (يعظمكم) بما يأمر وينهى وهو إما استئناف وإما حال من الضميرين في الفعلين (لعلكم تذكرون) طلباً لأن تعظوا بذلك (وأوفوا بعهد الله) هو البيعة لرسول الله ﷺ فإنها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (إذا عاهدتم) أي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله ﷺ

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَّا تَخَذُونِ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ  
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ ۖ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ  
تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

١٦ النحل

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنُسْئِلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

١٦ النحل

- (ولا تنقضوا الأيمان) التي تحلفون بها عند المعاهدة (بعد توكيدها) حسبما هو المعمود في أثناء العمود \*  
لا على أن يكون النهى مقيداً بالتوكيد مخصصاً به (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) شاهداً رقيباً فإن السكفيل \*  
مراع لحال المكفول به محافظ عليه (إن الله يعلم ما تفعلون) من نقض الأيمان والعمود فيجازيكم على \*  
ذلك (ولا تكونوا) فيما تصنعون من النقض (كالتي نقضت غزلها) أي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول ٩٢  
(من بعد قوة) متعلق بنقض أي كالمراة التي نقضت غزلها من بعد إبرامه وإحكامه (أنكنا) طاقات \*  
نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها أو على أنه مفعول ثان لنقضت فإنه بمعنى صيرت  
والمراد تقبيح حال النقض بتشبيهه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعنوية . قيل هي ربطة بنت سعد بن تيم  
وكانت خرقاء اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع فلكه عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي  
وجواربها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم) حال من \*  
الضمير في لا تكونوا أو في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر أي مشاهين لامرأة شأنها هذا حال كونكم  
متخذين أيمانكم مفسدة ودخلاً بينكم وأصل الدخول ما يدخل الشيء ولم يكن منه (أن تكون أمة) أي بأن \*  
تكون جماعة (هي أربي) أي أزيد عدداً وأوفر مالا (من أمة) من جماعة أخرى أي لا تغدروا بقوم \*  
لكفرتكم وقلنهم أو لكثرة منابذهم وقوتهم كقرش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة في أعادى حلفائهم  
نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم (إنما يبلوكم الله به) أي بأن تكون أمة أربي من أمة أي يعاملكم بذلك  
معاملة من يختبركم لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ﷺ أم تغترون بكثرة قرش  
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال (وليبيّن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) حين \*  
جازاكم بأعمالكم ثواباً وعقاباً (ولو شاء الله) مشيئة قسروا لاجاء (لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الإسلام ٩٣  
(ولكن) لا يشاء ذلك لكونه مزاحماً لقضية الحكمة بل (يضل من يشاء) إضلاله أي يخلق فيه الضلال  
حسبما يصرف اختياره الجزئي إليه (ويهدي من يشاء) هدايته حسبما يصرف اختياره إلى تحصيلها  
(ولنسالن) جميعاً يوم القيامة (عما كنتم تعملون) في الدنيا وهذا إشارة إلى مالوح به من الكسب الذي  
عليه يدور أمر الهداية والضلال .

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسِنَةَ يَمَّا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ  
وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

١٦ النحل

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾  
مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

١٦ النحل

٩٤ (ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم) تصريح بالنهاى عنه بعد التضمنين تأكيذاً ومبالغة في بيان قبح المنهى عنه وتمهيداً لقوله سبحانه (فتزل قدم بعد ثبوتها) عن محجة الحق (بعد ثبوتها) عليها ورسوخها فيها بالإيمان وإفراد القدم وتنكيرها للإيدان بأن زال قدم واحدة أى قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) أى العذاب الدنيوى (بما صددتم) بصددكم أو بصدمكم غيركم (عن سبيل الله) الذى ينتظم الوفاء بالعهود والإيمان فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم) فى الآخرة (عذاب عظيم) (ولا تشتروا بعهد الله) أى لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله ﷺ أو آياته الناطقة بإيجاب المحافظة على العهود والإيمان (ثمنًا قليلاً) أى لا تستبدلوا بها عرضاً يسيراً وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا (إن ما عند الله) عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الآخروى (هو خير لكم) مما يعدونكم (إن كنتم تعلمون) أى إن كنتم من أهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهى على طريقة التحقيق كأن قوله تعالى (ما عندكم) تعليل للخيرية بطريق الاستئناف أى ما تتمتعون به من نعم الدنيا وإن جل بل الدنيا وما فيها جميعاً (ينفد) وإن جم عدده وينقض وإن طال أمده (وما عند الله) من خزان رحمة الدنيوية والآخروية (باق) لانفاد له أما الآخروية فظاهرة وأما الدنيوية لحيث كانت موصولة بالآخروية ومستتعبة لها فقد انتظمت فى سمط الباقيات الصالحات وفى إشار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى (ولنجزي) بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى إن ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمى مبالغة فى الحمل على الثبات فى الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزيكم أجرهم بأحسن ما كنتم تعملون للتوسل إلى التعرض لأعمالهم والإشعار بعليتها للجزاء أى والله لنجزي (الذين صبروا) على أذية المشركين ومشاق الإسلام التى من حملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرىء بالياء من غير التفات (أجرهم) مفعول ثان لنجزي أى لنعطينهم أجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الأمور المذكورة (بأحسن ما كانوا يعملون) أى لنجزيهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه الأحسن الإشعار بكمال حسنه كما فى قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لإفادة قصر الجزاء على الأحسن منه دون الحسن فإن ذلك بما لا يخطر ببال أحد لا سيما بعد قوله تعالى أجرهم أو لنجزيهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم المذكورة على معنى لنعطيه بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطي به بمقابلة الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل لا أنا نعطي الأجر بحسب

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

النحل ١٦

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيْمِ ﴿٩٨﴾

النحل ١٦

أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن نجزى الحسن منها بالأجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل أو لنجزينهم بحزاء أحسن من أعمالهم وأما التفسير بما ترجع فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بما ترجع تركه أيضاً كالمحرمات والمكروهات دلالة على أن ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوى فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الأعمال الحسنة الخصوصية والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لإخراج بعض أعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها (من عمل صالحاً) أى عملاً صالحاً أى عمل كان وهذا شروع في ٩٧ تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غلب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعاً لتوهم اختصاص الأجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى (من ذكر أو أنى) \* مبالغة في بيان شموله لكل (وهو مؤمن) قيده به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب أو تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً وإيثار لإيراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمته في سلك الصلة لإفادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح (فلنحيينه حياة طيبة) في \* الدنيا يعيش عيشاً طيباً أما إن كان موسراً فظاهر وأما إن كان معسراً فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الأجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فإنه إن كان معسراً فظاهر وإن كان موسراً فلا بدعه الحرص وخوف الفوات أن يتناً بعيشه (ولنجزينهم) في الآخرة \* (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) حسبما يفعل الصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة إلى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما أن الأفراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وإيثار ذلك على العكس لما أن وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الاقتراق والتعاقب الملازم للإفراد ولذا قد انتهى الأمر إلى أن مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الإرشاد إلى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فليل (فإذا قرأت القرآن) أى إذا أردت قراءته عبر بها عن إرادتها على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب ليداناً بأن المراد هي الإرادة المنصلة بالقراءة (فاستعذ بالله) فأسأله عز جاره أن يعيذك (من الشيطان الرجيم) من \* وسوسه وخطراته كيلاً يوسوسك عند القراءة فإن له همة بذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية وتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعاذة عند إرادتها للتنبيه على أنها لغيره ﷺ وفي سائر الأعمال

١٦ النحل

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾

١٦ النحل

إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

١٦ النحل

الصالحة أهم فإنه ﷺ حيث أمر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظكم بمن عداه ﷺ فيما عدا القراءة من الأعمال والأمر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد أخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة أبو هريرة رضى الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحزة من القراء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله ﷺ فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال ﷺ قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (إنه) الضمير للشأن أو للشيطان (ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) أى إليه يفوضون أمورهم وبه يعوذون فى كل ما يأتون وما يذرون فإن وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وإيثار صيغة الماضى فى الصلة الأولى للدلالة على التحقيق كما أن اختيار صيغة الاستقبال فى الثانية لإفادة الاستمرار التجددى وفى التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة بإعادة المتوكلين والجملة لتعليل الأمر بالاستعاذة أو لجوابه المنوى أى يعذك أو نحوه ١٠٠ (إنما سلطانه) أى تسلطه وولايته بدعوته المستتعبة للاستجابة لسلطانه بالقسر والإلجاء فإنه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه على ما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبت لى وقد أفصح عنه قوله تعالى (على الذين يتولونه) أى يتخذونه ولياً ويستجيبون دعوته ويعطونه فإن المقصور بمعزل من ذلك (والذين هم به) سبحانه وتعالى (مشركون) أو بسبب الشيطان مشركون إذ هو الذى حملهم على الإشراف بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أن لا واسطة فى الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولى الشيطان وإن كان بينهما واسطة فى المفهوم وأن من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم فى سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب إذ به يتم التعليل ففيه مبالغة فى الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وإيثار الجملة الفعلية الاستقبالية فى الصلة الأولى لما مر من إفادة الاستمرار التجددى كما أن اختيار الجملة الاسمية فى الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من أولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الأولى على الثانية التى هى بمقابلة الصلة الأولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها ١٠١ من التوكل على الله تعالى ولوروى الترتيب السابق لا انفصل كل من القرينتين عما يقابلها (وإذا بدلنا آية مكان آية) أى إذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بأن نسخناها بها (والله أعلم بما ينزل) أولا وآخرأ وبأن كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت إلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فإن



قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ النحل  
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ  
مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ النحل

كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لا انقلاب الأمور الداعية إلى ذلك وما الشرائع إلا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة إما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات إلى الغيبة مع إسناد الخبر إلى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض أو حالية وقرىء بالتخفيف من الإنزال (قالوا) أي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ (إنما أنت مفتر) أي متقول على الله \* تعالى تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للإيذان بأن ذلك كفر ناشئة من نزغات الشياطين وأنه وليهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون شيئاً أصلاً أو لا يعلمون أن في النسخ حكماً بالغة وإسناد هذا الحكم إلى الأكثر لما أن منهم من يعلم ذلك وإنما ينكره عناداً (قل نزله) أي القرآن ١٠٢ المدلول عليه بالآية (روح القدس) يعني جبريل عليه السلام أي الروح المطهر من الأدناس البشرية \* وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كإضافة حاتم إلى الجود حيث قيل حاتم الجود للبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين إشعار بأن التدرج في الإنزال بما تقتضيه الحكم البالغة (من ربك) في إضافة الرب إلى ضميره ﷺ من الدلالة على تحقيق إفاضة آثار الربوبية عليه ﷺ \* ما ليس في إضافته إلى ياء المتكلم المبنية على التلحق المحض (بالحق) أي ملتبساً بالحق الثابت الموافق للحكمة المقترضة له بحيث لا يفارقه إنشاء ونسخاً وفيه دلالة على أن النسخ حق (ليثبت الذين آمنوا) على الإيمان \* بأنه كلامه تعالى فإنهم إذا سمعوا النسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللاتفة بالحال رنحت عقائدهم واطمأن قلوبهم وقرىء ليثبت من الإفعال (وهدى وبشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت أي تثبتاً وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد الأمور المذكورة لمن سواهم من الكفار (ولقد نعلم أنهم يقولون) غير مانقل عنهم من المقالة الشنعاء (إنما يعلمه) أي ١٠٣ القرآن (بشر) على طريق البت مع ظهور أنه نزله روح القدس عليه الصلاة والسلام وتحلية الجملة بفنون التأكيذ لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجديدي في متعلقيه فإنهم مستمررون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبر الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبراً ويسيراً كأنهما يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول ﷺ يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل حابساً غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وإنما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه مع كونه أدخل في ظهور كذبهم للإيذان بأن مدار خطابهم ليس بنسبته عليه السلام إلى التعلم من شخص معين بل من البشر كائناً من كان مع كونه عليه

١٦ النحل

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٦﴾ النحل

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ

صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ النحل

- السلام معدناً لعلوم الأولين والآخرين ( لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ) الإلحاد الإمالة من الحد  
القبر إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان  
في قوله والحد في دينه أى لغة الرجل الذى يميلون إليه القول عن الاستقامة أعجمية غير بينة وقرىء بفتح  
الياء والحاء وبتعريف اللسان ( وهذا ) أى القرآن الكريم ( لسان عربى مبين ) ذوبان وفصاحة والجلتان  
مستأنفتان لإبطال طعنهم وتقريره أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه فإن زعمتم أن بشرأ يعلمه معناه  
فكيف يعلمه هذا النظم الذى أعجز جميع أهل الدنيا والتشبهت في أثناء الطعن بأذيال أمثال هذه الخرافات  
١٠٤ الركيكة دليل كمال عجزهم ( إن الذين لا يؤمنون بآيات الله ) أى لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها  
• ما يقولون يسمونها تارة افتراء وأخرى أساطير معلية من البشر ( لا يهديهم الله ) إلى الحق أو إلى سبيل النجاة  
• هداية موصلة إلى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ( ولهم ) فى الآخرة ( عذاب أليم ) وهذا  
تهديد لهم ووعد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله ﷺ إلى الافتراء والتعلم  
١٠٥ من البشر بعد إمالة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى ( إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله )  
رد لقولهم إنما أنت مفتر وقلب الأمر عليهم ببيان أنهم هم المفترون بعد رده بتحقيق أنه منزل من عند  
الله بواسطة روح القدس وإنما وسط بينهما قوله تعالى ولقد علم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد  
الأول والمعنى والله تعالى أعلم أن المفترى هو الذى يكذب بآيات الله ويقول إنه افتراء ومعلم من البشر  
أى تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء كالحكم بأن ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصریح  
تعالى ليس بكلامه تعالى فى كونه كذباً وافتراء كالحكم بأن ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصریح  
بالكذب للبالغة فى بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه أعنى قوله  
لا يؤمنون وقيل المعنى إنما يفتري الكذب ويلقى ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لأنه لا يترقب عقاباً عليه  
ليرتدع عنها وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر عنه افتراء البتة  
• ( وأولئك ) الموصوفون بما ذكر من عدم الإيمان بآيات الله ( هم الكاذبون ) على الحقيقة أو الكاملون  
فى الكذب إذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بأمثال هاتيك الأباطيل والسرفى ذلك  
أن الكذب الساذج الذى هو عبارة عن الإخبار بعدم وقوع ما هو واقع فى نفس الأمر بخلق الله تعالى  
أو بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى فى فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه فى فعله وقوله المنبئ  
عنه معاً أو الذين عادتهم الكذب لا يزعمهم عنه وازع من دين أو مروءة وقيل الكاذبون فى قولهم إنما  
١٠٦ أنت مفتر ( من كفر بالله ) أى تلفظ بكلمة الكفر ( من بعد إيمانه ) به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ النحل

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ النحل

- من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأساً ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه وهو خبر لهما معاً أو النصب على الذم (إلا من أكره) على ذلك بأمري يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب أو الذم لأن الكفر لغة يتم بالقول كما أشير إليه وقوله تعالى (وقلبه مطمئن بالإيمان) حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالإكراه لا نفس الإكراه لأن مقارنة اطمئنان القلب بالإيمان للإكراه لا تجدى نفعا وإنما المجدى مقارنة الكفر الواقع به أي إلا من كفر بإكراه من الأمن أكرهه فكفر والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وإنما لم يصرح به إيماء إلى أنه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب (ولكن من) لم يكن كذلك بل (شرح بالكفر صدرأ) أي اعتقده وطاب به نفساً (فعلهم غضب) عظيم لا يكتنه كنهه (من الله) إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب (ولهم عذاب عظيم) إذ لا جرم أعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما أن الأفراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ. روى أن قريشاً أكرهوا عماراً وأبويه بأسراً وسمية على الارتداد فأباه أبواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجنت بحربة في قبلها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال فقتلوا وقاتلوا بأسراً وهما أول قتيلين في الإسلام وأعمار فاعظام بلسانه ما أكرهوا عليه فقتل يارَسُولَ اللَّهِ إن عماراً كفر فقال رسول الله ﷺ كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بدمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه الملجئ وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزاز الدين كما فعله أبواه وروى أن مسيلة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد ثلثاً فأعاد جوابه فبلغ رسول الله ﷺ فقال أما الأول فقد أخذ برخصة وأما الثاني فقد صدع بالحق (ذلك) إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو إلى الوعيد المذكور (بأنهم) بسبب أنهم (استحبوا) ١٠٧ الحياة الدنيا) آثروها (على الآخرة وأن الله لا يهدي) إلى الإيمان وإلى ما يوجب الثبات عليه هداية. قسر وإلجاء (القوم الكافرين) في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي إليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا أحد الأمرين إما إشاراً للحياة الدنيا على الآخرة وإما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بأن آثروا الآخرة على الدنيا أو بأن هدام الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والأول مما لا يدخل تحت الوقوع وإليه أشير بقوله تعالى (أولئك) أي أولئك الموصوفون بما ذكر من ١٠٨ القبايح (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبى عن إدراك الحق والتأمل فيه (وأولئك هم

١٦ النحل

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ

١٦ النحل

رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ١٦ النحل

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ

١٦ النحل

بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

- ١٠٩ (الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة إذ لا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر العواقب (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى ما لا يفضى إلا إلى العذاب المخلد (ثم إن ربك للذين هاجروا) إلى دار الإسلام وهم عمار وأصحابه رضى الله عنهم أى لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجه ظاهر أعمالهم السابقة فالجار والمجور خبر لأن ويجوز أن يكون خبرها محذوفاً لدلالة الخبر الآتى عليه ويجوز أن يكون ذلك خبراً لها وتكون إن الثانية تأكيداً للأولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التى يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الإشارة لأن رتبة حال الكفرة (من بعد ما فتنوا) أى عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان وقرىء \* على بناء الفاعل أى عذبوا المؤمنين كالحضرمى أكرهه مولاة جبرأتى ارتد ثم أسلداوها اجرا (ثم جاهدوا) \* فى سبيل الله (وصبروا) على مشاق الجهاد (إن ربك من بعدها) من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من عليه الصلة له أو من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم إخلال ذلك بالحكم (لغفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفى \* التعرض لعنوان الربوبية فى الموضوعين إيماء إلى علة الحكم وفى إضافة الرب إلى ضميره عليه السلام مع ظهور الأثر فى الطائفة المذكورة إظهار لجمال اللطف به عليه السلام وإشعار بأن لإفاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم أتباعاً له (يوم تأتى كل نفس) منصوب بـرحيم \* ومارتب عليه أو باذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين (تجادل عن نفسها) عن ذاتها \* تسعى فى خلاصتها بالاعتذار لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى (وتوفى كل نفس) أى تعطى وأقبأ \* كاملاً (ما عملت) أى جزاء ما عملت بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب إشعاراً بكمال الاتصال بين الأجزئة والأعمال وإيثار الإظهار على الإحصار لزيادة التقرير والإيذان باختلاف وقى المجادلة والتوفية وإن كانتا فى يوم واحد (وهم لا يظلمون) لا ينقصون أجورهم أو لا يعاقبون بغير موجب ولا يزداد فى عقابهم على ذنوبهم (وضرب الله مثلاً قرية) قيل ضرب المثل صنعه واعتماله وقد مرت تحقيقه فى سورة البقرة ولا يتعدى إلا إلى مفعول واحد وإنما عدى إلى الاثنين لتضمنه معنى الجمع وتأخير قرية مع كونها

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾

١٦ النحل

مفعول أول ثلاثي المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها إذ التأخير عن الكل محل بتجاذب أطراف النظم وتجاوبها ولأن تأخير ماحقه التقديم بما يورث النفس ترقباً لوروده وتشوقاً إليه لاسيما إذا كان في المقدم ما يدعو إليه فإن المثل مما يدعو إلى المحافظة على تفاصيل أحوال ما هو مثل فيتمكن المؤخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية إما محقة في الغابرين وإما مقدرة أى جعلها مثلاً لأهل مكة خاصة أو لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة دخولاً أولاً (كانت آمنة) ذات أمن من كل مخوف (مطمئنة) لا يزعج أهلها مزعج (يأتيها رزقها) أفوات أهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سببها عن الصفة الأولى لما أن إتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر (رغداً) واسعاً (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت) أى كفر أهلها (بأنعم الله) أى بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس والمراد بها نعمة الرزق والأمن المستمر وإثارة جمع القلة للإيذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب فما ظلك بكفران نعم كثيرة (فأذاقها الله) أى أذاق أهلها (لباس الجوع والخوف) شبه أثر الجوع والخوف وضررها المحيط بهم باللباس الغاشى للابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذابة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكى اللامسة والذائقة على نهج التجريد فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على اللسان جرت مجرى الحقيقة كقول كثير [غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً \* غلقت لضحكته رقاب المال] فإن الغمر مع كونه في الحقيقة من أحوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت لإضافته إلى الرداء المستعار للمعروف تجريداً أو شبه أثرهما وضررهما من حيث الإحاطة بهما والسكرامة لديهم تارة باللباس الغاشى للابس المناسب للخوف بجامع الإحاطة واللزوم تشبيهه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية وأخرى بطعم المر البشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع السكرامة فأوى إليه بأن أوقع عليه الإذابة المستعارة لإيصال المضار المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكى اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الأمن المقدم فيما تقدم على إتيان الرزق لكونه أنسب بالإذابة أو لمراعاة المقارنة بينها وبين إتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه أيضاً عطفاً على المضاف أو إقامة له مقام مضاف محذوف وأصله ولباس الخوف (بما كانوا يصنعون) فيما قبل أو على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور أسند ذلك إلى أهل القرية تحقيقاً للأمر بعد إسناد الكفران إليها وإيقاع الإذابة عليها لإرادة اللبالة وفي صيغة الصنعة إيذان بأن كفران نعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة (ولقد جاءهم) من تنمة المثل جىء بها ١١٣ لبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ النحل ١٦

\* الخلق أيضاً أى ولقد جاء أهل تلك القرية (رسول منهم) أى من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم  
 \* بوجوب الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون (فكذبوه) في رسالته أو فيها أخبرهم  
 \* به بما ذكره فالفاء فصيحة وعدم ذكره للإيذان بمفاجأتهم بالكذب من غير تعلم (فأخذهم العذاب)  
 \* المستأصل لشاقهم غب ماذا قوا نبذة من ذلك (وهم ظالمون) أى حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذى  
 هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه  
 دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول  
 جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد إليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل  
 فإن حال أهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة أو لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال أهل تلك القرية حذو  
 القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس  
 من حولهم وما يمر بياهم طيف من الخوف وكانت تجي إليه ثمرات كل شئ ولقد جاءهم رسول منهم وأى  
 رسول يحار في إدراك سمو رتبته العقول عليه السلام ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بأنعم الله وكذبوا  
 رسوله عليه السلام فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث أصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم أعنى عليهم بسبع  
 كسيع يوسف ما أصابهم من جذب شديد وأزمة حصت كل شئ حتى اضطرتهم إلى أكل الجيف  
 والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلمز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من  
 سرايا رسول الله عليه السلام حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم  
 من العذاب هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وأما ما أجمع عليه أكثر أهل التفسير  
 من أن الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحاً بعد ما ذكر مثلهم وأن المراد  
 بالرسول محمد رسول الله عليه السلام وبالعذاب ما أصابهم من الجذب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف  
 ١١٤ لا وقوله سبحانه (فكلوا مما رزقكم الله) مفرع على نتيجة التمثيل وصد لم عما يؤدى إلى مثل عاقبته والمعنى  
 وإذا قد استبان لكم حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتى أولاً  
 وأخراً فانتها عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول عليه السلام كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم  
 \* واعرفوا حق نعم الله تعالى وأطيعوا رسوله عليه السلام في أمره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه (حلالاً  
 \* طيباً) وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها (واشكروا نعمة الله) واعرفوا حقها ولا تقابلوها  
 بالكفران والفاء في المعنى داخل على الأمر بالشكر وإنما أدخلت على الأمر بالاكل لكون الاكل  
 ذريعة إلى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالاً طيباً وقد أدمج فيه النهى عن زعم الحرمة ولا  
 ريب في أن هذا الإنما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقفاً بعد وقد تمهدت مبادئه وبعد ما وقع ما وقع فن  
 ذا الذى يحظر ومن ذا الذى يؤمر بالاكل والشكر وحل قوله تعالى فأخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار  
 بذلك قبل الوقوع بأباه الهدى لاستصلاحهم بالأمر والنهى وتوجيه خطاب الأمر بالاكل إلى المؤمنين

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أِهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

١٦ النحل

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

١٦ النحل

- مع أن ما يتلوه من خطاب النهى متوجه إلى الكفار كما فعله الواحدى حيث قال فكلوا أنتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يلىق بشأن التنزيل الجليل (إن كنتم إياه تعبدون) أى تطيعون أو • إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما • ١١٥ أهل لغير الله به) لتليل حل ما أمرهم بأكله مما رزقهم أى إنما حرم هذه الأشياء دون ما تزعمون حرمة من البحار والسواحب ونحوها (فن اضطر) بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئاً من ذلك (غير باغ) • أى على مضطر آخر (ولا عاد) أى متجاوز قدر الضرورة (فإن ربك غفور رحيم) <sup>(١)</sup> أى لا يؤاخذكم بذلك فأقيم سببه مقامه وفى التعرض لوصف الربوبية إيماء إلى علة الحكم وفى الإضافة إلى ضميره ﷺ إظهار لكمال اللطف به ﷺ وتصدير الجملة بإنما لحصر المحرمات فى الأجناس الأربعة إلا ما مضى إليه كالسباع والحر الأهلية ثم أكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم) • ١١٦ اللام صلة مثلها فى قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات أى لا تقولوا فى شأن ما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قواكم ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلاً عن استناده إلى وحى أو قياس مبنى عليه (الكذب) • منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى (هذا حلال وهذا حرام) بدل منه ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة • القول أى لا تقولوا لما تصف ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وأن يكون القول المقدر حالاً من ألسنتهم أى قائله هذا حلال الخ ويجوز أن ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية أى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أى لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف ألسنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له فى المسامع كأن ألسنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعاً للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه أوضح وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرىء بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرب الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذاباً ذكره ابن جنى (لتفتروا على الله الكذب) •

(١) قوله (فإن ربك غفور رحيم) التلاوة فإن الله غفور رحيم وحيتذ فلا حاجة لبيان نكتة التعبير بالربوبية المضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام بقوله (وفى التعرض لوصف الربوبية الخ) •

١٦ النحل

مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

١٦ النحل

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

١٦ النحل

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

١٦ النحل

- فإن مدار الحل والحزمة ليس إلا أمر الله تعالى فالحكم بالحل والحزمة إسناد للتحليل والتحریم إلى الله سبحانه من غير أن يكون ذلك منه واللام لام العاقبة (إن الذين يقترون على الله الكذب) في أمر من ١١٧ الأمور (لا يفلحون) لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الاقتراء للفوز بها (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعلة قليلة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) لا يكتتنه ١١٨ كنهه (وعلى الذين هادوا) خاصة دون غيرهم من الأولين والآخرين (حرمننا ما قصصنا عليك) أي بقوله تعالى حرمننا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمننا عليهم شحومهما الآية (من قبل) متعلق بقصصنا أو بحرمننا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا (وما ظلمناهم) بذلك التحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية ولقد أقمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين روى أنه ﷺ لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديد أوضح بيان وفيه ١١٩ تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) أي بسبب جهالة أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبمعاقبه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الاقتراء على الله تعالى وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك) أي من بعد ما عملوا ما عملوا والتصریح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة (وأصلحوا) أي أصلحوا أعمالهم أو دخلوا في الصلاح (إن ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على طاعته تركا وفعلوا تكرير قوله تعالى إن ربك لنا كيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ مع ظهور الأثر في التائبين للإيمان إلى أن إفاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه ﷺ وكونهم من أتباعه كما ١٢٠ أشير إليه فيما سر (إن إبراهيم كان أمة) على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا تكاد توجد إلا متفرقة في



شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَنَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ النحل ١٦

وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ النحل ١٦

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ النحل ١٦

أمة حجة حسبما قيل [ليس على الله بمستنكر] أن يجمع العالم في واحد [وهو رئيس أهل التوحيد وقادة أصحاب التحقيق جادل أهل الشرك وألقمهم الحجر بينات باهرة لا تبقى ولا تذر وأبطل مذاهبهم الزائفة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة] أولاً لأنه ﷺ كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصدته أو اقتدى به فإن الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته لقوله تعالى إني جاعلك للناس إماماً وإيراد ذكره ﷺ عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله الله تعالى للإيذان بأن حقبة دين الإسلام وبطلان الشرك وفروعه أمر ثابت لا ريب فيه (فانتأ لله) مطيعاً له قائماً بأمره (حنيفاً) مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق غير زائل عنه بحال \* (ولم يك من المشركين) في أمر من أمور دينهم أصلاً وفروعا صرح بذلك مع ظهوره لارداً على كفارة ريش \* فقط في قولهم نحن على ملة أبينا إبراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزيز ابن الله في افتراءهم وادعائهم أنه عليه الصلاة والسلام كان على مام عليه كقوله سبحانه ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين إذ به ينتظم أمر إيراد التحريم والسبب سابقاً ولاحقاً (شاكراً لأنعمه) صفة ثالثة لآمة وإنما أوتر صيغة جمع القلة للإيذان بأنه عليه السلام كان لا يخل بشكر ١٢١ النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف مام عليه من الكفران بأنعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل (اجتباؤه) للنبوة (وهدهاه إلى صراط مستقيم) موصل إليه سبحانه وهو ملة الإسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع إرشاد الخلق أيضاً بمعونة قرينة الاجتباء (وأتيناه في الدنيا حسنة) حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى ١٢٢ أنه ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على إبراهيم والالتفات إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه الصلاة والسلام (ولأنه في الآخرة \* لمن الصالحين) أصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأل به بقوله وألحقني بالصالحين واجعل لي اسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم (ثم أوحينا إليك) مع علو طبقتك وسمو رتبتك (أن) ١٢٣ اتبع ملة إبراهيم) الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء عليهم السلام من أمملت الكتاب إذا ملئته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه أن الوضع الإلهي مهما نسب إلى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب إلى من يقيمه ويعمل به يسمى ديناً قال الراغب الفرق بينهما أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي ﷺ ولا تكاد توجد مضافة إلى الله سبحانه ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الإسلام الذي عبر عنه آنفاً بالصراط المستقيم (حنيفاً) \*

إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

١٦ النحل

حال من المضاف إليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجهه هند قائمة بالمأمور به الاتباع في الأصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الأعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للإيذان بأن هذه النعمة من أجل النعم الفائضة عليه عليه السلام (وما كان من المشركين) تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل ١٢٤ وقوله تعالى (إنما جعل السبت) أي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النبي الكلي وتوضيح له بإبطال ما عسى يتوهم كونه قادحاً في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فإن اليهود كانوا يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم عليه السلام كان محافظاً عليه أي ليس السبت من شرائع إبراهيم وشعائره ملته التي أمرت باتباعها حتى يكون بينه عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وإنما شرع ذلك لبني إسرائيل بعد مدة طويلة وإيراد للفعل مبنياً للمفعول جرى على سنن الكبرياء وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة الإسناد إلى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وإنما عبر عن ذلك بالجعل موصولاً بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم ف قيل إنما جعل السبت (على الذين اختلفوا فيه) للإيذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدى إلى العذاب وبكونه معللاً باختلافهم في شأنه قبل الوقوع لإثارة له على ما أمر الله تعالى به واختياراً للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام أمر اليهود أن يجعلوا في الأسبوع يوماً واحداً للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شذمة منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخم الله سبحانه قردة دون أولئك المطيعين (وإن ربك ليحكم بينهم) أي بين الفريقين المختلفين فيه (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجأزى كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه إيماء إلى أن ما وقع في الدنيا من مسخ أحد الفريقين وإنهاء الآخر بالنسبة إلى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الإعجاز التنزيلي وقيل المعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه أي أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى وكان حتماً عليهم أن يتفقوا على تحريمه حسبما أمر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف أفعالهم بالإحلال تارة والتحريم أخرى ووجه إيراد ههنا بأنه أريد به إنذار المشركين من مسخ الله تعالى على العصاة والمخالفين لأوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بأنعم الله تعالى ولا ريب في أن كلمة بينهم تحكم بأن المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وأن توسيط حديث المسخ للإنذار المذكور بين

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ  
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

١٦ النحل

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ١٦ النحل

حكاية أمر النبي ﷺ بانباغ ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبين أمره ﷺ بالدعوة إليهم من قبيل الفصل بين  
الشجر والحائه فتأمل ( ادع ) أى من بعثت إليهم من الأمة قاطبة فخذف المفعول للتعميم أو افعل الدعوة كما فى ١٢٥  
قولهم يعطى ويمنع أى يفعل الإعطاء والمنع فخذفه للقصد إلى إيجاد نفس الفعل إشعاراً بأن عموم الدعوة غنى  
عن البيان وإنما المقصود الأمر بإيجادها على وجه مخصوص ( إلى سبيل ربك ) إلى الإسلام الذى عبر عنه \*  
تارة بالصراط المستقيم وأخرى بملة إبراهيم عليه السلام وفى التعرض لعنوان الربوبية المذبذبة عن المالكية  
وتبليغ الشئ إلى كاله اللائق شيئاً فشيئاً مع إضافة الرب إلى ضمير النبي ﷺ فى مقام الأمر بدعوة الأمة  
على الوجه الحكيم وتكميلهم بأحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام  
والإيلاء إلى وجه بناء الحكم مالا يخفى ( بالحكمة ) أى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح \*  
للحق المزيج للشبهة ( والموعظة الحسنة ) أى الخطايبات المقتنة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك \*  
تنصهم وتقصد ما ينفعهم فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز  
أن يكون المراد بهما القرآن المجيد فإنه جامع لكلا الوصفين ( وجادلهم ) أى ناظر معانديهم ( بالتي هى  
أحسن ) بالطريقة التى هى أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال  
المقدمات المشهورة تسكيناً لشغفهم وإطفاء لهمهم كما فعله الخليل عليه السلام ( إن ربك هو أعلم بمن ضل  
عن سبيله ) الذى أمرك بدعوة الخلق إليه وأعرض عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواظع  
والعبر ( وهو أعلم بالمهتدين ) إليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الأمرين والمعنى والله تعالى أعلم أسلك \*  
فى الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فإنه تعالى هو أعلم بحال من لا يعوى عن الضلال بموجب  
استعداده المكتسب وبحال من يصير أمره إلى الاهتداء لما فيه من خير جليل فما شرعه لك فى الدعوة  
هو الذى تقتضيه الحكمة فإنه كاف فى هداية المهتدين وإزالة عذر الضالين أو ما عليك إلا ما ذكر من  
الدعوة والمجادلة بالأحسن وأما حصول الهداية أو الضلال والمجازاة عليهما فإلى الله سبحانه إذ هو أعلم  
بمن يبق على الضلال ومن يهتدى إليه فيجازى كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما أن مساق الكلام  
لهم وإيراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما أنه تغيير لفطرة الله التى فطر الناس عليها وإعراض  
عن الدعوة وذلك أمر عارض بخلاف الاهتداء الذى هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على  
موجب الدعوة ولذلك جرى به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكريره هو أعلم لنا تأكيداً وإشعاراً  
بتباين حال المعلومين ومآلهم من العقاب والثواب وبعد ما أمره عليه الصلاة والسلام فيما يختص به من  
شأن الدعوة بما أمره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعة فيما يعم الكل فقال ( وإن عاقبتهم ) ١٢٦

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ١٦ النحل

• أى إن أردتم المعاقبة على طريقة قول الطيب للمحتمى إن أكلت فكل قليلاً (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) أى بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان أو على نهج المشاكلة والمقصود إيجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين ما آل الجدل إلى القتال وأدى النزاع إلى القراع فإن الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهى موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وإدخال الأعناق فى فلاة غير معبودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الأولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وأرتجت دونهم أبواب المباحثة والمحاوره وقيل إنه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة رضى الله عنه يوم أحد قد مثل به قال لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراه وقرىء وإن عقيتم فعقبوا أى وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والأمر وإن دل على إباحة المماثلة فى المثلة من غير تجاوز لكن فى تقييده بقوله وإن عاقبتم حث على العفو تعريضاً وقد صرح به على الوجه الأكدر فقيل (ولئن صبرتم) أى عن المعاقبة بالمثل (لهو) أى لصبركم ذلك (خير) لكم من الانتصار بالمعاقبة وإلحاقاً (للصابرين) مدحاً لهم وثناء عليهم بالصبر أو وصفاً لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير إلى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول أنفسهم فى جنس الصابرين دخولا أولاً ثم أمر عليه الصلاة والسلام صريحاً بما ندب إليه غيره تعريضاً من الصبر لأنه أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة ١٢٧ عليه بشئونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل (واصبر) أى على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والأذى وعانيت من إعراضهم عن الحق بالكلية (وما صبرك إلا بالله) استثناء مفرغ من أعم الأشياء أى وما صبرك ملبساً ومصحوباً بشئ من الأشياء إلا بالله أى بذكره والاستغراق فى مراقبة شئونه والتبذل إليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه الصلاة والسلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه مالا مزبد عليه أو لا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتعبة لمواقب حميدة فالنسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل إلا بتوقيفه ومعونته فهى من حيث تسهيله وتيسيره فقط (ولا تحزن عليهم) أى على الكافرين بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والأول هو الأنسب بجزالة النظم الكريم (ولا تك فى ضيق) بالفتح وقرىء بالكسر وهما لغتان كالقول والقليل أى لا تسكن فى ضيق صدور حرج ويجوز أن يكون الأول تخفيف ضيق كهين من • هين أى فى أمر ضيق (عما يمسكرون) أى من مكرم بك فيما يستقبل فلا تول نهى عن التألم المطلوب من قبلهم فات والثانى عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهى عنهما مع أن انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الأول لزيادة التأكيد وإظهار كمال العناية بشأن النسلية وإلا فهل يخطر ببال من توجه إلى الله سبحانه بشرأشر نفسه متنزها عن كل مأساة من الشواغل شئ من المطلوب فينهى عن الحزن

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١٦ النحل

بفوائده أو محظور فكيف عن الخوف من وقوعه (إن الله مع الذين اتقوا) تعليل لما سبق من الأمر والنهي ١٢٨ والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعة بالمتقين إنما هي من حيث إنهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه إن الله مع الصابرين ونظارهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أغنى التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه بشرائفه نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة بإشارة قوله سبحانه ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى أن الله ولي الذين تبتلوا إليه بالكلية ونزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب أو محذور فضلا عن الحزن بفوائده أو الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به حسبا أشير إليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر إن العاقبة للمتقين على أحد التفسيرين كما حقق في مقامه وإلا فجرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار إليه ورديفيه وإنما مداره المعنى المذكور فكأنه قيل إن الله مع الذين صبروا وإنما أوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على أنه من خصائص أجل النعوت الجليلة وروادفه كما أن قوله تعالى (والذين هم محسنون) للإشعار بأنه من باب الإحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك حيث قيل واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقد نبه على أن كلام من الصبر والتقوى من قبيل الإحسان في قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي هو حسن الوصف المستلزم لحسن الذات وقد فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وتكرير الموصول للإيذان بكفاية كل من الصائتين في ولايته سبحانه من غير أن تكون إحداها تنمة للأخرى وإيراد الأولى فعلية للدلالة على الحدوث كما أن إيراد الثانية اسمية لإفادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقدير التقوى على الإحسان لما أن التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين إما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه الصلاة والسلام داخل في زميرهم دخولا أوليا وإما هو عليه الصلاة والسلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجليلين وفيه رمز إلى أن صنيعه عليه الصلاة والسلام مستتبع لاقتداء الأمة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية [اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية عند صبر الرأس] عن هرم بن حيان أنه قيل له حين الاحتضار أوص قال [إنما الوصية من المال وأوصيكم بخوانيم سورة النحل . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلته كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية ، والحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله أجمعين .

## ١٧ - سورة الإسراء

(مكية وآياتها مائة وأحد عشر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

١٧ الإسراء

(سورة الإسراء مكية إلا الآيات ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى آية ٨٠ فمدنية وآياتها ١١١) (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان الذي أسرى عبده) سبحان علم للتسبيح كسبحان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عيناً وجنساً لا شخصاً لم تكن لإضافته من قبيل ما في زيد المعارك أو حاتم طيء وانتصابه بفعل متروك الإظهار تقديره أصبح الله سبحان الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السميع الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما وهو علم يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه فقيه مبالغة من حيث إضافة التنزه إلى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كأنه قيل تنزه بذاته وتعالى والإسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى (ليلاً) لإفادة قلة زمان الإسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الأجزاء دلالة على البعضية من حيث الأفراد فإن قولك سرت ليلاً كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت سرت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً فيكون معياراً للسير لا ظرفاً له ويؤيده قراءة من الليل أى بعضه وإيثار لفظ العبد للإيذان بتمحضه عليه الصلاة والسلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الإسراء ومنتهاه وإضافة التنزه أو التنزه إلى الموصول المذكور للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فإن ذلك من أدلة كمال قدرته وبالع حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين (من المسجد الحرام) اختلف في مبدأ الإسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فإنه روى عنه ﷺ أنه قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام بالبراق وقيل هو دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسة به أو لأن الحرم كله مسجد فإنه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج إلى المسجد تشبث بشو به ﷺ تمنعه خشية أن يكذبه القوم قال ﷺ وإن كذبوني فلما خرج جلس إليه أبو جهل فأخبره ﷺ بحديث الإسراء فقال أبو جهل يا معشر كعب بن لؤى بن غالب هلم

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ١٧ الإسراء

لخدمهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً وأرتد ناس عن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر فقال إن كان ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال إني أصدقه على أبعده من ذلك فسمى الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينتعه لهم فقالوا أما النعت فقد أصابه فقالوا أخبرنا عن غيرنا فأخبرهم بعدد جملها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورك فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثانية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورك كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلم الله أنى يؤفكون . واختلف في وقته أيضاً فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعثة واختلف أيضاً أنه في اليقظة أو في المنام فعن الحسن أنه كان في المنام وأكثر الأقاويل بخلافه والحق أنه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف أيضاً أنه كان جسمانياً أورو حانياً فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه وعن معاوية أنه قال إنما عرج بروحه والحق أنه كان جسمانياً على ما ينبي عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فإن الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش وأحاله ولا استحالة فيه فإنه قد ثبت في الهندسة أن قطر الشمس ضعف قطر الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل إلى موضع طرفها الأعلى بحركة الفلك الأعظم مع معاوكة حركة فللكها لها في أقل من ثانية وقد تقرر أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض التي من جملتها الحركة وأن الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيلة الإمكان فيقدر على أن يخلق مثل تلك الحركة بل أسرع منها في جسد النبي ﷺ أو فيما يحمله ولو لم يكن مستبعداً لم يكن معجزة ( إلى المسجد الأقصى ) أي بيت المقدس سمي به إذ لم يكن حينئذ وراه . \* مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى ( الذي باركنا حوله ) ببركات الدين والدنيا لأنه \* مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ( لنزيه ) غاية للإسراء ( من آياتنا ) العظيمة التي من \* جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول إلى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم الصلاة والسلام والالتفات إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرىء ليريه بالياء ( إنه هو السميع ) لا قوله عليه الصلاة والسلام بلا أذن \* ( البصير ) بأفعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقر به بحسب ذلك وفيه إيماء إلى أن الإسراء \* المذكور ليس إلا لشكرته عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته وإلا فالإحاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة إلى التقريب والالتفات إلى الغيبة لتربية الممابة ( وآتيناه موسى الكتاب ) أي التوراة وفيه إيماء ٢ إلى دعوته عليه الصلاة والسلام إلى الطور وما وقع فيه من المناجاة جماعاً بين الأمرين المتحدتين في المعنى ولم يذكرهما العروج بالنبي ﷺ إلى السماء وما كان فيه مما لا يكتمه كنهه حسبما نطق به سورة النجم تقريباً للإسراء إلى قبول السامعين أي آتيناه التوراة بعد ما أسرينا به إلى الطور ( وجعلناه ) أي ذلك \*

١٧ الاسراء

ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿١٧﴾

وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا

١٧ الاسراء

كَبِيرًا ﴿١٨﴾

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا

١٧ الاسراء

مَّفْعُولًا ﴿١٩﴾

- \* الكتاب (هدى لبني إسرائيل) يهتدون بما في مطاويه (أن لا تتخذوا) أى لا تتخذوا نحو كتبت إليه أن افعل كذا وقرىء بالياء على أن مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب هداية لبني إسرائيل لئلا يتخذوا (من دوني وكيلا) أى رباً تكونون إليه أموركم والإفراد لما أن فعيلاً مفرد في اللفظ جمع في المعنى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو النداء على قراءة النهى والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير إنعامه تعالى عليهم في ضمن إنجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام أو على أنه أحد مفعولى لا يتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمرم أن يتخذوا الملائكة والنبين أرباباً وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واو لا يتخذوا يابذل الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة وقرىء ذرية بكسر الذال (إنه) أى إن نوحاً عليه الصلاة والسلام (كان عبداً شكوراً) كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره عليه الصلاة والسلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذى هو أعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام (وقضينا) أى أتممنا وأحكمنا منزائين (إلى بني إسرائيل) أو موحين إليهم (في الكتاب) أى في التوراة فإن الإنزال والوحى إلى موسى عليه السلام إنزال ووحى إليهم (لتفسدن في الأرض) جواب قسم محذوف ويجوز إجراء القضاء المحتوم بجرى القسم كأنه قيل وأقسمنا لتفسدن (مرتين) مصدر والعامل فيه من غير جنسه أو لاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا عليه الصلاة والسلام وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (واتعلن علواً كبيراً) لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه أو لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك إفراطاً مجاوزاً للحدود (فإذا جاء وعد أولاهما) أى أولى كرتى الإفساد أى حان وقت حلول العقاب الموعود (بعثنا عليكم) لما أخذتكم بمجانياتكم (عباداً لنا) وقرىء عبيداً لنا (أولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش في الحروب هم سنجاريب من أهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت (لجاسوا) أى ترددوا لطلبكم بالفساد وقرىء بالحاء والمعنى واحد وقرىء وجوسوا (خلال الديار) فى أوساطها للقتل والغارة وقرىء خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضاً مما جرت به



ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٨١﴾ ١٧ الاسراء  
 إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَعْمُوا وَجُوهَكُمْ  
 وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتَّبِرًا ﴿٨٢﴾ ١٧ الاسراء  
 عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِمَ عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨٣﴾ ١٧ الاسراء

السنة الإلهية (وكان) ذلك (وعداً مفعولاً) لاحتالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل (ثم رددنا لكم الكرة) ٦  
 أى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من \*  
 الفساد والعلو قيل هى قتل بخت نصر واستنقاذ بنى إسرائيل أسارهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وذلك  
 أنه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسب ألقى الله تعالى فى قلبه الشفقة عليهم  
 فرد أسارهم إلى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر وقيل  
 هى قتل دودا عليه السلام لجالوت (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعد ما نهبت أموالكم (وبنين) بعد ما سببت \*  
 أولادكم (وجعلناكم أكثر نفيراً) مما كنتم من قبل أو من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل \*  
 جمع نفروهم القوم المجتمعون للذهاب إلى العدو كالعبيد والمعين (إن أحسنتم) أعمالكم سواء كانت لازمة ٧  
 لأنفسكم أو متعدياً إلى الغير أى عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك إلا بعد أن تكون الأعمال  
 حسنة فى أنفسها أو إن فعلتم الإحسان (أحسنتم لأنفسكم) لأن ثوابها لها (وإن أسأتم) أعمالكم بأن عملتموها \*  
 لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتى أو فعلتم الإساءة (فلها) إذ عليها وبالها وعن على كرم الله وجهه \*  
 ما أحسنتم إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها (فإذا جاء وعد الآخرة) حان وقت ما وعد من عقوبة المرة \*  
 الآخرة (ليسووا وجوهكم) متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أى بعثناهم ليسووا ومعنى ليسووا \*  
 وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكتابة بادية فى وجوهكم كقوله تعالى سينت وجوه الذين كفروا وقرىء  
 ليسووا على أن الضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسو بنون العظمة وفى قراءة على رضى الله عنه انسوا أن  
 على أنه جواب إذا وقرىء لنسوا بالنون الخفيفة وليسوا باللام فى قوله عز وجل (وليدخلوا \*  
 المسجد) عطف على ليسووا متعلق بما يتعلق هو به (كادخلوه أول مرة) أى فى أول مرة (وليتبروا) أى \*  
 يهلكوا (ما علوا) ما غلبوا واستولوا عليه أو مدة علومهم (تتبراً) فظيلاً لا يوصف بأن سلط الله عز سلطانه \*  
 عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودردو قيل جر دوس وقيل دخل صاحب الجيش  
 مذبح قرايينهم فوجد فيه دماً يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقونى فقتل على ذلك  
 الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال إن لم تصدقونى ما تركت منكم أحداً فقالوا إنه دم يحيى بن زكريا عليهم الصلاة  
 والسلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك  
 فأهدأ يا ذن الله تعالى قبل أن لا أبقي منهم أحداً فهذا (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الآخرة إن تبتم ٨

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

١٧ الاسراء

كَبِيرًا ﴿١٧﴾

١٧ الاسراء

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

١٧ الاسراء

وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١٩﴾

- \* توبة أخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي ( وإن عدتم ) إلى ما كنتم فيه من الفساد مرة أخرى
- \* ( عدنا ) إلى عقوبتكم ولقد عادوا فأعاد الله سبحانه عليهم النعمة بأن سلط عليهم الأَكْسَرَةَ ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الإتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمداً ﷺ ففهم يعطون
- \* الجزية عن يدهم صاغرون وعن قتادة مثله ( وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ) أى محبساً لا يستطيعون الخروج منها أبداً الأبدن وقيل بساطاً كما يبسط الحصير وإنما عدل عن أن يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلاً
- ٩ على كفرهم بالعود وذكأ لهم بذلك وإشعاراً بعلّة الحكم ( إن هذا القرآن ) الذى آتيناك ( بهدى ) أى الناس كافة لافرة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذى آتينا موسى ( للتي ) للطريقة التى ( هى أقوم ) أى أقوم الطرائق وأسدها أعنى ملة الإسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والحصول ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للإيذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التى هى من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدى إليها من يتمسك به لا تحصيل
- \* الاهتداء بالفعل فإنه مخصوص بالمؤمنين حينئذ ( ويبشر المؤمنين ) بما فى تضاعيفه من الأحكام والشرائع
- \* وقرئ بالتخفيف ( الذين يعملون الصالحات ) التى شرحت فيه ( أن لهم ) أى بأن لهم بمقابلة تلك الأعمال
- ١٠ ( أجر كبيراً ) بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعداً ( وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة ) وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها
- \* معظم ما أمروا بالإيمان به ولمراعاة التناسب بين أعمالهم وجزائها الذى أنبأ عنه قوله عز وجل ( أعتدنا لهم عذاباً أليماً ) وهو عذاب جهنم أى أعتدنا لهم فيها كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة عذاباً أليماً وهو أبلغ فى الزجر لما أن إتيان العذاب من حيث لا يحتسب أفظع وألجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضممار يخبر أو على قوله تعالى أن لهم داخله معه تحت التبشير المراد به مجازاً مطلق الإخبار المنتظم للإخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بياناً لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز
- ١١ كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم وقوله تعالى ( ويدع الإنسان بالشر ) بيان لحال المهدى إثر بيان حال الهادى وإظهار لما بينهما من التباين والمراد بالإنسان الجنس أسند إليه حال بعض أفرادهم أو حكى عنه حاله فى بعض أحيانه فالغنى على الأول أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذى لا خير فوقه من الأجر الكبير ويحذره من الشر الذى لا شر وراءه من العذاب الأليم وهو أى

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَنَّهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

١٧ الاسراء

- بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور إما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قال فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين إلى غير ذلك مما حكى عنهم وإما بأعمالهم السيئة المفضية إليه الموجهة له مجازاً كما هو ديدن كلهم (دعاه بالخير) أى مثل دعائه بالخير المذكور فرضاً لا تحقيقاً فإنه بمنزل من الدعاء به وفيه رمز إلى أنه اللائق بحاله (وكان الإنسان) أى من أسند إليه الدعاء المذكور من أفرادهم (عجولا) يسارع إلى طلب ما يخطر بباله متعامياً عن ضرره أو مبالغاً في العجلة يستعجل العذاب وهو آتية لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على أعمالهم تحمل العجولية على اللج والتمادى في استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني إن القرآن يدعو الإنسان إلى ما هو خير وهو في بعض أحيانه كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه وأهله وماله بما هو شر وكان الإنسان بحسب جبلته عجولاً ضجراً لا يتأني إلى أن يزول عنه ما يعتريه روى أنه عليه الصلاة والسلام دفع إلى سودة أسيراً فارخت كتافه رحمة لا تئنه بالليل من ألم القيد فهرب فلما أخبر به النبي ﷺ قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها فتوقع الإجابة فقال ﷺ إني سألت الله تعالى أن يجعل دعائي على من لا يستحق من أهلي عذاباً رحمة أو يدعوا بما هو شر وهو بحسبه خير أو كان الإنسان عجولاً غير متبصر لا يتدبر في أموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه (وجعلنا الليل والنهار آيتين) شروع في بيان بعض وجوه ١٢ مذكر من الهداية بالإرشاد إلى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتجبه فإن الجمل المذكور وما عطف عليه من نحو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وإن كانت من الهدايات التكوينية لكن الإخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي إذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو أن الليلة أضيفت إلى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة أى جعلنا المولين بهما تهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على أن لهما صانعاً حكيماً قادراً عليهما وتهديان إلى ما هدى إليه القرآن الكريم من ملة الإسلام والتوحيد (فمحونا آية الليل) الإضافة إما بيانية كما في إضافة العدد إلى المعدود أى محونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها محووة الضوء مطموسته لكن لا بعد أن لم يكن كذلك بل إبداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أى أنشأهما كذلك والفاء تفسيرية لأن المحو المذكور وما عطف عليه ليس بما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجمل ومتمماته (وجعلنا آية النهار) أى الآية التي هي النهار على نحو ما مر (مبصرة) \*

أى مضيئة يبصر فيها الأشياء وصفاً لها بحال أهلها أو مبصرة للناس من أبصره فبصره وإما حقيقة وآية  
 الليل والنهار نيراهما ومحو القمر إما خلقه مطموس النور في نفسه قالفاء كما ذكر وإما نقص ما استفاده  
 من الشمس شيئاً فشيئاً إلى المحاق على ما هو معنى المحو والفناء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة لإبداءها  
 \* مضيئة بالذات ذات أشعة تظهر بها الأشياء المظلمة (لتنبؤوا) متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما أشير  
 \* إليه أى وجعلناها مضيئة لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار (فضلاً من ربكم) أى رزقاً إذ لا يتسنى ذلك  
 في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ  
 إلى الكمال شيئاً فشيئاً دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وإنما الإعطاء إلى الله  
 \* سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلاً بحكم الربوبية (ولتعلموا) متعلق بكلا الفعلين أعنى محو آية  
 الليل وجعل آية النهار مبصرة لا بأحدهما فقط إذ لا يكون ذلك بانفراده مداراً للعلم المذكور أى لتعلموا  
 بتفاوت الجديدين أو نيريهما ذاتاً من حيث الإظلام والإضاءة مع تماقبيهما أو حركاتهما وأوضاعهما  
 \* وسائر أحوالهما (عدد السنين) التى يتعلق بها غرض على إقامة مصالحكم الدينية والدنيوية (والحساب)  
 أى الحساب المتعلق بما فى ضمنها من الأوقات أى الأشهر والليالى والأيام وغير ذلك مما ينبط به شيء من  
 المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها بما ينظمه الحساب وإنما الذى تعلق به العد طائفة منها  
 وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة أعنى حيثية تحققها وتحصلها من عدة أشهر  
 قد تحصل كل واحد منها من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلاً فإن ذلك وظيفة الحساب  
 بل من حيث إنها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها أى يفنيها من غير أن يعتبر فى ذلك تحصل شيء  
 معين وتحقيقه مامر فى سورة يونس من أن الحساب لإحصاء ماله كمية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث  
 يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما أشير إليه آنفاً والعد لإحصاؤه  
 بمجرد تكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شيء كذلك ولما أن السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص  
 وحكم مستقل أضيف إليها العدد وعلق الحساب بماعداها بما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها أسام خاصة  
 وأحكام مستقلة وتحصل مراتب الأعداد من العشرات والمئات والالوف اعتبارى لا يجدى فى تحصل  
 المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجوداً وعلماً على العكس للتنبيه من  
 أول الأمر على أن متعلق الحساب ما فى تضاعيف السنين من الأوقات أو لأن العلم المتعلق بعدد السنين  
 علم إجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلاً أو لأن العدد من حيث أنه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما  
 ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب أو لأن العلم المتعلق بالآول أفهى  
 \* المراتب فكان جديراً بالتقديم فى مقام الامتنان والله سبحانه أعلم (وكل شيء) تفتقرون إليه فى المعاش  
 والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب  
 \* بفعل يفسره قوله تعالى (فصلناه تفصيلاً) أى بيناه فى القرآن الكريم بياناً بليغاً لا التباس معه كقوله تعالى  
 ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء فظهر كونه هادياً للتي هي أقوم ظهوراً بيناً .

وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمْنِهِ لَطِيفٌ ۖ فِي عُنُقِهِ ۚ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ١٧ الإسراء

أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ١٧ الإسراء

مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ١٧ الإسراء

- (وكل إنسان) مكلف (الزمناء طائرته) أى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار إليه من عرش الغيب ووكر القدر أو مارتع له في القسمة الأزلية الواقعة حسب استحقاقه في العلم الأزلى من قولهم طار له سهم كذا (في عنقه) تصوير لشدة لزوم وبكال الارتباط أى الزمناء عمله بحيث لا يفارقه أبداً بل يلزمه لزوم الفلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرىء بسكون النون (ونخرج له) بنون العظمة وقد قرىء بالياء مبنياً للفاعل على أن الضمير لله عز وجل وللفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج (يوم القيامة) والبعث للحساب (كتاباً) مسطور آفيه ما ذكر من عمله نقيراً وقطميراً وهو مفعول لنخرج على القراءتين الأوليين أو حال من المفعول المحذوف الراجع إلى الطائر وعلى الآخرين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر (يلقاه) أى يلقي الإنسان أو يلقيه الإنسان (منشوراً) وهما صفتان للكتاب أو الأولى صفة والثاني حال منها وقرىء يلقيه من لقينه كذا أى يلقي الإنسان إياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكلك بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (أقرأ كتابك) أى قائلين لك ذلك . عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن كل عمل يصدر من الإنسان خيراً أو شراً يحدث منه في جوهر روحه أمر مخصوص إلا أنه يخفى مادام الروح متعلقاً بالبدن مشغلاً بواردات الحواس والقوى فإذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لأن النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود إلى العالم العلوى فيزول الغطاء وتنكشف الأحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) أى كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيباً تمييز وعلى صلته لأنه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد لأنه يكفى المدعى ما أهمه وتذكيره لأن ما ذكر من الحساب والكفاية بما يتولاه الرجال أو لأنه مبنى على تأويل النفس بالشخص على أنها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث [يا نفس إنك باللذات مسرور \* فاذكر فهل ينفغنك اليوم تذكير] (من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه) فذلك لما تقدم من بيان كون القرآن هادياً لا أقوم الطرائق ولزوم الأعمال لأصحابها أى من اهتدى بهدياته وعمل بما فى تضاعيفه من الأحكام وانتهى عما نهاه عنه فإنما تعود
- ٢١٥ - أبى السعود ٢٥٥

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا

١٧ الاسراء

تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

- منفعته اهتدائه إلى نفسه لا تنتخطاه إلى غيره ممن لم يهتد (ومن ضل) عن الطريقة التي يهديه إليها (فإنما يضل عليها) أي فإنما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه
- (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تأكيد للجملة الثانية أي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل إنما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه وأما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعه حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعه سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنه وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فإن جزاء الحسنه والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وإنما الذي يصل إلى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء أصل الحسنه والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون إنما هو جزاء الإضلال لا جزاء الضلال وإنما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعاً للأطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم إن لم يكونوا على الحق فالتبعية على أسلافهم الذين قلدوهم (وما كنا معذنين) بيان للعناية الربانية إثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال بأصحابها وعدم حرمان المهتدى من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها أي وما صبح وما استقام من أجل استحال في سنتنا المبينة على الحكم البالغة أو ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق أن نعذب أحداً من أهل الضلال والأوزار اكتفاء بقضية العقل (حتى نبعث) إليهم (رسولا) يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي إما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده أو الجنس الشامل للدينوى والأخروى وهو من أفرادها وأياً ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لالعدم وقوعه مطلقاً كيف لا والأخروى لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدينوى أيضاً لا يحصل إلا بعد تحقق ما يوجب من الفسق والعصيان ألا يرى إلى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء ألف سنة وقوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية) بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم محنته وليس المراد بالإرادة تحققها بالفعل إذ لا يتخلف عنها المراد ولا الإرادة الأزلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له إذ لا يقارنه الجزاء الآتى بل دنو وقتها كما في قوله تعالى أتى أمر الله أي وإذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا أنه لا يصح منا قبل البعثة أو بنوع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب أغنى عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصى دنوا تقتضيه الحكمة من غير أن يكون له حد معين (أمرنا) بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها (مترفياً) متنعماً وجبارياً وملوكاً خصبهم بالذكر مع توجه الأمر

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ١٧ الإسراء  
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا  
مَذْهُورًا ﴿١٨﴾ ١٧ الإسراء

إلى الكل لأنهم الأصول في الخطاب والباقي أتباع لهم ولأن توجه الأمر إليهم أكد وعدم التعرض للأمر  
به إما لظهور أن المراد به الحق والخير لأن الله لا يأمر بالفحشاء لاسيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي إليه  
وإما لأن المراد وجدنا الأمر كما يقال فلان يعطى ويمنع (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن الطاعة وتمردوا \*  
(لحق عليها القول) أى ثبت وتحقق موجهه بحلول العذاب إثر مظهر منهم من الفسق والطغيان (فدمرناها) \*  
بتدمير أهلها (تدميراً) لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الأمر مجاز عن الحمل على  
الفسق والنسب له بأن صب عليهم ما أبطروهم وأفضى بهم إلى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال أمرت  
الشيء فأمر أى كثرته فكثير وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة أى كثيرة التناج ويعضده  
قراءة أمرنا وأمرنا من الإفعال والتفعيل وقد جعلنا من الإمارة أى جعلناهم أمراء وكل ذلك لا يساعده مقام  
الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فإن مؤدى ذلك أن طغيانهم منوطاً بإرادة الله سبحانه وإنعامه  
عليهم بنعم وافرة أبطرتهم وحملتهم على الفسق حلاً حقيقياً بأن يعبر عنه بالأمر به (وكم أهلكنا) أى وكثيراً ١٧  
ما أهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمييزه والقرن مدة من الزمان يتختم فيها القوم وهى عشرون أو ثلاثون  
أو أربعون أو ثمانون أو مائة وقد أيد ذلك بأنه عليه الصلاة والسلام دعا لرجل فقال عش قرنأ فعاش مائة  
سنة أو مائة وعشرون (من بعد نوح) من بعد زمنه عليه الصلاة والسلام كما د وثمود ومن بعدهم عن قصص  
أحوالهم فى القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عليه الصلاة والسلام فى تلك القرون المهلكة  
لظهور أمرهم على أن ذكره عليه الصلاة والسلام رمز إلى ذكرهم (وكفى ربك) أى كفى ربك (بذنوب  
عباده خبيراً بصيراً) يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقدير الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات  
والنيات التى هى مبادئ الأعمال الظاهرة أو لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات أيضاً وفيه إشارة إلى  
أن البعث والأمر وما يتلوها من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فإن ذلك حاصل  
قبل ذلك وإنما هو لقطع الاعتذار وإلزام الحجة من كل وجه (من كان يريد) بأعماله التى يعملها سواء كان ١٨  
ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كإعمال البر أو بطريق ترتب العلولات على العلل كالأشياء أو بأعمال  
الآخرة فالمراد بالمريد على الأول الكفرة وأكثر الفسقة وعلى الثانى أهل الرياء والنفاق والمهاجر الدنيا  
والجماهد لمحض الغنيمة (العاجلة) فقط من غير أن يريد معها الآخرة كما ينشأ عنه الاستمرار المستفاد  
من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الإرادة فى قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وإرادتها إرادة  
مافيه من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز أن يراد الحياة العاجلة كقوله عز  
وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها لكن الأول أنسب بقوله (عجلنا له فيها) أى فى تلك العاجلة فإن \*

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ١٧ الاسراء  
كُلًّا تُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ١٧ الاسراء

الحياة واستمرارها من جملة ما عجل له فلا نسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نوته  
\* منها (مانشاء) أى مانشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد (لمن يريد) تعجيل مانشاء له وهو بدل من  
الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع إلى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على  
أن الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصاً بمن أراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد  
المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والإرادة لما أن الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضى  
وصول كل طالب إلى مراده ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتامه وأما ما يترامى من قوله تعالى من  
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله  
\* ووصول كل عامل إلى نتيجة أعماله فقد أشير إلى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى (ثم  
\* جعلنا له) مكان ما عجلنا له (جهنم) وما فيها من أصناف العذاب (يصلها) يدخلها وهو حال من الضمير  
\* المجرور أو من جهنم أو استئناف (مذموماً مدحوراً) مطروداً من رحمة الله تعالى وقبل الآية في المنافقين  
كانوا يراون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال إن  
١٩ السورة مكية سوى آيات معينة (ومن أراد) بأعماله (الآخرة) الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم  
\* (وسعى لها سعيها) أى السعى اللائق بها وهو الإتيان بما أمر والانتها عما نهى لا التقرب بما يخترعون  
\* بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص (وهو مؤمن) إيماناً صحيحاً لا يخالطه شيء قاذح فيه وإيراد  
\* الإيمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة (فأولئك) إشارة إلى الموصول  
بعنوان اتصافه بيا في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد الإشعار بعلو درجاتهم وبعد منزلتهم والجمعية  
لمراعاة جانب المعنى إيهاء إلى أن الإثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع أى أولئك الجماعة لما  
\* مر من الخصال الحميدة أعنى إرادة الآخرة والسعى الجليل لها والإيمان (كان سعيهم مشكوراً) مقبولا  
٢٠ عند الله تعالى أحسن القبول مثاباً عليه وفي تعليق المشكورية بالسعى دون قرينه إشعار بأنه العمدة فيها (كلاً)  
التنوين عوض عن المضاف إليه أى كل واحد من الفريقين لا الفريق الآخر المرید للخير الحقيق  
\* بالأسعاف فقط (نمد) أى زيد مرة بعد مرة بحيث يكون الأنف مدداً للسالف وما به الإمداد ما عجل  
لا أحدهما من العطايا العاجلة وما أعد للآخر من العطايا الآجلة المشار إليها بمشكورية السعى وإنه لم يصرح  
به تعويلاً على ما سبق تهرىجاً وتلويحاً واتكالا على ما لحق عبارة وإشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى  
\* (هؤلاء) بدل من كلاً (وهؤلاء) عطف عليه أى نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فإن  
الإشارة متعوضة لذات المشار إليه به من العنوان لا للذات فقط كالإضمار فقيه تذكير لما به الإمداد  
وتعيين المضاف إليه المحذوف دفعا لتوهم كونه أفراد الفريق الآخر وتأكيده للقصر المستفاد من تقديم



أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ١٧ الإسراء

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ١٧ الإسراء

- المفعول وقوله تعالى (من عطاء ربك) أى من معطاه الواسع الذى لا تنهى له متعلق بنمذوم ومن عن ذكر مابه الإمداد ومنبه على أن الإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعى والعمل بل بمحض التفضل (وما كان عطاء ربك) أى دنيوياً كان أو آخروياً وإنما أظهر لإظهار المزيد الاعتناء بشأنه وإشعاراً بعليته للحكم (محظوراً) ممنوعاً ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وإن وجد منه ما يقتضى الحظر كالكافر وهو فى معنى التعليل لشمول الإمداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية فى الموضوعين الإشعار بمبدئيتها لما ذكر من الإمداد وعدم الحظر (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) ٢١ كيف فى محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ماسر من الإمداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب أحد المعطاءين والاستدلال بها على مراتب الآخر أى انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما أمددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضع ورفيع وظالع وضيع ومالك وملك وموسر وصعولك تعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الأدنى على حال الأعلى كما أفصح عنه قوله تعالى (والآخرة أكبر) أى هى وما فيها أكبر من الدنيا وقرىء أكثر (درجات وأكبر تفضيلاً) لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التى لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز أن يراد بمابه الإمداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الأول فإن تخصيص إرادتهم لها ووصولهم إليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثانى إرادة ووصولاً مما توهم اختصاصها بالأولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا إرادته لها فقط من الفريق الأول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوى محظوراً من أحد ممن يريده ومن يريده غيره انظر كيف فضلنا فى ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة إلى الفريق الأول تحقيقاً لشمول الإمداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنع من عاص لعصيانه يقتضى كون القصر لدفع توهم اختصاص الإمداد الدنيوى بالفريق الثانى مع أنه لم يسبق فى الكلام ما يؤم ثبوته له فضلاً عن إيهام اختصاصه (لا تجعل مع الله إلهاً آخر) الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته وهو من باب التمهيد والإلهاب أو كل أحد ممن يصلح للخطاب (فتقعد) بالنصب جواباً للنهى والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شخذ الشفرة حتى قعدت كأنها خربة أو بمعنى العجز من قعد عنه أى عجز عنه (مذموماً مخذولاً) خبران أو حالان أى جامعاً على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والمخذلان من الله تعالى وفيه إشعار بأن الموحّد جامع بين المدح والنصرة .

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

١٧ الاسراء

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

١٧ الاسراء

٢٣ (وقضى ربك) أى أمر أمراً مبرماً وقرىء وأوصى ربك ووصى ربك (أن لا تعبدوا) أى بأن لا تعبدوا

• (إلا إياه) على أن أن مصدرية ولا نافية أو أى لا تعبدوا على أنها مفسرة ولا ناهية لأن العبادة غاية

• التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإناعام وهو كالتفصيل للسعى الآخرة (وبالوالدين) أى وأن

• تحسنوا بهما أو وأحسنوا بهما (إحساناً) لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش (إما يبلغن عندك

الكبر أحدهما أو كلاهما) إما مركبة من أن الشرطية وما المازيدة لتأكيد كيدها ولذلك دخل الفعل نون

التأكيد ومعنى عندك فى كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق إلى

وروده فإنه مدار تضاعف الرعاية والإحسان وأحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول

لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرىء يبلغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه

ولا سبيل إلى جعل كلاهما تأكيداً للضمير وتوحيد ضمير الخطاب فى عندك وفيما بعده مع أن ماسبق

على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فإن المقصود نهى كل أحد عن تأييف والديه ونهرهما ولو قبل

• الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا المرام (فلا تقل لهما) أى لواحد منهما حالى الانفراد والاجتماع

• (آف) وهو صوت ينبىء عن تضجر أو اسم فعل هو تضجر وقرىء بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا

وغير منون أى لا تضجر بها تستقدر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهى يفهم النهى عن سائر ما يؤذيها

• بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه إظهار الاعتناء بشأنه فليل (ولا تنهرهما) أى لا تزجرهما عما لا يعجبك

• بإغلاظ قيل النهى والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأييف والنهر (قولا كريماً) ذا كرم أو هو

وصف له بوصف صاحبه أى قولاً صادراً عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذى يقتضيه حسن

الأدب ويستدعيه النزول على المروءة مثل أن يقول يا أباه ويا أمه كدأب إبراهيم عليه السلام إذ قال

لأبيه يا أبت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وديدن الدعار

وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وقيل أن لا ترفع

صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزراً ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا

وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي ﷺ إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل

٢٤ ودأبيه (واخفض لهما جناح الذل) عبارة عن إلانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فإن إعزازهما لا يكون

إلا بذلك فكانه قيل واخفض لهما جناحك الذليل أو جعل لذه جناح كما جعل لبيد فى قوله [وغداة ريح

قد كشفت وقرة] إذ أصبحت بيد الشمال زمامها | للقرة زماما وللشمال يداً تشبيهاً له بطائر يخفض جناحه

لأفراخه تربية لها وشفقة عليها وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ١٧ الاسراء  
وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ١٧ الاسراء

- المقام (من الرحمة) من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لا فتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق  
\* الله تعالى إليهما ولا تكتف رحمتك الفائية بل ادع الله لهما برحمته الواسعة الباقية (وقل رب ارحمهما)  
\* برحمتك الدنيوية والأخروية التي من جهاتها الهداية إلى الإسلام فلا ينافي ذلك كفرهما (كارياني) الكاف  
\* في محل النصب على نعت المصدر محذوف أي رحمة مثل تربيتهما إلى أو مثل رحمتها إلى على أن الترية رحمة  
ويجوز أن يكون لهما الرحمة والترية معاً وقد ذكر أحدهما في أحد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به  
التمريض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحمتي وربياني (صغيراً)  
\* ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي لأجل تربيتهما إلى كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز  
وجل في التوصية بهما حيث افتتحهما بأن شفيع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما  
معاً ثم ضيق الأمر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضرع مع ماله من موجبات  
الضرع مالا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بأن جعل رحمة التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن  
النبي ﷺ رضي الله في رضي الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل  
النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله ﷺ إن أبوي بلغا من الكبر  
أنى إلى منهما ما وليا منى في الصغر فلم قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل  
ذلك وأنت تريد موتها وروى أن شيخاً أتى النبي ﷺ فقال إن ابني هذا له مال كثير وإنه لا ينفق على من ماله  
فتزل جبريل عليه السلام وقال إن هذا الشيخ قد أنشأ في ابنه أياً ما قرع سمع بمثلها فاستنشدناها فأنشدنا الشيخ  
فقال [ غذوتك مولوداً ومنتك يافعا \* تعلم بما أجنى عليك وتنهل ] [ إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت \*  
لسقمك إلا باكياً أتمليل ] [ كأني أنا المطروق دونك بالذي \* طرقت به دوني وعيني تهمل ] [ فلما بلغت  
السن والغاية التي \* إليها مدى ما كنت فيك أو مل ] [ جعلت جزائي غلظة وفضاظة \* كأنك أنت المنعم  
المتفضل ] [ فليتك إذ لم ترع حق أبوتي \* فعلت كما الجار المجاور يفعل ] فغضب رسول الله ﷺ وقال  
أنت ومالك لا نيك (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من البر والعقوق (إن تكونوا صالحين) قاصدين للصالح  
٢٥ والبر دون العقوق والفساد (فإنه) تعالى (كان للأوابين) أي الرجاعين إليه تعالى عما فرط منهم مالا يكاد  
\* يخلو عنه البشر (غفوراً) لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية فعلية أو قولية وفيه مالا يخفى من التشديد  
\* في الأمر بمراعاة حقوقهما ويجوز أن يكون عاماً لكل نائب ويدخل فيه الجاني على أبويه دخولا أولاً  
(وأت ذاك القرى) أي ذاك القرابة (حقه) توصية بالأقارب إثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم  
٢٦ المحارم وبحقهم النفقة كما ينبي عنه قوله تعالى (والمسكين وابن السبيل) فإن المأمور به في حقهما المواصلة  
المالية لا محالة أي وآتاهما حقهما كما كان مفترضاً بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النبي عن التبذير وعن الإفراط في القبض

إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَافُورًا ﴿٢٧﴾  
 وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾  
 وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾

- والبسط فإن السكل من التصرفات المالية ( ولا تبذر تبذيراً ) نهى عن صرف المال إلى من سواهم من لا يستحقه فإن التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات وإلقائها كيفما كان من غير تعهد لموافقه لا عن الإكثار في صرفه إليهم وإلا لناسبه الإسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهى عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم ( إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ) تعليل للنهي عن التبذير ببيان أنه يجعل صاحبه ملزوماً في قرن الشياطين والمراد بالإخوة المماثلة التامة في كل مالا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير أي كانوا بما فعلوا من التبذير أمثال الشياطين أو الصداقة والملازمة أي كانوا أصدقاءهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فإنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة وسائر مالا خير فيه من المأهي والملاهي أو المقارنة أي قرنائهم في النار على سبيل الوعيد ( وكان الشيطان لربه كفوراً ) من تنمة التعليل أي مبالغاً في كفران نعمته تعالى لأن شأنه أن يصرف جميع ما أعطاه الله تعالى من القوى والقدر إلى غير ما خلقت هي له من أنواع المعاصي والإفساد في الأرض وإضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفاتضة عليهم وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر أوصاف القبيحة للإيذان بأن التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للإشعار بكال عتوه فإن كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من قوى الدواعي إلى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطفليان
- ٢٧ ( وإما تعرضن عنهم ) أي إن اعتراك أمر اضطررك إلى أن تعرض عن أولئك المستحقين ( ابتغاء رحمة من ربك ) أي لفقد رزق من ربك إقامة للسبب مقام السبب فإن فقد سبب للابتغاء ( ترجوها ) من الله تعالى لتعطيهم وكان ﷺ إذا سئل شيئاً وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء فأمر بتعديهم بالقول الجميل لئلا تعثرهم الوحشة بسكوته ﷺ فقل ( فقل لهم قولاً ميسوراً ) سهلاً ليناً وعدم وعداً جميلاً من يسر الأمر نحو سعد أو قل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم يسر عليهم فقرم
- ٢٨ ( ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ) تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر زجراً لها عنها وحملها على ما بينهما من الافتصاد [ كلا طرفي قصد الأمرين ] وحيث كان قبح الشح مقارناً له معلوماً من أول الأمر روعى ذلك في التصوير بأقبح الصور ولما كان غائلة الإسراف في آخره بين قبحه في أثره فقل ( فتقعد ملوماً ) أي فتصير ملوماً عند الله وعند الناس وعند نفسك إذا احتجت وتدمت على ما فعلت ( محسوراً ) نادماً أو منقطعاً بك لاشيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه وما قيل من أنه

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ١٧ الاسراء

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِنَنَّ نَزَقَهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْهُمْ كَانَ خَطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ١٧ الاسراء

وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ١٧ الاسراء

- روى عن جابر رضى الله عنه أنه قال بينما رسول الله ﷺ قاعد إذ أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال ﷺ من ساعة إلى ساعة فعد إليها فذهب إلى أمه فقالت له قل إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل ﷺ داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت فيأباه أن السورة مكية خلا آيات في آخرها كذا ما قيل إنه ﷺ أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فأنشأ يقول [أجعل نهبي ونهب العبي \* ديين عيينة والأقرع] [وما كان حصن ولا حابس \* يفوقان مرداس في جمع] [وما كنت دون امرئ منها \* ومن تضع اليوم لا يرفع] فقال ﷺ يا أبا بكر أقطع لسانه عنى أعطه مائة من الإبل وكانوا جميعاً من المؤلفة القلوب فنزلت (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) تعليل لما مرأى يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما ٣٠ تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الإضافة التي تحوجك إلى الإعراض عن السائلين أو نفاذ ما في يدك إذا بسطتها كل البسط إلا لمصلحتك (لأنه كان بعباده خبيراً بصيراً) تعليل لما سبق أى يعلم سرهم وعلتهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أسرار الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والأرض وأما العباد فعليهم أن يقتصدوا وأن يراد أنه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسننه فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يراد أنه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وأن يكون تمهيداً لقوله (ولا تقتلوا أولادكم ٣١ خشية إملاق) أى مخافة فقر وقرىء بكسر الحاء كانوا يتدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك (نحن نرزقهم وإياكم) لأنهم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بإبطال موجهه في زعمهم وتقديم ضمير الأولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الأنعام للإشعار بإصالتهم في إفاضة الرزق أولاً لأن الباعث على القتل هناك الإملاق الناجز ولذلك قيل من إملاق وهمنا الإملاق المتوقع ولذلك قيل خشية إملاق فكانه قيل نرزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما نخشونه وإياكم أيضاً رزقاً إلى رزقكم (إن قتلهم كان خطأ كبيراً) تعليل آخر ببيان أن النهي عنه في نفسه ٣٢ منكر عظيم والخطأ الذنب والإثم يقال خطيء خطأ كأنهم إثمياً وقرىء بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحنزروا الحنز وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الحاء والمد وبفتحها بمدوداً وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرهما كذلك (ولا تقربوا الزنا) بمباشرة مباديه القرية أو البعيدة فضلاً عن مباشرة وإثماً نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للبالغة في النهي عن نفسه ولأن قربانه داع إلى مباشرة وتوسيط النهي

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

١٧ الاسراء

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾

١٧ الاسراء

عنه بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الإطلاق باعتبار أنه قتل للأولاد  
 \* لما أنه تضيق للأنساب فإن من لم يثبت نسبه ميت حكماً (لأنه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن  
 \* الحد (وساء سبيلاً) أي بش طريفاً طريقه فإنه غصب الألباض المؤدى إلى اختلال أمر الأنساب وهيجان  
 الفتن كيف لا وقد قال النبي ﷺ إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة فإذا انقطع رجع  
 إليه وقال ﷺ لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال ﷺ إياكم والزنا  
 فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر  
 العمر وأما التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم  
 الله) قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد (إلا بالحق) إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان وزنا بعد إحسان  
 وقتل نفس معصومة عمدًا فالاستثناء مفرغ أي لا تقتلوا بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق أو ملتبسين  
 أو ملتبسة بشيء من الأشياء ويجوز أن يكون نعمًا لمصدر محذوف أي لا تقتلوا قتلًا ما إلا قتلًا ملتبسًا  
 بالحق (ومن قتل مظلومًا) بغير حق يوجب قتله أو يبيحه للقاتل حتى إنه لا يعتبر بإباحته لغير القاتل فإن  
 من عليه القصاص إذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيد قول الولي أنا أمرته بذلك ما لم يكن  
 \* الأمر ظاهرًا (فقد جعلنا لوليّه) لمن يلي أمره من الوارث أو السلطان عند عدم الوارث (سلطاناً)  
 \* تساطاً واستيلاء على القاتل يؤاخذ به بالقصاص أو بالدية حسبما تقتضيه جانيته أو حجة غالبية (فلا يسرف)  
 وقرى لا نسرف (في القتل) أي لا يسرف الولي في أمر القتل بأن يتجاوز الحد المشروع بأن يزيد عليه  
 المثلة أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله أهل الجاهلية أو بأن  
 \* يقتل القاتل في مادة الدية وقرى بصيغة النفي مبالغة في إفادة معنى النهي (لأنه كان منصوراً) تعليل للنهي  
 والضمير للولي على معنى أنه تعالى نصره بأن أوجب له القصاص أو الدية وأمر الحكام بمعاونته في استيفاء  
 حقه فلا يبيع ما وراء حقه ولا يستزد عليه ولا يخرج من دائرة أمر الناصر أو للمقتول ظلاً على معنى أنه  
 تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شأنه أو للذي يقتله الولي ظلاً وإسرافاً ووجه التعليل ظاهر وعن  
 جماعة أن الضمير في لا يسرف للقاتل الأول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران في التعليل عائدان  
 إلى الولي أو المقتول فالمراد بالإسراف حينئذ إسراف القاتل على نفسه بتعريضه لها للمهلك العاجل  
 والأجل لا الإسراف وتجاوز الحد في القتل أي لا يسرف على نفسه في شأن القتل كما في قوله تعالى قل  
 يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم (ولا تقربوا مال اليتيم) نهى عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ١٧ الاسراء  
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ١٧ الاسراء

- عن التعرض له ومن إفضاء ذلك إليه وللتوسل إلى الاستثناء بقوله تعالى (إلا بالتى هي أحسن) أى إلا
- بالخصلة والطريقة التى هي أحسن الخصال والطرائق وهى حفظه واستثاره (حتى يبلغ أشده) غاية لجواز
- التصرف على الوجه الأحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط (وأوفوا بالعهد) سواء
- جرى بينكم وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والإيفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة
- عليه ولا يكاد يستعمل إلا بالباء فرقا بينه وبين الإيفاء الحسى كإيفاء الكيل والوزن (إن العهد) أظهر
- فى مقام الإضمار إظهار الكمال العناية بشأنه أو لأن المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود (كان مسئولا)
- أى مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنأ فى اسم المفعول كقوله تعالى
- وذلك يوم مشهود أى مشهود فيه ونظيره ما فى قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على أن أصله
- الحكيم قائله لحذف المضاف وجعل الضمير مستكنأ فى الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز أن يكون
- تخيلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتا لنا كذا كما يقال للموءودة بأى ذنب قتلت (وأوفوا ٣٥
- الكيل) أى أتموه ولا تخسروه (إذا كلتم) أى وقت كيلكم للبشرين وتقيد الأمر بذلك لما أن التطفيف
- هناك يكون وأما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة إلى الأمر بالتعذيل قال تعالى إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
- يَسْتَوْفُونَ الآية (وزنوا بالقسطاس) وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغير كان أو كبيرا روى معرب
- ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لا تنظام المعربات فى سلك الكلم العربية وقرىء بضم القاف (المستقيم)
- أى العدل السوى ولعل الاكتفاء باستقامته عن الأمر بإيفاء الوزن لما أن عند استقامته لا يتصور الجور
- غالبا بخلاف الكيل فإنه كثير ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما أن الاكتفاء بإيفاء الكيل عن الأمر
- بتعديله لما أن إيفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد أمر بتقويمه أيضاً فى قوله تعالى وأوفوا الكيل
- والميزان بالقسط (ذلك) أى إيفاء الكيل والوزن بالميزان السوى (خير) فى الدنيا إذ هو أمانة توجب
- الرغبة فى معاملته والذكر الجليل بين الناس (وأحسن تأويلا) عاقبة تفصيل من آل إذا رجع والمراد ما يتوول
- إليه (ولا تقف) ولا تتبع من قفا أثره إذا تبعه وقرىء ولا تقف من قاف أثره أى قفاه ومنه القافة فى ٣٦
- جمع القائف (ماليس لك به علم) أى لا تكن فى اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا
- لا يدري أنه يوصله إلى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح
- المستفاد من سند قطعياً كان أو ظنياً واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل إنه مخصوص بالعقائد
- وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله ﷺ من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله تعالى فى ردغة الخبال
- حتى يأتى بالخروج ومنه قول الكميت [ولا أرمى البرىء بغير ذنب] ولا أفقوا الحواصن إن رمينا [
- (إن السمع والبصر والفؤاد) وقرىء بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء (كل أولئك)

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ١٧ الاسراء

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ١٧ الاسراء

أى كل واحد من تلك الأعضاء فأجريت مجرى العقلاء لما كان مسئولة عن أحوالها شهادة على أصحابها هذا وإن أولاء وإن غلب في العقلاء لكنة من حيث إنه اسم جمع لذا الذى يعم القبيلين جاء لغيرهم أيضاً قال [ ذم المنازل بعد منزلة اللوى \* والعيش بعد أولئك الأيام ] (كان عنه مسئولا) أى كان كل من تلك الأعضاء مسئولا عن نفسه على أن اسم كان ضمير يرجع إلى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز أن يكون الاسم ضمير القافى بطريق الالتفات إذ الظاهر أن يقال كنت عنه مسئولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد أسند إليه مسئولا معللا بأن الجار والمجرور لا ياتبس بالابتداء وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الإجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل إذا كان جاراً ومجروراً ويجوز أن يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكناً كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز أن يكون مسئولا مسنداً إلى المصدر المدلول عليه بالفعل وأن يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل ابن جنى أبا على عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فأين المرفوع فقال المصدر أى فيك يرغب الرغبة بمعنى تفعل الرغبة كما في قولهم يعطى ويمنع أى يفعل الإعطاء والمنع وجوز أن يكون اسم كان أو فاعله ضمير كل يحذف المضاف ٣٧ أى كان صاحبه عنه مسئولا أو مسئولا صاحبه (ولا تمش في الأرض) التقييد لزيادة التقرير والإشعار بأن المشى عليها مما لا يليق بالمرح (مرحاً) تكبراً وبطراً واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال أى ذا مرح أو ترح مرحاً أو لا جل المرح وقرئ بالكسر (إنك لن تخرق الأرض) تعليل للنهى وفيه تهكم بالمخال وإيدان بأن ذلك مفاخرة مع الأرض وتكبر عليها أى لن تخرق الأرض بدوسك وشدة وطأنك وقرئ بضم الراء (ولن تبلغ الجبال) التى هى بعض أجواء الأرض (طولا) حتى يمكن لك أن تنكسر عليها إذ التكبر إنما يكون بكثرة القوة وعظم الجنة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المخال من رفع رأسه ٣٨ ومشبه على صدور قدميه (كل ذلك) إشارة إلى ما علم في تضاعيف ذكر الأمر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين (كان سيئه) الذى نهى عنه وهى اثنتا عشرة خصلة (عند ربك مكروها) مبغضاً غير مرضى أو غير مراد بالإرادة الأولية لا غير مراد مطلقاً لقيام الأدلة القاطعة على أن جميع الأشياء واقعة بإرادته سبحانه وهو تتمه لتعليل الأمر المنهى عنها جميعاً ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع أن البعض من الكبائر للإيدان بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الإشارة إلى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها إليه ابتداء لما أن البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه إشعار بكون ما عداه مرضياً عنده تعالى وإنما لم يصرح بذلك إيداناً بالغنى عنه وقيل الإضافة بيانية كإية الليل وإية النهار وقرئ سيئه على أنه خبر كان وذلك إشارة إلى مانهى عنه من الأمور المذكورة



ذَلِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

١٧ الاسراء

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ١٧ الاسراء

ومكروها بدل من سبئة أو صفة لها محمولة على المعنى فإنه بمعنى سيئاً وقد قرئ به أو مجرى على موصوف  
مذكر أرى أمراً مكروهاً أو مجرى مجرى الأسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالاً من المستكن  
في كان أو في الطرف على أنه صفة سبئة وقرئ سبئاته وقرئ شأنه (ذلك) أى الذى تقدم من التكليف ٣٩  
المفصلة (عما أوحى إليك ربك) أى بعض منه أو من جنسه (من الحكمة) التى هى علم الشرائع أو معرفة  
الحق لذاته والعمل به أو من الأحكام المحكمة التى لا يتطرق إليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضى الله  
عنهما أن هذه الآيات الثمان عشرة كانت فى ألواح موسى عليه السلام أو لها لا تجعل مع الله إلهاً آخر قال  
تعالى وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وهى عشر آيات فى التوراة ومن إمام متعلقة بأوحى على أنها  
تبعضية أو ابتدائية وإما بمحذوف وقع حالاً من الموصول أو من ضميره المحذوف فى الصلة أى كانت من  
الحكمة وإما بدل من الموصول بإعادة الجار (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر) الخطاب للرسول ﷺ والمراد  
غيره ممن يتصور منه صدور المنهى عنه وقد كرر للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه وأنه رأس كل  
حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وإن بذفها أساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء  
وقدر تب عليه ما هو عائدة الإشراك أو لاحت قيل فتعقد مذموماً محذولاً ورتب عليه ههنا نتيجته فى  
العقبى فقيل (فتلقى فى جهنم ملوماً) من جهة نفسك ومن جهة غيرك (مدحوراً) مبعداً من رحمة الله تعالى  
وفى إيراد الإلقاء مبنياً للفعول جرى على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشية  
ياخذها أخذ بكفه فيطرحها فى التنوير (أفأصفاكم ربكم بالبنيين واتخذ من الملائكة إناثاً) خطاب للقاتلين ٤٠  
بأن الملائكة بنات الله سبحانه والإصفاء بالشيء جعله خالصاً والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر  
يفسره المذكور أى أفضلكم على جنابه بخصمكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته أخسها  
وأدناها كما فى قوله سبحانه ألكم الذكر وله الأنثى وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا  
بالعرض لعنوان الربوبية تشديد التكثير وتأكيد وأشير بذكر الملائكة عليهم السلام وإيراد الإناث  
مكان البنات إلى كفرة لهم أخرى وهى وصفهم لهم عليهم السلام بالأنوثة التى هى أخس صفات الحيوان  
كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً (إنكم لتقولون) بمقتضى مذهبكم الباطل الذى  
هو إضافة الولد إليه سبحانه (قولا عظيماً) لا يقادر قدره فى استتباع الإثم وخرقه لقضايا العقول بحيث  
لا يجترئ عليه أحد حيث يعملونه تعالى من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كذلك  
وهو الواحد القهار الباقى بذاته ثم تضيفون إليه ما تكرهون من أخس الأولاد وتفضلون عليه أنفسكم  
البنيين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالأنوثة التى هى أخس أوصاف الحيوان فيا لها

١٧ الاسراء

وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

١٧ الاسراء

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

١٧ الاسراء

سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾

- ٤١ من ضلة ما أقبحها وكفرة ما أشنعها وأفظعها (ولقد صرفنا) هذا المعنى وكررناه (في هذا القرآن) على وجوه من التصريف في مواضع منه وإنما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرىء بالتخفيف (ليذكروا) ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات إلى الغيبة للإيدان باقتضاء الحال أن يعرض عنهم ويحكي للسامعين هنانهم وقرىء بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز أن يراد بهذا القرآن مناطق يبطلان مقالاتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على أساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له أى أوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيها نصلى وقد جوز أن يراد به إبطال إضاعتهم إليه تعالى البنات وأنت تعلم أن إبطالها من آثار القرآن وتناجها (وما يزيدهم) أى والحال أنه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ (إلا نفورا) عن الحق وإعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدى إلى معرفة بطلان ما هم عليه من القبايح (قل) في إظهار بطلان ذلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى (آلهة كما يقولون) أى المشركون قاطبة وقرىء بالناء خطابا لهم من قبل النبي ﷺ والكاف في محل النصب على أنها نعت لمصدر محذوف أى كوننا مشاهبا لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة (إذا لا بتغوا) جواب عن مقالاتهم الشنعاء وجزاء للو أى لطلبوا (إلى ذى العرش) أى إلى من له الملك والربوبية على الإطلاق (سبيلا) بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا وقيل بالتقرب إليه تعالى كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة والأول هو الأظهر
- ٤٢ الأنسب (سبحانه) فإنه صريح في أن المراد بيان أنه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحسبون وأما ابتغاء السبيل إليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقرير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو أمر يعتقدهونه رأسا أى تنزه بذاته تنزهها حقيقا نه (وتعالى) متباعدا (عما يقولون) من العظيمة التى هى أن يكون معه آلهة وأن يكون له بنات (علوا) تعاليا كقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا (كبيراً) لا غاية وراه كيف لا وإنه سبحانه فى أقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتى وما يقولونه من أن له تعالى شركاء وأولاداً فى أبعد مراتب العدم أغنى الامتناع لآلانه تعالى فى أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فإن ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذ تعالى له وأن يكون معه آلهة ولا ريب فى أن ذلك ليس بداخل فى حد الإمكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من أدنى مراتب الوجود إنما هو بالنسبة إلى من شأنه ذلك .

تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

١٧ الإسراء

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ١٧ الإسراء  
وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

١٧ الإسراء

- (تسبح) بالفوقانية وقرىء بالثحتانية وقرىء سبحت (له السموات السبع والأرض ومن فيهن) من ٤٤  
الملائكة والثقلين على أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم  
المجاز (وإن من شيء) من الأشياء حيواناً كان أو نباتاً أو جماداً (إلا يسبح) ملتبساً (بحمده) أى ينزهه \*  
تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الأقدس من لوازم الإمكان ولو احق الحدوث إذ ما من موجود إلا  
وهو بإمكانه وحدونه يدل دلالة واضحة على أن له صانعاً عليماً قادراً حكيماً واجباً لذاته قطعاً للسلسلة  
(ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أيها المشركون لإخلاقكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم ذلك وقرىء \*  
لا يفقهون على صيغة المبني للفعول من باب التفعيل (إنه كان حلماً) ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع \*  
ما أنتم عليه من موجباتها من الإعراض عن التدبر فى الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك فى  
الكفر والإشراك (غفوراً) لمن تاب منكم (وإذا قرأت القرآن) الناطق بالتسبيح والتزينة ودعوتهم ٤٥  
إلى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع (جعلنا) بقدرتنا ومشيتنا المبنية \*  
على دواعى الحكم الخفية (بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) أوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما \*  
فى حيز الصلة وإنما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على  
أنها معظم ما أمروا بالإيمان به فى القرآن وتمهيداً لما سينقل عنهم من إنكار البعث واستعجاله ونحو ذلك  
(حجاباً) يحجبهم من أن يدركوك على ما أنت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجتمعوا على \*  
تفوه العظيمة التى هى قولهم إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً وحمل الحجاب على ما روى عن أسماء بنت أبى  
بكر رضى الله عنه من أنه لما نزلت سورة تبت أقبلت العوراء أم جميل امرأة أبى لهب وفى يدها فهر  
والنبي ﷺ قاعد فى المسجد ومعه أبو بكر رضى الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد أقبلت هذه وأخاف  
أن تراك قال ﷺ إنما إن ترانى وقرأ قرآنا فوقفت على أبى بكر رضى الله عنه ولم تر رسول الله ﷺ عما  
لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم (مستوراً) ذاستر كافى قولهم سيل مفعم أو مستوراً عن \*  
الحس بمعنى غير حسى أو مستوراً فى نفسه بحجاب آخر أو مستوراً كونه حجاباً بحيث لا يدرون أنهم  
لا يدرون (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أعطية كثيرة جمع كنان (أن يفقهوه) مفعول لأجله أى كراهة أن ٤٦  
يفقهوه أو مفعول لما دل عليه الكلام أى منعناهم أن يفقهوا على كنهه ويعرفوا أنه من عند الله تعالى وفى \*

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾

١٧ الاسراء

١٧ الاسراء

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

أَذَانَهُمْ وَقَرَأَ) صمًا وثقلًا مانعًا من سماعه اللامق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشئون النبي ﷺ وفرط نبل قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومحج أسماعهم له جرى بها بياننا لعدم فقههم لتسبيح أسان المقال إثر بيان عدم فقههم لتسبيح أسان الحال وإيداننا بأن هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه إلا لما منع قوى يعترى المشاعر فيبطلها وتذبيها على أن حالهم هذا أفصح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك إنما هو الإخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي ﷺ جهلاً وكفرًا من اتصافها بأوصاف مائنة من التصديق والإيمان ككون القرآن سحرًا وشعرًا وأساطير وقس عليه حال النبي ﷺ لا الإخبار بأن هناك أمرًا وراء ما أدركوه قد حال بينهم وبين إدراكه حائل من قبلهم ولا ريب في أن ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) واحدًا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال أصله يحدو حده ٤٧ (ولوا على أديبارهم) أى هربوا ونفروا (نفورًا) أو ولوا نافرين (نحن أعلم بما يستمعون به) ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى أنه كان يقوم عن يمينه ﷺ رجلان من بنى عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار (إذ يستمعون إليك) ظرف لأعلم وفادته تأكيد الوعيد بالإخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا أن العلم يستفاد هناك من أحد \* وكذا قوله تعالى (وإذ هم نجوى) لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجى المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن أعلم بالذى يستمعون ملتبسين به بما لا خيره من الأمور المذكورة وبالذى يتناجون به فيما بينهم أو الأول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن أعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجى وقت تناجهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف أى ذوو نجوى أو هو \* جمع نجى كقتلى جمع قتيل أى متناجون (إذ يقول الظالمون) بدل من إذ هم وفيه دليل على أن ما يتناجون به غير ما يستمعون به وإنما وضع الظالمون موضع المضمر إشعارًا بأنهم في ذلك ظالمون مجاوزون للحد \* أى يقول كل منهم الآخرين عند تناجهم (إن تتبعون) ما تتبعون وإن وجد منكم الاتباع فرضاً أو ما تتبعون ٤٨ باللغو والهزء (إلا رجلاً مسحوراً) أى سحر لجن أو رجلاً ذا سحر أى رثة يتنفس أى بشرًا مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) أى مثلك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) فى جميع ذلك عن مناج الحاجة (فلا يستطيعون سبيلاً) إلى طمأنينة يمكن أن يقبله أحد فيتهاقن ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب فى بطلانه أحد أو إلى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول ﷺ ما لا يخفى .

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

١٧ الاسراء

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾

١٧ الاسراء

أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ

إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

١٧ الاسراء

- (وقالوا انذا كنا عظاماً ورفاتاً) استفهام إنكارى مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال إلى هذا المآل لما بين غضاضة الحى ويوسه الرميم من التناقى كأن استحالة الأمر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفنيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام وإذا تمتحضة للظرفية وهو الأظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى (إننا لمبعوثون) لان نفسه لأن ما بعد إن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث أو نعاد وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أننأنا كيد التكثير وتحلية الجملة بأن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضاها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاماً ورفاتاً كما يترامى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه (خلقاً جديداً) نصب على المصدر من غير لفظه أو الحالية على أن الخلق بمعنى المخلوق (قل) جواباً لهم وتقريباً لما استبعدوه
- ٥٠ (كونوا حجارة أو حديداً) (أو خلقاً) آخر (ما يكبر في صدوركم) أى يعظم عندكم عن قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فإنكم مبعوثون ومعادون لا محالة (فسيقولون من يعيدنا) مع ما بيننا وبين الإعادة من مثل هذه المباينة والمباينة (قل) لهم تحقيقاً للحق وإزاحة للاستبعاد وإرشاداً لهم إلى طريقة الاستدلال (الذى) أى يعيدكم القادر العظيم الذى (فطركم) اخترعكم (أول مرة) من غير مثال يحتذيه ولا أسلوب ينتجيه وكنتم تراباً ما شتم رائحة الحياة أليس الذى يقدر على ذلك بقادر على أن يعيد العظام البالية إلى حالتها المعهودة بلى إنه على كل شئ قدير (فسينغضون إليك رؤوسهم) أى سيجر كونها نحوك تعجباً وإنكاراً (ويقولون) استهزاء (متى هو) أى ما ذكرته من الإعادة (قل) لهم (عسى أن يكون) ذلك (قريباً) نصب على أنه خبر ليكون أو ظرف على أن كان تامة أى أن يقع في زمان قريب ومحل أن مع ما في حيزها إمانصب على أنه خبر لعسى وهى ناقصة واسمها ضمير عائذ إلى ما عاد إليه هو أى عسى البعث أن يكون قريباً أو عسى البعث يقع في زمان قريب أو رفع على أنه فاعل

١٧ الاسراء

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا

١٧ الاسراء

مُبِينًا ﴿٥٣﴾

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنَّ يَسَاءً يَعْذِبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ١٧ الاسراء

وَزُبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ

١٧ الاسراء

زَبُورًا ﴿٥٥﴾

- ٥٢ لعسى وهي تامة أى عسى كونه قريباً أو وقوعه في زمان قريب (يوم يدعوكم) منصوب بفعل مضمر أى اذكروا أو على أنه بدل من قريباً على أنه ظرف أو بكون تامة بالاتفاق أو ناقصة عند من يجوز أعمال الناقصة في الظروف أو بضمير المصدر المستكن في عسى أو يكون أعنى البعث عند من يجوز إعمال ضمير المصدر كما في قول زهير [ وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم \* وما هو عنها بالحديث المرحوم ] فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار ( فتستجيبون ) أى يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لها الدعاء والإجابة إيداناً بكال سهولة التاني وبأن المقصود منهما الإحضار للحاسبة والجواب ( بحمده ) حال من ضمير تستجيبون أى منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين أو حامدين له تعالى على كمال قدرته
- عند مشاهدة آثارها ومعابنة أحكامها ( وتظنون ) عطف على تستجيبون أى تظنون عند ماترون ماترون من الأمور الهائلة ( إن لبثتم ) أى ما لبثتم في القبور ( إلا قليلاً ) كالذى مر على قرية أو ما لبثتم في الدنيا
- ٥٣ ( وقل لعبادى ) أى المؤمنين ( يقولوا ) عند محاورتهم مع المشركين ( التى ) أى الكلمة التى ( هى أحسن ) ولا يخاشنهم كقوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن ( إن الشيطان ينزغ بينهم ) أى يفسد ويبهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشاركة والمعاراة والمضارة فلعل ذلك يؤدي إلى تأكيد العناد وتمادى الفساد فهو تعليل للأمر السابق وقرئ بكسر الزاء ( إن الشيطان
- ٥٤ كان ) قدماً ( الإنسان عدواً مبيناً ) ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من أن الشيطان ينزغ بينهم ( ربكم أعلم بكم إن يساء يرحمكم ) بالتوفيق للإيمان ( أو إن يساء يعذبكم ) بالإمالة على الكفر وهذا تفسير الذى هو أحسن وما بينهما اعتراض أى قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإنه مما يهيجهم على الشر مع أن العقوبة بما لا يعلمه إلا الله سبحانه فعسى يهديهم إلى الإيمان ( وما أرسلناك عليهم وكيلاً ) موكولاً إليك أمورهم تقسرم على الإيمان وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداواة والاحتمال وترك المحاقاة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضى الله عنه شتمه رجل فأمر بالعمو وقيل أفرط أذية المشركين بالمؤمنين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت وقيل
- الكلمة التى هى أحسن أن يقولوا يهديكم الله وبرحمته ( وربكم أعلم بمن في السموات والأرض )

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ١٧ الاسراء  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ  
 إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ١٧ الاسراء  
 وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي  
 الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ١٧ الاسراء

- وتفاصيل أحوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء من يستحقه وهو رد عليهم إذ قالوا بعيد أن يكون يتيم أبى طالب نبياً وأن يكون العراة الجوع أصحابه دون أن يكون ذلك من الأكارب والصناديد وذكور من في السموات لإبطال قولهم لولا أنزل علينا الملائكة وذكر من في الأرض لرد قولهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتنزه عن العلائق الجسدية لا بكثرة الأموال والآباء (وآتيناه داود زبوراً) بيان لحثيثة تفضيله عليه الصلاة والسلام فإن ذلك إتياء الزبور لا إتياء الملك والسلطنة وفيه إيدان بتفضيل النبي ﷺ فإن نعمته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وأن المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى إن الأرض يرثها عبادى الصالحون هو النبي ﷺ وأمه وتعمير الزبور تارة وتذكيره أخرى إما لأنه في الأصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب أو مصدر بمعنى كالتقول وإما لأن المراد آتيناه داود زبوراً من الزبور أو بعضاً من الزبور فيه ذكره ﷺ وقرى بضم الزاى على أنه جمع زبر بمعنى زبور (قل ادعوا الذين زعمتم) أنها آلهة (من دونه) تعالى من الملائكة والمسيح ٥٦ وعزير (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) بالمرءة كالمريض والفقر والقمح ونحو ذلك (ولا تحويلاً) أى ولا تحويله إلى غيركم (أولئك الذين يدعون) أى أولئك الآلهة الذين يدعواهم المشركون ٥٧ من المذكورين (يبتغون) يطلبون لأنفسهم (إلى ربهم) ومالك أمورهم (الوسيلة) القرية بالطاعة والعبادة (أيهم أقرب) بدل من فاعل يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو أقرب إليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه أو ضمن الابتغاء معنى الحرص فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إليه تعالى بالطاعة والعبادة (ويرجون رحمته) بها (ويخافون عذابه) بتركها كدأب سائر العباد فإين هم من كشف الضر فضلاً عن الإلهية (إن عذاب ربك كان محذوراً) حقيقة بأن يحذره كل أحد حتى الملائكة والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب وأن بينهم وبين العذاب بونا بعيداً (وإن من قرية) بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره إثر ٥٨ بيان أنه حقيق بالتحذرو أن أساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام على حذر من ذلك وكلية إن نافية ومن استغرافية والمراد بالقرية القرية الكافرة أى ما من قرية من قرى الكفار (إلا نحن مهلكوها)

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا  
وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

١٧ الأسراء

أى عذبوها بالبنة بالحسف بها أو ياهلاك أهلها بالمرء لما ارتكبوا من عظام الموبقات المستوجب لذلك  
• وفى صيغة الفاعل وإن كانت بمعنى المستقبل مالمس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وإنما قيل (قبل يوم  
القيامة) لأن الإهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وإنما هو لا تقضاء عمر الدنيا  
• (أو معذبوها) أى معذبوا أهلها على الإسناد المجازى (عذابا شديدا) لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا  
الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الأخروية أيضا حسبما يفصح عنه إطلاق التعذيب  
عما قيد به الإهلاك من قبلية يوم القيامة كيف لا وكثير من القرى العانية العاصية قد أخرجت عقوباتها إلى يوم  
• القيامة (كان ذلك) الذى ذكر من الإهلاك والتعذيب (فى الكتاب) أى اللوح المحفوظ (مسطورا)  
مكتوبا لم يغادر منه شيء إلا بين فيه بكيفياته وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى  
الصالحة والعذاب للعاطلة وعن مقاتل وجدت فى كتاب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها أما مكة فيخربها  
الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالفرق والكوفة بالترك والجبيل بالصواعق والزواجف وأما  
خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ أبو عمرو الدوانى فى كتاب الفتن أنه روى عن  
وهب ابن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى  
تخرب الكوفة ولا تكون الملهمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فإذا كانت الملهمة الكبرى فتحت قسطنطينية  
على يدى رجل من بنى هاشم وخراب الأندلس من قبل الزنج وخراب أفريقيا من قبل الأندلس وخراب  
مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو  
من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الفرق  
وخراب الأيلة من قبل عدو يحصرهم برأ وبحراً وخراب الرى من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت  
وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة  
وخراب المدينة من قبل الجوع وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال آخر قرية من قرى الإسلام  
خرابا المدينة وقد أخرجه العمرى من هذا الوجه وأنت خير بأن تعمم القرية لا يساعد السباق ولا  
السياق (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أى الآيات التى اقترحتها قريش من إحياء الموتى وقلب الصفا ذهابا  
• ونحو ذلك (إلا أن كذب بها الأولون) استثناء مفرغ من أعم الأشياء أى وما منعنا إلا سألها شيء من الأشياء  
إلا تكذيب الأولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم إرساله تعالى بها وإن كان بمشيئته المبنية على الحكم  
البالغة لا يمنع مانع عن ذلك من التكذيب أو غيره لا استحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور  
بواسطة استنباعه لاستنصاحهم بحكم السنة الإلهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك فى العتو  
والعناد وإفضائه إلى أن يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة فى الجريرة لما كان منافيا لإرسال ما اقترحوه



وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

١٧ الإسراء

- من الآيات لتعيين التكذيب المستدعي للاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الأمة إلى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من إيمان بعض أعقابهم عبر عن تلك المناقاة بالمنع على نهج الاستعارة إذ نادى بتعاوض مبادئ الإرسال لا كما زعموا من عدم إرادته تعالى لتأييده ﷺ بالمعجزات وهو السرف في إثبات الإرسال على الإتيان لما فيه من الإشعار بتداعى الآيات إلى النزول لولا أن تمسكها يد التقدير وإسناد على هذا المنع إلى تكذيب الأولين لا إلى عمله تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خير ألاسمهم ولو أسمهم لتولوا وهم معرضون لإقامة الحجة عليهم بإبراز الانتموزج والإيذان بأن مدار عدم الإجابة إلى إتيان مقترحهم ليس إلا صنيعهم (وآتيناهمود الناقاة) عطف على ما يفصح عنه \*
- الظلم الكريم كأنه قيل وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتيناهم باقتراحهم ثمود الناقاة (مبصرة) على صيغة الفاعل أى بينة ذات إبطار \*
- أو بباطر يذركم الناس أو أسند إليها حال من يشاهد ما عجزوا أو جاعلهم ذوى بباطر من أبصره جعله بصيراً وقرى على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد هو نصب على الحالية وقرى بالرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف (فظلوا بها) فكفروا بها ظالمين أى لم يكتفوا بمجرّد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر أو ظلوا أنفسهم \*
- وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما أن ثمود عرب مثلهم وأن لهم من العلم محالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم وروداً وصدوراً أو لأنها من جهة أنها حيوان أخرج من الحجر أوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديداً (وما نرسل بالآيات) المقترحة \*
- (إلا تخويفاً) لمن أرسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة حينئذ من الأعراب ويجوز أن تكون حالا من ضمير ظلوا أى فظلوا بها ولم يخافوا عاقبته والحال أنا ما نرسل بالآيات التى هي من جملتها إلا تخويفاً من العذاب الذى يعقبها فنزل بهم منازل (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) أى علماً كما نقله الإمام الشعلبي عن ابن عباس رضى الله \* عنهما فلا يخفى عليه شئ من أفعالهم الماضية والمستقبلية من الكفر والتكذيب وفى قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) إلى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجئ بعض الآيات لا شتر الكلى فى كونها أمور أخارقة للعادات منزلة من جانب الله سبحانه لتصدق النبى ﷺ فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما أن تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه ﷺ ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء حسبما ذكر فى فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا لئلا يفرق بينها وبين الرؤية أو لأنها وقعت بالليل أو لأن الكفرة قالوا العلم بالرؤيا وما جعلنا الرؤيا التى أرينا كما عياناً مع كونها آية عظيمة وآية آية حقيقة بأن

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ أَنْجِدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَتَّبِعُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ﴿١٧﴾ الاسراء

لا يتلعم في تصديقها أحد من له أدنى بصيرة إلا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم (والشجرة الملعونة في القرآن) عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لمن طاعها على الإسناد المجازي أو إبعادها عن الرحمة فإنها تنبت في أصل الجحيم في أبعدها مكان من الرحمة أي وما جعلناها إلا فتنة لهم حيث أنكروا ذلك وقالوا إن محمد يزعم أن الجحيم بحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فإنهم يرون النعامة تبذلج الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون أن في كل شجر نار أو قرىء بالرفع على حذف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك (ونحو فهم) بذلك وبنظائرهما من الآيات فإن الكل للتخويف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف (إلا طغيانا كبيرا) متجاوزا عن الحد فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرهما وفعل بهم ما فعل بأشياءهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الأمة إلى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل أكثر المفسرين الإحاطة على الإحاطة بالقدرة تسليية لرسول الله ﷺ عما عسى يعتريه من عدم الإجابة إلى إنزال الآيات التي اقترحوها لأن إنزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لأتيت بهذه المعجزات كما أتى بها موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك إن ربك اللطيف بك قد أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرُونَ على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامنض لما أمرتك به من تبليغ الرسالة ألا يرى أن الرؤيا التي أريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع أنها ما أورثت ضعفا لأمرك وفتورا في حالك وقد فسر الإحاطة بإهلاك قريش يوم بدر وإنما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبا ينبغي عنه قوله تعالى سيعزهم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في أخباره وأولت الرؤيا بمارآه ﷺ في المنام من مصارعهم لما روى أنه ﷺ لما ورد ماء بدر قال والله لكانني أنظر إلى مصارع القوم وهو يومى إلى الأرض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فقسامت به قريش فاستسخر وامنه وبنارآه ﷺ أنه سيدخل مكة وأخبر به أصحابه فتوجه إليهم فصددهم عام المشركون الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بأنه يجوز أن يكون الوحي بإهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وأنت خير بأنه يلزم منه أن يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وأن يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا بمارآه ﷺ في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى إذ يريكم الله في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم ولا ريب في أن تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس (وإذ قلنا للبلائك) تذكيرا لما جرى منه تعالى من الأمر ومن الملائكة من الامثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ويعلم

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ١٧ الإسراء

قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ١٧ الإسراء

- من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة
- ومخافة العذاب ومن حال إبليس حال من يعاند الحق ويخالف الأمر أي واذكروا وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) تحية وتكريماً لما له من الفضائل المستعرجة لذلك (فسجدوا) له من غير تلغم امتثالاً للأمر وأداء لحقه عليه الصلاة والسلام (إلا إبليس) وكان داخلاً في زميرتهم مندرجاً تحت الأمر بالسجود (قال) أي عند ما وُجِّع بقوله عز سلطانه يا إبليس مالك أن لا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك وقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي كما أشير إليه في سورة الحجر (الأسجد) وأنا مخلوق من النضر العالي (لمن خلقت طيناً) نصب على نزع الخافض أي من طين أو حال من الراجع إلى الموصول أي خلقته وهو طين أو من نفس الموصول أي أسجد له وأصله طين والتعبير عنه ﷺ بالموصول لتعليل إنكاره بما في حيز الصلاة (قال) أي إبليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الإنظار المترتب على استنظاره ٦٢ المنفزع على الأمر بخروجه من بين الملأ الأعلى باللحن المؤبد وإنما لم تصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع أخر فإن توسيط قال بين كلامي اللعين للإبذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتناؤه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون (أرأيتك هذا الذي كرمك على) الكاف لنا كيد الخطاب لا محل لها من الإعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلاة عليه أي أخبرني عن هذا الذي كرمته على بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته على وقيل هذا مجتداً حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستعجاب أي أخبرني أهذا من كرمته على وقيل معنى أرأيتك أنا ملكت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه عقيب (لئن أخرتني) حياً (إلى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله (لأحتنك ذريته) أي لا ستأصلهم من قولهم احتنك الجر إذا دارض إذا جرد ما عليها أكل أو لا قود منهم حيث ما شئت ولا ستولين عليهم استيلاء قوياً من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها إذا جعلت في حنكها الأسفل جلا تفرد بها وهذا كقوله لا زنين لهم في الأرض ولا غوينهم أجمعين وإنما علم تسفي ذلك المطلب له تلقياً من جهة الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو استنباطاً من قولهم أنجفل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو نوسما من خلقه (إلا قليلاً) منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى (قال اذهب) أي امض لشأنك الذي اخترته ٦٣ وهو طرده وتخليه بينه وبين ما سوات له نفسه (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) أي جزاؤكم وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعة (جزاء موفوراً) أي جزاء مكمل من قولهم فر اصاحبك مرضه فرة أي وفرو هو نصب على أنه مصدر مؤكد لما في قوله فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو للفعل المقدر أو حال موطئة لقوله موفوراً.

وَأَسْتَفْزَزَ مِنْهُمُ بَصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمُ بَخِيلُكَ وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ  
وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

١٧ الاسراء

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾  
رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ١٧ الاسراء

١٧ الاسراء

٦٤ (واستفزز من أي استخف (من استطعت منهم) أن تستفزه (بصوتك) بدعائك إلى الفساد (وأجلب عليهم) أي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح (بخيلك ورجلك) أي بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل من أهل العيث والفساد قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل إبليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل إبليس والخيل الخيالة ومنه قوله ﷺ يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على أنه فعل بمعنى فاعل كتب وتاعب وبضمة مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما أي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجلك ورجالك ويجوز أن يكون استفزازه بصوته وإجلاله بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعمهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزمهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم (وشاركهم في الأموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي (والأولاد) بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة والإشراك كنسبتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الآديان الزائفة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة (وعدم المواعيد الباطلة كشفاة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل) وما يعدم الشيطان (إلا غرورا) اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات إلى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الإشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزوين الخطأ بما يوم أنه صواب (إن عبادي) الإضافة للشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم وأن الإضافة لثبوت الحكم في قوله تعالى (ليس لك عليهم سلطان) أي تسلط وقدرة على إغوائهم كقوله تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن إغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى مع الإضافة إلى ضمير إبليس للإشعار بكيفية كفايته تعالى لهم أعنى سلب قدرته على إغوائهم (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر) مبتدأ وخبر والإزجاء السوق حالا بعد حال أي هو القادر الحكيم الذي يسوق لنا فلك الفلك ويحريها في البحر (لتبتغوا من فضله) من رزقه الذي هو فضل من قبله أو من الربح الذي هو معطيه ومن مزبدة أو تبعية ضمنية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا تَجَنَّبَكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴿٦٧﴾

١٧ الاسراء

أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾

أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

١٧ الاسراء

- عند مساس الضر تكلمة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية (إنه كان بكم) أزلا وأبداً (رحباً) حيث هباً لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من مبادئه وهذا تذليل فيه تعليل لما سبق من الإزجاء لا بتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على أن المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة إلى الجليظة والحقيقية (وإذا مسكم الضر في البحر) خوف الفرق فيه (ضل من تدعون) أي ذهب عن خواطرهم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة أو المسيح أو غيرهم (إلا إياه) وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم • وتدعوه لكشفه استقلالاً أو اشتراكاً أو ضل كل من تدعونه عن إغائتكم وإنقاذكم ولم يقدر على ذلك إلا الله على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم) من الفرق وأوصلكم (إلى البر أعرضتم) عن التوحيد أو اتسعتم في كفران النعمة (وكان الإنسان كفوراً) تعليل لما سبق من الإعراض (أفأمنتم) الهمة للإنكار والفاء ٦٨ • للعطف على محذوف تقديره أنجوتهم فأمنتم (أن يخسف بكم جانب البر) الذي هو ما منكم أي يقلبه ملتبساً بكم أو بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوى الجوانب والجهات بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى وقهره وسلطانه وقرىء بنون العظمة (أو يرسل عليكم) من فوقكم وقرىء بالنون (حاصباً) ريحاً ترمى بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلاً) يحفظكم من ذلك أو يصرفه عنكم فإنه لا راد لأمره الغالب (أم أمنتم أن يعيدكم فيها) في البحر أو ثرت كلمة في على كلمة إلى المنبئة عن مجرد الانتهاء ٦٩ • للدلالة على استقرارهم فيه (تارة أخرى) إسناد الإعادة إليه تعالى مع أن العود إليه باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم إلى ذلك وفيه إيماء إلى كمال شدة هول مالا قوة في التارة الأولى بحيث لولا الإعادة لما عادوا (فيرسل عليكم) وأنتم في البحر وقرىء بالنون (قاصفاً من الريح) وهي التي لا تمر بشيء إلا كسرتة وجعلته كالرميم أو التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تنقص أي تنكسر (فيرقكم) بعد كسر فلككم كما ينبي عنه عنوان القصف وقرىء بالنون وبالتاء على الإسناد إلى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب إشرارككم أو كفرانكم لنعمة الإنجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) أي ثاراً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركاً للثأر من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها •

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى  
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

١٧ الاسراء

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَيَمِينُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا  
يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾

١٧ الاسراء

- ٧٠ (ولقد كرّمنا بني آدم) قاطبة تكريماً شاملاً لبرهم وفاجرهم أي كرّمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملة ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبنى على عدم الفرق بين اليد والرجل فإنه يتناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده (وحملناهم في البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته إذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيها حيث لم نخسف بهم الأرض ولم نفرقهم بالماء وأنت خير بأن الأول هو الأنسب بالتكريم إذ جميع الحيوانات كذلك (ورزقناهم من الطيبات) أي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنيعهم وبغير صنيعهم (وفضلناهم) في العلوم والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح (على كثير من خلقنا) وهم من عدا الملائكة عليهم الصلاة والسلام (تفضيلاً) عظيماً لحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد من له أدنى تمييز فضلاً عن فضل على من عدا الملائكة الأعلى الذين هم المقول المحضة وإنما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لأن علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على أفضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فإن المراد هنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القرية عند الله سبحانه . إن قيل أي حاجة إلى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فإن استثناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام من تفضيل جميع أفراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض أفرادهم عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة إذ ليس من الأفراد الفاجرة للبشر أحد يفضل على أحد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه أصلاً بل هم أدنى من كل دنى حسبنا ينبغي . هذه قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل وقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا (يوم ندعو) نصب على المفعولية بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل والمفعول ويدعو بقلب الألف واو أو على لغة من يقول في أفعى أفعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى وأسروا النجوى أو ضميره وكل بدلا منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى (كل أناس) من بني آدم الذين

٧١

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾  
وَأَن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَا تُجِدُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾

- فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت أحوالهم في الآخرة بحسب أحوالهم وأعمالهم في الدنيا (يا مأموم) أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر أو يا أهل دين كذابا يا أهل كتاب كذا وقيل الإمام جمع أم كذب وخفاف والحكمة في دعوتهم بأمراتهم لإجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسين رضي الله عنهما والسر على أولاد الزنا (فمن أوتى) يومئذ من أولئك المدعوين (كتاب) صحيفة أعماله (بيمينه) إبانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفاً لصاحبه وتبشيراً له من أول الأمر بما في مطاوبه (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار معناه إيداناً بأنهم حزب مجتمعون على شأن جليل أو إشعاراً بأن قراتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الإيتاء وما فيه من الدلالة على البعد للإشعار برفعة درجاتهم أي أولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الإيتاء المزبور (يقومون كتابهم) الذي أوتوه على الوجه المبين تبجيحاً بما سطر فيه من الحسنات المستتعبة لفنون الكرامات (ولا يظنون) أي لا ينقصون من أجور أعمالهم المرئسة في كتبهم بل يؤثرونها مضاعفة (فتيلاً) أي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة أو أدنى شيء فإن الفتيل مثل في القلة والحقارة (ومن كان) من المدعوين ٧٢ المذكورين (في هذه) الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل (أعمى) فاقداً البصيرة لا يهتدى إلى رشده ولا يعرف ما أوليائه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلاً عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما أودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلق له من العلوم والمعارف الحقة (فهو في الآخرة) التي عبر عنها بيوم ندعو (أعمى) كذلك أي لا يهتدى إلى ما ينجي ولا يظفر بما يجديه لأن العمى الأول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على أن عماء في الآخرة أشد من عماء في الدنيا ولذلك قرأ أبو عمرو الأول بما لا والثاني مفتحاً (وأضل سبيلاً) أي من الأعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي أوتى كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع أنه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للإيدان بالعلة الموجبة له كافي قوله تعالى وأما إن كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فأما إن كان من أصحاب اليمين ولزم إلى علة حال الفريق الأول وقد ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلاً على شهادة العقل كافي قوله عز وعلا وإن بمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضلته (وإن كادوا ليفتنونك) نزلت في ثقيف إذ قالوا للنبي ﷺ لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نخشع ولا نجبي في صلاتنا وكل رباً لنا فهو لنا وكل رباً علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة وأن تحرم

١٧ الاسراء

وَلَوْلَا أَن تَبَيَّنْتَكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾

١٧ الاسراء

إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ١٧ الاسراء

١٧ الاسراء

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

وإدبنا وج كما حرمت مكة فإذا قالت العرب لم فعلت فقل إن الله أمرني بذلك وقيل في قریش حيث قالوا اجعل لنا آية عذاب آية رحمة وآية رحمة آية عذاب أو قالوا لا نمسكنك من استلام الحجر حتى تلم بأهتنا فإن مخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أى إن الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فأنين (عن الذى أوحينا إليك) من أو امرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفتى علينا غيره) لتقول علينا غير الذى أوحينا إليك بما اقترحتة ثقيف أو قریش حسبما نقل (وإذن لا تخذوك خليلاً) أى لو اتبعت أهواءهم لكنت لهم ولياً ولخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) على ما أنت عليه من الحق بعصمتنا لك (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) من الركون الذى هو أدنى ميل أى لولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميل إليهم شيئاً يسيراً من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدر كنت العصمة فنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم فضلاً عن نفس الركون وهذا صريح فى أنه ﷺ ما هم بإجابتهم مع قوة الداعى إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته (إذن) لو قاربت أن تركن إليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات) أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير خطير وكان أصل الكلام عذاباً ضعفاً فى الحياة وعذاباً ضعفاً فى الممات بمعنى مضاعفاً ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت إضافة موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر (ثم لا تجد لك علينا نصيراً) يدفع عنك العذاب (وإن كادوا) الكلام فيه كما فى الأول أى كاد أهل مكة (ليستفزونك) أى ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الأرض) أى الأرض التى أنت فيها وهى أرض مكة (ليخرجوك منها وإذن لا يلبثون) بالرفع عطفاً على خبر كاد وقرىء لا يلبثوا بالنصب بأعمال إذن على أن الجملة معطوفة على جملة وإن كادوا ليستفزونك (خلفك) أى بعدك قال [خلت الديار خلا فهاهم فكانما] بسط الشواطط بينهم حصيراً أى ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرىء خلفك (إلا قليلاً) إلا زماناً قليلاً وقد كان كذلك فإهم أهل كوا يبدرو بعد هجرته ﷺ وقيل نزلت الآية فى اليهود حيث حسدوا مقام النبى ﷺ بالمدينة فقالوا الشام مقام الأنبياء عليهم السلام فإن كنت نبياً فالحق بها حتى تؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه ﷺ فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلى بنو النضير بقليل (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) نصب على



أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ١٧ الإسراء  
وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ١٧ الإسراء

المصدرية أى سن الله تعالى سنة وهى أن يهلك كل أمة أخرجت رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى وإضافتها إلى الرسل لأنها سنت لأجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل (ولا تجد لسنةنا تحويلاً) أى تغييراً .  
(أقم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها كما ينهى عنه قوله ﷺ أتانى جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين ٧٨ زالت فصلى في الظهر واشتقاقه من الدلك لأن من نظر إليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت الشمس أى غربت وقيل أصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتأنيث مثلها فى قولك ثلاث خلون (إلى غسق الليل) إلى اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة العشاء وليس المراد إقامة فيها بين الوقتين على وجه الاستمرار بل إقامة كل صلاة فى وقتها الذى عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما أن أعداد ركعات كل صلاة موكولة إلى بيانه ﷺ ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى فى أوقات الصلوات من غير فصل بينها لأن الإنسان فيما بين هذه الأوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف أول وقت العشاء والفجر فإنه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع أحدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الأوقات وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدئه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته إلى غروب الشفق وقوله تعالى (وقرآن الفجر) أى صلاة الفجر نصب عطفاً على مفعول أقم أو على الإغراء قاله الزجاج وإنما سميت قرآناً لأنه ركنها كما تسمى ركوعاً وسجوداً واستدل به على الركنية ولكن لادلالة له على ذلك لجواز كون مدار النجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر لدل الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصاً وفيما عداها دلالة يمحوز أن يكون وقرآن الفجر حثاً على تطويل القراءة فى صلاة الفجر (إن قرآن الفجر) أظهر فى مقام الإضمار لبانة لمزيد الاهتمام به (كان مشهوداً) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذى هو أخو الموت أو يشهده كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجمل الغفير فالآية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر (ومن الليل) قيل هو نصب على الإغراء أى الزم بعض ٧٩ الليل وقيل لا يكون المغرى به حرفاً ولا يجدى نفعا كون معناها التبعية فإن واد مع ليست اسماً بالإجماع وإن كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمرة أى قم بعض الليل (فتهجد به) أى أزل وألق الهجود أى النوم فإن صيغة التفعّل تجب الإزالة كالتخرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو للبعض المفهوم من قوله تعالى ومن الليل أى تهجد فى ذلك البعض على أن الباء بمعنى فى وقيل منصوب بتهجد أى تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة وإياى فارهبون (نافلة لك) فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الأمة ولعله هو الوجه فى تأخير ذكرها عن ذكر صلاة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها أو تطوعاً لكن لا كونها زيادة

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴿٨٠﴾ ١٧ الاسراء

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ اِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا ﴿٨١﴾ ١٧ الاسراء

- على الفرائض بل لكونها زيادة له عليه السلام في الدرجات على ما قال مجاهد والسدى فإنه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الأمة فإن تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها إما على المصدرية بتقدير تنفل أو يجعل تهجد بمعناه أو يجعل نافلة بمعنى تهجداً فإن ذلك عبادة زائدة وإما على الحالية من الضمير الراجع إلى القرآن أى حال كونها صلاة نافلة وإما على المفعولية لتهجد إذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض أى فصل في ذلك البعض
- نافلة لك (عسى أن يبعثك ربك) الذى يبلغك إلى كمالك اللاتق بك من بعد الموت الأكبر كما انبعثت من النوم الذى هو الموت الأصغر بالصلاة والعبادة (مقاماً) نصب على الظرفية على إضمار فيقيمك أو تضمين البعث معنى الإقامة إذ لا بد من أن يكون العامل فى مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز أن يكون حالاً بتقدير مضاف أى يبعثك ذا مقام (محموداً) عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله عليه السلام قال المقام المحمود هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقاما يحمداً فى الأولون والآخرين وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن حذيفة رضى الله عنه يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تسكلم فيه نفس فأول مدعو محمد عليه السلام فيقول لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك تباركت وتعاليت
- ٨٠ سبحانه رب البيت (وقل رب أدخلني) أى القبر (مدخل صدق) أى إدخالاً مرضياً (وأخرجني) أى منه عند البعث (مخرج صدق) أى إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة فهو تلقين الدعاء بما وعده من البعث المقرون بالإقامة المعمودة التى لا كرامة فوقها وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الإدخال هو المقصد وقيل إدخاله عليه السلام مكة ظاهراً عليها وإخراجه منها آمناً من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤدياً حقه وقيل إدخاله فى كل ما يلبسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرىء مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجاً كقوله [وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع] من المال إلا مسحت أو مجلف [أى لم تدع فلم يبق] (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) حجة تصرفني على من يخالفني أو ملكاً وعزاً أناصر الإسلام مظهر آله على الكفر فأجيبته دعوته عليه السلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس ألا إن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفهم فى الأرض (وقل جاء الحق) أى الإسلام والوحى الثابت الراسخ (وزهق الباطل) أى ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان • من زهق روحه إذا خرج (إن الباطل) كأنما كان (كان زهوقاً) أى شأنه أن يكون مضمحللاً غير ثابت

وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ١٧ الاسراء  
وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ ١٧ الاسراء

وهو عدة كريمة بإجابة الدعاء بالسلطان النصير الذى لقنه . عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه ﷺ دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما لجمل ينكت به خصرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقي جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على أرم به فصعد فرمى به فكسره (ونزل من القرآن) وقرئ . نزل من الإنزال (ما هو شفاء) ٨٢ لما في الصدور من أدواء الريب وأسقام الأوهام (ورحمة للمؤمنين) به العالمين بما في تضاعيفه أى ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للبرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فإن كل القرآن كذلك وعن النبي ﷺ من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله أو تبعيضية لكن لا بمعنى أن بعضه ليس كذلك بل بمعنى إنا نزل منه في كل نوبة ما تستدعى الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك من نزل عليهم بسبب موافقته لأحوالهم الداعية إلى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لأبانه من المرضى المحتاجين إليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه (ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) أى لا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين الأشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الأسقام إلا خساراً أى هلاكاً بكفرهم وتكذيبهم لانقصاننا كما قيل فإن ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بأن يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادئ الأسقام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث إنهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدرجاً ازدادوا بذلك هلاكاً وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك وإستناد الزيادة المذكورة إلى القرآن مع أنهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سبباً لذلك وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك (وإذا أنعمنا على الإنسان) بالصحة والنعمة (أعرض) عن ٨٣ ذكر نافع لا عن القيام بموجب الشكر (ونأى) تباعد عن طاعتنا (بجانبه) النأى بالجانب أن يلوى عن الشيء . عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تأكيد للإعراض أو عبارة عن الاستكبار لأنه من ديدن المستكبرين (وإذا مسه الشر) من فقر أو مرض أو نازلة من التوازل وفي إسناد المساس إلى الشر بعد إسناد الإنعام إلى ضمير الجلالة إيدان بأن الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك (كان يئوساً) شديد اليأس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض أفرادهم ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فإن ذلك شأن بعض آخرين منهم وقيل أريد به الوليد بن المغيرة وقرئ . ناء إما على القلب كما يقال راه في رأى وإما على أنه بمعنى نهض .

١٧ الاسراء

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۚ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

١٧ الاسراء

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

- ٨٤ (قل كل) أى كل أحد منكم ومن هو على خلافكم (يعمل) عمله (على شاكلته) طريقته التى تشاكل حاله  
 • فى الهدى والضلالة أو جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه (فربكم) الذى برأكم على هذه الطبائع  
 • المتخالفة (أعلم بمن هو أهدى سبيلاً) أى أسد طريقاً وأبين منها جاً وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة  
 ٨٥ والدين (ويسألونك عن الروح) الظاهر أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدبر البدن الإنسانى  
 ومبدأ حياته روى أن اليهود قالوا لفريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فإن  
 أجاب عنها جميعاً أو سككت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين  
 • وأبهم أسر الروح وهو مبهم فى التوراة (قل الروح) أظهر فى مقام الإضمار إظهار الكمال الاعتناء بشأنه  
 • (من أمر ربى) كلمة من بيانية والأمر بمعنى الشأن والإضافة للاختصاص العلمى لا الإيجادى لاشتراك  
 الكل فيه وفيها من تشرىف المضاف ما لا يخفى كما فى الإضافة الثانية من تشرىف المضاف إليه أى هو من  
 • جنس ما استأنز الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التى لا يكاد يحوم حولها عقول البشر (وما أوتيتم من  
 العلم إلا قليلاً) لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك روى أنه ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب  
 قال ﷺ بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وساعة  
 تقول هذا فتزلت ولو أن مافى الأرض من شجرة أفلام الآية وإنما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فإن الحكمة  
 الإنسانية أن يعلم من الخير ما تسمعه الطاقة البشرية بل ما ينيط به المعاش والمعاد وذلك بالإضافة إلى ما لا  
 نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير فى نفسه أو بالنسبة إلى الإنسان أو هو من الإبداعات  
 الكائنة بمحض الأمر التكويني من غير تحصيل من مادة وتولد من أصل كأعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه  
 ببعض مبادئه ومآله أنه من عالم الأمر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه إنما أمره إذا أراد  
 شيئاً أن يقول له كن فيكون فإن ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الأمر أو من  
 عالم الخلق وفيه تنبيه على أنه مما لا يحيط بكنهه دائرة إدراك البشر وإنما الممكن هذا القدر الإجمالى المندرج  
 تحت ما استثنى بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً أى إلا علماً قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فإن  
 تعقل المعارف النظرية إنما هو من إحساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً ولعل أكثر  
 الأشياء لا يدركه الحس ولا شئ من أحواله التى يدور عليها معرفة ذاته وأما محل ما ذكر على السؤال عن  
 قدمه وحدونه وجعل الجواب إخباراً بحدوثه أى كائن بتكوينه حادث بإحداثه بالأمر التكويني  
 فمع عدم ملامته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة عليهم فإن ما سألوا عنه مما بقى به عليهم  
 حينئذ وقد أخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام  
 وقيل القرآن ومعنى من أمر ربى من وحيه وكلامه لا من كلام البشر .

وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهِنَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ١٧ الاسراء

إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ١٧ الاسراء

قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ١٧ الاسراء

- (وإن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي أوتيتوها وابتدأتك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولا له لكنت تركن إليهم شيئاً قليلاً وإنما عبر عنه بالموصول تفخيماً لشأنه ووصفاً له بما في حين الصلة ابتداء وإعلاماً بحاله من أول الأمر وبأنه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطنه للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الذهاب به المحو من المصاحف والصدور وهو أبلغ من الإذهاب عن ابن مسعود رضى الله عنه أن أول ما تنفقون من دينكم الأمانة وآخر ما تنفقون الصلاة وليصلين قوم ولادين لهم وأن هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا فعلمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا فقال يسرى عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب (ثم لا تجد لك به) أي بالقرآن (علينا وكيلاً) من يتوكل علينا استرداده مسطوراً محفوظاً (إلا رحمة من ربك) فإنها إن نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به فيكون امتناناً بإبقائه بعد المنية بتنزيله وترغيباً في المحافظة على أداء حقوقه وتحذيراً من أن لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو أجل النعم وأعظمها (إن فضله كان عليك كبيراً) كإرسالك وإزال الكتاب عليك وإبقائه في حفظك وغير ذلك (قل) للذين لا يعرفون ٨٨ جلاله قدر التنزيل ولا يفهمون لحامه شأنه الجليل بل يزعمون أنه من كلام البشر (لئن اجتمعت الإنس والجن) أي اتفقوا (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) المنعوت بما لا تدركه للعقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لأن المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لأن غيرهما قادر على المعارضة (لا يأتون بمثله) أو ثراً لإظهار على إيراد الضمير الرجوع إلى المثل المذكور احترازاً عن أن يتوهم أن له مثلاً معيناً وإيداناً بأن المراد نفي الإتيان بمثل ما لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة أرباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينفي عنه اللام الموطنه وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جواباً له بغير جزم لكون الشرط ماضياً كما في قول زهير [وإن أناه خليل يوم مسألة] يقول لا غائب مالي ولا حرم] وحيث كان المراد بالاجتماع على الإتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الأفراد أو من المجموع بأن يتألبوا على تليفق كلام واحد بتلاحق الأفكار وتعاضد الأنظار قيل (ولو كان بعضهم

وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ١٧ الاسراء

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ ١٧ الاسراء

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ ١٧ الاسراء

أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ١٧ الاسراء

لبعض ظهيرا) أى فى تحقيق ما يتوخونه من الإتيان بمثله وهو عطف على مقدر أى لا يأتون بمثله لولم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفاً مطرداً لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فإن الإتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلأن ينتفى عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى إن ولو الوصليتين من التأكيدهما مرة وعمله النصب على الحالية حسبما عطف عليه أى لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو فى هذه الحال المنافية لعدم الإتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لأطامعهم الفارغة فى روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريراً لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لما قيل من أن الإتيان بمثله أصعب من استرداد عينه ونفى الشيء إنما يقرره نفي مادونه لأننى ما فوقه فإن أصعبية الاسترداد بغير أمره تعالى من الإتيان بمثله بما لا شبهة فيه بل ٨٩ لأن الجملة القسمية ليست مسوقة إلى النبي ﷺ بل إلى المكابرين من قبله ﷺ (ولقد صرفنا) كررنا ورددنا على أنحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ وإطمئنان (لن الناس فى هذا القرآن) المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة (من كل مثل) من كل معنى بدیع هو فى الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أوثر الإظهار على الإضمار تأكيذاً وتوضيحاً (إلا كفوراً) أى إلا جحوداً وإنما صرح الاستثناء من الموجب مع أنه لا يصح ضربت إلا زيدا لأنه تناول بالنفى كأنه قيل ما قبل أكثرهم إلا كفوراً وفيه من المبالغة ما ليس فى أبوا الإيمان لأن فيه دلالة على أنهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الإيمان والتوقف فى الأمر ونحو ذلك وأنهم بالغوا فى عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الإباء (وقالوا) عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالإعجاز التنزيل وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن فى العادة وجوده ولا تقتضى الحكمة وقوعه من الأمور كما هو ديدن المبهوتين المحجوج (لن تؤمن لك حتى تفجر) وقرئ بالتشديد (لنا من الأرض) أرض مكة (ينبوعاً) عينا ٩٠ لا ينضب ماؤها يفعل من ينبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر (أو تكون لك جنة) أى بستان تستر ٩١ أشجاره ماتحتها من العرصة (من نخيل وعنب فتفجر الأنهار) أى تجريها بقوة (خلالها تفجيراً) كثيراً والمراد إما إجماع الأنهار خلالها عند سقيها أو إدامة إجرائها كما ينبى عنه الفاء لا ابتداء (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) جمع كسفة كقطعة وقطع لفظاً ومعنى وقرئ بالسكون كسدره وسدر وهى ٩٢ حال من السماء والكاف فى كفى محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف أى إسقاطاً مماثلاً لما زعمت

أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا  
نَّقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾

١٧ الاسراء

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ ١٧ الاسراء

- يعنون بذلك قوله تعالى أو تسقط عليهم كسفاً من السماء (أو تأتي بالله والملائكة قبلاً) أى مقابلاً كالعشير والمعاشر أو كقبلاً يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتهما عليها أى والملائكة قبلاً كما حذف الخبر في قوله [فإني وقيار بها الغريب] أو جماعة فيكون حالاً من الملائكة (أو ٩٣ يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة (أو ترقى في السماء) أى في معارجها
- فحذف المضاف يقال رقى في السلم وفي الدرجة (ولن تؤمن لرقيك) أى لا أجل رقيك فيها وحده أو لن نصديق رقيك فيها (حتى تنزل) منها (علينا كتاباً) فيه تصديقك (نقروه) نحن من غير أن يتلقى من قبلك .
- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن أبي أمية لن تؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلباً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة إلا العناد واللجاج ولو أنهم أوتوا أضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك إلا مكابرة وإلا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لهاصم الجبال (قل)
- تعجباً من شدة شكيمتهم وتنزيهاً لساحة السبحات مما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات تنفطرن منها أو عن طلبك ذلك وتنبيهاً على بطلان ما قالوه (سبحان ربي) وقرئ .
- قال سبحانه ربي (هل كنت إلا بشراً) لا ملكاً حتى يتصور معنى الرقى في السماء ونحوه (رسولاً) مأموراً
- من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير أن يكون له خيرة في الأمر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظنهم الله على أيديهم حسب ما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله سبحانه بشيء منها وقوله بشراً خبر لكنت ورسولاً صفته (وما منع الناس) أى الذين حكيت أباطيلهم
- (أن يؤمنوا) مفعول ثانٍ لمنع وقوله (إذا جاءهم الهدى) أى الوحى ظرف لمنع أو يؤمنوا أى وما منعهم وقت مجيئ الوحى المقرون بالمعجزات المستدعية للإيمان أن يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك أو ما منعهم أن يؤمنوا بذلك وقت مجيئ ما ذكر (إلا أن قالوا) في محل الرفع على أنه فاعل منع أى إلا قولهم (أبعث
- الله بشراً رسولاً) منكبرين أن يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد أن هذا القول صدر عن بعضهم فنعم بعضاً آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل لكل المستتبع لهذا القول منهم وإنما عبر عنه بالقول إيداناً بأنه مجرد قول يقولونه بأفواههم من غير أن يكون له مفهوم ومصدق وحصر المانع من الإيمان فيها ذكر مع أن لهم موانع شتى لما أنه معظمها أو لأنه هو المانع بحسب الحال أعنى عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت إلا بشراً رسولاً إذ هو الذى يتشبثون به حينئذ من غير أن يخطر ببالهم شبهة أخرى من شهم الواهية وفيه إيدان بكال عنادهم حيث يشير إلى أن الجواب المذكور مع كونه حاسماً لمواد

قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ ١٧ الإسراء

قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ١٧ الإسراء

وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًى وَيُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ أَسْوَءَ مَا وَفَّعَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ١٧ الإسراء

- ٩٥ شبههم ملجئاً إلى الإيمان يعكسون الأمر ويجعلونه مانعاً منه ( قل ) لهم أولاً من قبلنا تبييناً للحكمة  
 \* وتحقيقاً للحق المزيح للريب ( لو كان ) أى لو وجد واستقر ( فى الأرض ) بدل البشر ( ملائكة يمشون  
 \* مطمئنين ) قارين فيها من غير أن يعرجوا فى السماء ويعلموا ما يجب أن يعلم ( لنزلنا عليهم من السماء ملكاً  
 رسولا ) يهديهم إلى الحق ويرشدهم إلى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقى منه وأما عامة البشر فهم بعزل  
 من استحقاق المفاوضة الملكية فكيف لا وهى منوطه بالتناسب والتجانس فبعث الملك إليهم مراحم  
 للحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وإنما يبعث الملك من بينهم إلى الخواص المختصين بالنفوس  
 الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقةين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى  
 جانب وقوله تعالى ملكاً يحتمل أن يكون حالاً من رسولا وأن يكون موصوفاً به وكذلك بشراً فى قوله  
 ٩٦ تعالى أبعث الله بشراً رسولا والاول أولى ( قل ) لهم ثانياً من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت  
 \* وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة فى البعث ولم يرفعوا إليه رأساً ( كفى بالله ) وحده ( شهيداً ) على أنى أدبت  
 ما على من مواجب الرسالة أكمل أداء وأنكم فعلتم ما فاعلم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة إلى كونه  
 \* ﷺ رسولا يظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى ( بينى وبينكم ) وما بعده من  
 \* التعليل وإنما يقل بيننا تحقيقاً للفرقة وإبانة للبينة وشهداً إما حال أو تمييز ( إنه كان بعباده ) من  
 \* الرسل والمرسل إليهم ( خبيراً بصيراً ) محيطاً بظواهر أحوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل  
 ٩٧ للكفاية وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للكفار ( ومن يهد الله ) كلام مبتدأ يفصل ما أشار إليه  
 \* الكلام السابق من مجازاة العباد إشارة لإجمالية أى من يهد الله إلى الحق بما جاء من قلبه من الهدى ( فهو  
 \* المهتد ) إليه وإلى ما يودى إليه من الثواب أو المهتد إلى كل مطلوب ( ومن يضل ) أى يخلق فيه الضلال  
 \* بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين ( فلن تجد لهم ) أثر ضمير الجماعة اعتباراً لمعنى من غب ما أثر فى مقابله  
 الإفراد نظراً إلى لفظها تلويحاً بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال  
 \* ( أولياء من دونه ) من دون الله تعالى أى أنصار آيهدونهم إلى طريق الحق أو إلى طريق يوصلهم إلى مطالبهم  
 الدنيوية والأخروية أو إلى طريق النجاة من العذاب الذى يستدعيه ضلالهم على معنى أن تجد لا أحد منهم  
 \* ولياً على ما تقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الأحاد إلى الأحاد ( ونحشرهم ) التفات من الغيبة  
 \* إلى التكلم إيداناً بكال الاعتناء بأسر الحشر ( يوم القيامة على وجوههم ) حال من الضمير المنصوب أى



ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا

جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

١٧ الاسراء

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا

لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنَّ الظَّالِمِينَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

١٧ الاسراء

قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

١٧ الاسراء

- كانين عليها سبحانه كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم أو مشياً فقد روى أنه قيل لرسول الله ﷺ كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عمياً) \*
- حال من الضمير المجرور في الحال السابقة (وبكاً وصماً) لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلد مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبء ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف إلى النار مو في القوى والحواس وأن يحشروا كذلك ثم يعاد إليهم قواهم وحواسهم فإن إدراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن بما لا ريب فيه (ما واهم جهنم) إما حال أو استئناف وكذا قوله تعالى (كلما خبت زدناهم سعيراً) أي كلما سكن لهيبها بأن أكلت جلودهم ولحوامهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقداً بأن بدلناهم جلوداً غير هافعات ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على إنكارهم الإعادة بعد الفناء بتكرير هامة بعد أخرى ليروها عيناً حيث لم يعلموها برهاناً كما يفصح عنه قوله تعالى (ذلك) أي ذلك العذاب (جزاؤهم بأنهم) أي بسبب أنهم (كفروا بآياتنا) ٩٨ العقلية والنقلية الدالة على صحة الإعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز أن يكون مبتدأ ثانياً وبأنهم خبره والجملة خبراً لذلك وأن يكون جزاؤهم بدلاً من ذلك أو بياناً له والخبر هو الظرف (وقالوا) \* منكرين أشد الإنكار (أننا كنا عظاماً ورفناً أنما لمبعوثون خلقاً جديداً) إما مصدر مؤكدم من غير لفظه أي لمبعوثون بعداً جديداً وإما حال أي مخلوقين مستأنفين (أو لم يروا) أي ألم يتفكروا ولم يعلموا (أن الله خلق ٩٩ السموات والأرض) من غير مادة مع عظمها (قادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر على أن المثل مقحم والمراد بالخلق الإعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقاً جديداً (وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه) عطف على أولم يروا فإنه في قوة قدر أو أو المعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس وجعل لهم ولبعثهم أجلاً محققاً لا ريب فيه هو يوم القيامة (فأبى الظالمون) وضع موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة (إلا كفوراً) أي جحوداً (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي) خزائن رزقه ١٠٠ التي أفاضها على كافة الموجودات وأنتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لودات سوار لطمتني وقائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص (إذن لأمسكنم) ابخليم (خشية الإنفاق) مخافة النفاد \*

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَعَسَىٰ أَسْرَأُ إِلَيْكَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٧﴾

١٧ الاسراء

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآءِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَسْحُورًا ﴿١٧﴾

١٧ الاسراء

- بالإنفاق إذ ليس في الدنيا أحد إلا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فإنما يؤثره لموضع يفوقه \* فإذا هو بخيل بالإضافة إلى جود الله سبحانه (وكان الإنسان قتوراً) مبالغاً في البخل لأن مبنى أمره على الحاجة والضعف بما يحتاج إليه وملاحظة العوض بما يبذله (ولقد آتيناهم موسى تسع آيات بينات) واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر وتلق الطور على بني إسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الأخيرة ويأباه أن هذه الثلاث لم تكن منزلة إذ ذاك وأن الأولين لا تعلق لهما بفرعون وإنما أوتيهما بنو إسرائيل عن صفوان بن عسال أن يهودياً سأل النبي ﷺ عنها فقال أن لا تشركو به شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا بيريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله ﷺ ولا يساعده أيضاً ما ذكر وأعل جوابه ﷺ بذلك لما أنه الممهم للسائل وقوله لما أنه كان في التوراة مسطوراً وقد علم أنه ماعله رسول الله ﷺ إلا من جهة الوحي (فأسأل بني إسرائيل) وقرئ فصل أي فقلنا له سلمهم من فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل أو سلمهم عن إيمانهم أو عن حال دينهم أو سلمهم أن يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله ﷺ على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي ﷺ أي فأسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقيناً وطمأنينة أو ليظهر صدقك (إذ جاءهم) متعلق بقلنا ويسأل على القراءة المذكورة وبآتيناهم أو بمضمر هو يخبروك أو اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول ﷺ (فقال له فرعون) الفاء فصيغة أي فأظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات ١٠٢ البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون (إني لأظنك يا موسى مسحوراً) سحرت فتخبط عقلك (قال \* لقد علمت ما أنزل هؤلاء) يعني الآيات التي أظهرها (إلا رب السموات والأرض) خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما الإبدان بأنه لا يقدر على إبتناء مثل هاتيك الآيات العظام إلا خالقهما ومدبرهما (بصائر) حال من الآيات أي بينات مكشوفات تبصر كصدقك ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ومن ضرورة ذلك العلم بأنه ﷺ على كمال رصانة العقل فضلاً عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم أي لقد علمت بيقين أن هذه الآيات الباهرة أنزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم أن يحوم حولي سحر (وإني لأظنك يا فرعون مسحوراً) مصروفاً عن الخير مطبوعاً على الشر من قولهم ما برك عن هذا أي ماصرفك أو هالكاً ولقد قارع ﷺ ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون

- فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾  
 ١٧ الاسراء
- وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لَبِئْسَ إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَأِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾  
 ١٧ الاسراء
- وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾  
 ١٧ الاسراء
- وَقُرْءَا نَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾  
 ١٧ الاسراء
- قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾  
 ١٧ الاسراء

إفك مبين وظنه ﷺ يتاخم اليقين (فأراد) أى فرعون (أن يستفزهم) أى يستخفهم ويزعجهم (من ١٠٣ الأرض) أرض مصر أو من الأرض مطلقاً بالقتل كقوله سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم (فأغرقناه \* ومن معه جميعاً) فعمدنا عليه مكره واستفزناه وقومه بالإغراق (وقلنا من بعده) من بعد إغراقهم ١٠٤ (ابنى إسرائيل اسكنوا الأرض) التى أراد أن يستفزكم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) الكرة الآخرة \* أو الحياة أو الساعة والدار الآخرة أى قيام القيامة (جئنا بكم لفيفاً) مغلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم \* ونمیز سعداكم من أشقياءكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبحلق نزل) أى وما أنزلنا ١٠٥ القرآن إلا ملتبساً بالحق المقتضى لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق الذى اشتمل عليه أو ما أنزلناه من السماء إلا محفوظاً وما نزل على الرسول إلا محفوظاً من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره (وما أرسلناك إلا مبشراً) للطبيع بالثواب (ونذيراً) للعاصي من العقاب وهو \* تحقيق لحقية بعثته ﷺ إثر تحقيق حقية إنزال القرآن (وقرأنا) منصوب بمضمير يفسره قوله تعالى (فرقناه) ١٠٦ وقرىء بالتشديد دلالة على كثرة نجومه (لنقرأه على الناس كمكث) على مهل وثبت فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم وقرىء بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلاً) حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث \* والواقعات (قل) للذين كفروا (آمنوا به أو لا تؤمنوا) فإن إيمانكم به لا يزيده كلاً وامتناعكم لا يورثه ١٠٧ نقصاً (إن الذين أوتوا العلم من قبله) أى العلماء الذين قرءوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحى وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ورأوا فيها نعمتك ونعت ما أنزل إليك (إذا يتلى) أى القرآن (عليهم يخرون للأذقان) أى يسقطون على وجوههم (سجداً تعظيماً) \* لأمر الله تعالى أو شكراً لإنجاز ما وعده به فى تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الأذقان بالذكر الدلالة على كمال التذلل إذ حينئذ يتحقق الخور عليها وإيثار اللام للدلالة على اختصاص الخور بهما كما فى قوله [نخر صريعاً للبين واللفم] وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به أو لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أى إن لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم ويجوز أن يكون تعليلاً لقيل على سبيل التسلية لرسول الله ﷺ كأنه قيل تسلم بإيمان العلماء عن إيمان الجملة ولا تكثرت بإيمانهم وإعراضهم .

١٧ الاسراء

وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾

١٧ الاسراء

وَيَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾

قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ

١٧ الاسراء

بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾

١٠٨ (ويقولون) في سجودهم (سبحان ربنا) عما يفعل الكفرة من التكذيب أو عن خلف وعده (إن كان

١٠٩ واعد ربنا لمفعولا) إن مخنفة من المثقلة واللام فارقة أى إن الشأن هذا (ويخرجون للأذقان يكون) كرر

الحرور للأذقان لاختلاف السبب فإن الأول لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكر لإنجاز الوعد والثاني لما

\* أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله (ويزيدهم) أى القرآن بسماهم (خشوعا)

١١٠ كما يزيدهم علما ويقيناً بالله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) نزل حين سمع المشركون رسول الله

ﷺ يقول يا الله يا الرحمن فقالوا إنه ينهانا عن عبادة إلهين وهو يدعو إلهاً آخر وقالت اليهود إنك لتقل

ذكر الرحمن وقد أكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما عبارتان

عن ذات واحدة وإن اختلف الاعتبار والتوحيد إنما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى أنها سميان

\* فى حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أوفق لقوله تعالى (أيأما تدعوا فله الأسماء الحسنى) والدعاء

بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه أو للتخيير والتنوين فى أيأ عوض عن

المضاف إليه وما مزبدة لنا كيد ما فى أى من الإبهام والضمير فى له للسمى لأن التسمية له لا للاسم وكان

أصل الكلام أيأما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للبالغة والدلالة على ما هو الدليل

عليه إذ حسن جميع أسمائه يستدعى حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدالاتها على صفات الكمال من

\* الجلالة والجمال والإكرام (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فإن ذلك

\* يحلمهم على السب واللغو فيها (ولا تخافت بها) أى بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين

\* (وابتغ بين ذلك) أى بين الجهر والخافتة على الوجه المذكور (سبيلا) أمراً وسطاً قصداً فإن خير الأمور

أوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤممه المقتدون ويوصلهم

إلى المطلوب وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان يخفت ويقول أنا جى ربى وقد علم حاجتى وعمر

رضى الله عنه كان يجهر بها ويقول أطرده الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله ﷺ

أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخنض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها

وابتغ بين ذلك سبيلا بالخافتة نهاراً والجهر ليلاً وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أنها منسوخة

بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخفية .

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

١٧ الاسراء

(وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) كما يزعم اليهود والنصارى وبنو ملبح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ١١١ ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً (ولم يكن له شريك في الملك) أى الألوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة (ولم يكن له ولي من الدل) ناصر ومانع منه لا عزازة به أو لم يوال أحداً من أجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض في أثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة إيذان بأن المستحق للحمد من هذه نعمته دون غيره إذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الإيجاد وما يتفرع عليه من إضافة أنواع النعم وما عداها ناقص ملوك نعمته أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبيراً) وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في الطاعة والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور في ذلك روى أنه ﷺ كان إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب عليه هذه الآية الكريمة . وعنه ﷺ من قرأ سورة بنى إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدین كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت .

## ١٨ - سورة الكهف

(مكية وآياتها مائة وعشر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨ الكهف

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝

قَيِّمًا لِنُذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

١٨ الكهف

حَسَنًا ۝

(سورة الكهف مكية إلا الآيات ٢٨ ومن آية ٨٣ إلى آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله الذي أنزل على عبده) محمد ﷺ (الكتاب) أى الكتاب الكامل الغنى عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل حينئذ كما مر مراراً وفى وصفه تعالى بالوصول لإشعار بعلمية ما فى حيز الصلة لاستحقاق الحمد وإيدان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفى التعبير عن الرسول ﷺ بالعبد مضافاً إلى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه ﷺ إلى أعلى معارج العبادة وتشريف له أى تشريف وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبداً المرسل لا كما زعمت النصارى فى حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول المهرج عن الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى (ولم يجعل له عوجاً) أى شيئاً من العوج بنوع اختلال فى النظم وتنافى فى المعنى أو انحراف عن الدعوة إلى الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الأعيان وأما قوله تعالى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً مع كون الجبال من الأعيان فللدلالة على انتفاء مالا يدرك من العوج بحاسة البصر بل إنما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما فى المعانى وقيل

٢ الفتح فى اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسرى اعوجاج غيره عيناً كان أو معنى (قيماً) بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الإنذار والبشير فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السماوية شاهد بأصحتها ومهمناً عليها أو متناهيماً فى الاستقامة فيكون تأكيداً كيداً للمادل عليه نفي العوج مع إفادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما تنبئ عنه الصيغة لأنه نفي عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمونين عنه نفي العوج تقديره جعله قيماً وأما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب إذ لا فصل حينئذ بين أبعاد المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ (لينذر) متعلق بأنزل والفاعل ضمير الجلالة كافى الفعلين المعطوفين عليه والإطلاق عن ذكر المفعول الأول للإيدان بأن ما سبق له الكلام هو

مُكِنِّينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٢٠﴾

١٨ الكهف

وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٢١﴾

١٨ الكهف

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٢٢﴾ ١٨ الكهف

- \* المفعول الثاني وأن الأول ظاهر لا حاجة إلى ذكره أى أنزل الكتاب لينذر بما فيه الذين كفروا به (بأساً) \*
- \* أى عذاباً (شديداً من لدنه) أى صادراً من عنده نازلاً من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرىء من لدنه \*
- \* بسكون الدال مع إتمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتيان (ويبشر) بالتشديد وقرىء \*
- \* بالتخفيف (المؤمنين) أى المصدقين به (الذين يعملون الصالحات) الأعمال الصالحة التى بينت فى تضاعيفه \*
- \* وإيثار صيغة الاستقبال فى الصلة للإشعار بتجدد الأعمال الصالحة واستمرارها وإجراء الموصول على موصوفه المذكور لما أن مدار قبول الأعمال هو الإيمان (أن لهم) أى بأن لهم بمقابلة إيمانهم وأعمالهم \*
- \* المذكورة (أجراً حسناً) هو الجنة وما فيها من الثوابات الحسنى (ما كثرين) حال من الضمير المجرور ٣
- \* فى لهم (فيه) أى فى ذلك الأجر (أبداً) من غير انتهاء أى خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لما كثرين وتقديم الإيذار على التبشير لإظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التحلية على التحلية وتكرير الإيذار بقوله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) متعلقاً بفرقة خاصة من عمه الإيذار السابق ٤
- \* من مستحق البأس الشديد الإيذان بكال فطاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم أى وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك لإجراء الموصول على الموصوف كما فعل فى قوله تعالى ويبشر المؤمنين بالإيذان بكفاية ما فى حين الصلة فى الكفر على أقبح الوجوه وإيثار صيغة الماضى فى الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدى إلى خروج سائر أصناف الكفرة عن الإيذار والوعيد وتعميم الإيذار هناك المؤمنين أيضاً بحمله على معنى مجرد الإخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما فى قوله تعالى أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا بفضى إلى خلوا النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز أن يكون الفاعل فى الأفعال الثلاثة ضمير الكتاب أو ضمير الرسول ﷺ (ما لهم به) أى باتخاذ سبحانه وتعالى ولداً (من علم) مرفوع على الابتداء أو ٥
- \* الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزدة لنا كيد النقي والجملة حالية أو مستأنفة لبيان حالهم فى مقامهم أى ما لهم بذلك شئ من علم أصلاً لا لإخلاصهم بطريقه مع تحقق المعلوم أو إمكانه بل لاستحالته فى نفسه (ولا
- \* لآبائهم) الذين قلدوهم فناعوا جميعاً فى تبه الجملالة والضلالة أو ما لهم علم بما قالوه أو صواب أم خطأ بل إنما قالوه رمياً عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كفاى قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم أو بحقيقة ما قالوه وبعضهم رتبته فى الشناعة كفاى قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات

١٨ الكهف

فَلَعَلَّكَ بَلِخْغٌ نَّفْسِكَ عَلَىٰ عَائِثِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿١٨﴾

١٨ الكهف

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿١٩﴾

- يتفطن منه الآيات وهو الأنسب بقوله تعالى (كبرت كلمة) أى عظمت مقاتلتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه إلى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت إما ضمير المقاتلة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز أو ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزاً كبئس رجلاً والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هى كلمة خارجة من أفواههم وقرىء كبرت بإسكان الباء مع إشتام الضم وقرىء كلمة بالرفع (تخرج من أفواههم) صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على النغوه بها وإسناد الخروج إليها مع أن الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت للملازمة بها (إن يقولون) ما يقولون في ذلك الشأن (إلا كذباً) أى لا قولاً كذباً لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق أصلاً والضمير ان لهم ولا بانهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على إعراض القوم وتوليهم عن الإيمان بالقرآن وكما التحسر عليهم بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه إثر فوت ما يحبه عند مفارقة أحبته تأسفاً على مفارقتهم ٦ وتلفها على مهاجرتهم ففيل على طريقة التمثيل حملاً له عليه السلام على الحذر والإشفاق من ذلك (فلعلك باخع) أى مهلك (نفسك على آثارهم) غماً ووجداً على فراقهم وقرىء بالإضافة (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن الذى عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرىء بأن المفتوحة أى لأن لم يؤمنوا فإعمال باخع بحمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما • في قوله عز وجل باسط ذراعيه (أسفاً) مفعول له لباخع أى لفرط الحزن والغضب أو حال مما فيه من الضمير أى متأسفاً عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين أجزاء الطرفين ٧ لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم (إنا جعلنا ما على الأرض) استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الإشفاق أى إنا جعلنا ما عليها من عدا من وجه إليه التكليف من الزخارف حيواناً كان أو نباتاً أو معدناً كقوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً (زينة) مفعول ثانٍ للجعل إن حمل على معنى التنصير أو حال إن حمل على معنى الإبداع واللام فى (لها) إما متعلقة بزينة أو بمحذوف هو صفة لها أى كائنة لها أى يتمتع بها الناظر من المكلفين وينتفعوا بها فأنظروا واستدلوا فإن الحيات والعقارب من حيث تذكريهما لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالاته على وجود الصانع ووحدته فإن الأزواج والأولاد أيضاً من زينة الحياة الدنيا بل أعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فإنهم من جهة انتسابهم إلى أصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء (لنبوهم) متعلق بجعلنا أى جعلنا ما جعلنا لنعامهم معاملة من يختبرهم (أيهم أحسن عملاً) فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسىء وامتازت طبقات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المرتبة



وَأَنَا لَجَٰئِعُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ۝

١٨ الكهف

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝

١٨ الكهف

على أنظارهم وتفاوت درجات أعمالهم المنفردة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود وأي إما استفهامية مرفوعة بالابتداء وأحسن خبرها والجملة في محل نصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك أجرى مجراه بطريق التثنية أو الاستعارة التبعية وإمامه صولة بمعنى الذي وأحسن خبر مبتدأ مضمرة والجملة صلة لما وهى في حيز نصب بدل من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلوا الذي هو أحسن عملاً لحيث أنه يحتمل أن تكون الضمة في أيهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لنزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً على أحد الأقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الإضافة لفظاً وحذف صدر الصلة وأن تكون للإعراب لأن ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهديها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة إلى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما أذن له الشرع وأداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة إلى الشهوات والأغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة وأصحاب الأهواء وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضاً لا إلى الحسن والأحسن فقط للإشعار بأن الغاية الأصلية للجعل المذكور إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملاً (وإنا لجاعلون) فيما سيأتي ٨ عند تنأى عمر الدنيا (ما عليها) من المخلوقات قاطبة يافئتها بالكلية وإنما أظهر في مقام الإضمار لزيادة التقرير أو لإدراج المكلفين فيه (صعيداً) مفعول ثان للجعل والصعيد التراب أو وجه الأرض قال أبو عبيدة هو المستوى من الأرض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه (جرزاً) تراباً لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظر وتشرف بمشاهدته إلا بصار يقال أرض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الأرض فهي مجروزة أي ذهب نباتها بقحط أو جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والإبل إذا أكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما أيفت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب فإننا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء نينة لها لتختبر أعمالهم فتجازيهم بحسبها وإنا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب أعمالهم أم حسبتم) الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد إنكار حسابان أمته وأم منقطعة مقدرة ببيل التي هي للانتقال من حديث إلى حديث لا لإبطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وبيل وحدها عند غيرهم أي بل أحسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر (من آياتنا) من بين آياتنا من جعلها ما ذكرناه من جعل ما على الأرض زينة لها للحكمة المشار إليها ثم جعل ذلك كله صعيداً جرزاً فن لم تغن بالأمس (عجبا) أي آية ذات عجب وضماً له موضع المضاف أو وصفاً لذلك بالمصدر مبالغة وخبر لكانوا من آياتنا حال منه والمعنى أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٨﴾ الْكَهْفِ

١٨ الْكَهْفِ

فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١٩﴾

إلى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقيق والكهف الغار الواسع في الجبل والرقم كلهم قال أمية بن أبي الصلت [وليس بها إلا الرقيم مجاوراً \* وصيدهم والقوم في الكهف همد] وقيل هو لوح رصاصي أو حجري رقت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقة الوادي أي جانبه وقيل الجبل وقيل قريبهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين وقيل أصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم أحسن عمله على ما فصل في الصحيحين (إذ أوى) ظرف لمجيباً لا لحسبت أو مفعول لا ذكر أي حين التجأ (الفتية) أي أصحاب الكهف أو أثر الإظهار على الإضمار لتحقيق ما كانوا عليه في أنفسهم من حال الفتوة فإنهم كانوا فتية من أشرف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولأن صاحبة الكهف من فروع التجائهم إلى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه (إلى الكهف) بجملهم للجلوس واتخذوه مأوى (فقالوا ربنا آتنا من لدنك) من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عبود أهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له أي آتنا كائنة من لدنك (رحمة) خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهي لنا من أمرنا) الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء أي أصلح ورتب وأتم لنا من أمرنا (رشداً) لإصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه وكلا الجارين متعلق بهيئته لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله الرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبيء عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بمحصله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من أمرنا للإبذان من أول الأمر بكون المستول مرغوباً فيه لديهم أو اجعل أمرنا رشداً كله على أن من تجريدية مثلما في قولك رأيت منك أسداً (فضربنا على آذانهم) أي أنماهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيهه بالإقامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاج إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالباً لاسيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الإقامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الأمير على يد الرعية أي منعهم من التصرف مع عدم ملامته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع أنه المراد قطعاً والغاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى إذ نادى فإن الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك

إيتارحة لدنية خافية عن أبصار المتمسكين بالأسباب العادية استجابة لدعوتهم ( في الكهف ) ظرف \*  
 مكان لضر بنا ( سنين ) ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه ( عدداً ) أى ذوات عدد أو تعد عدداً على \*  
 أنه مصدر أو معدودة على أنه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك إما للكثير وهو الأنسب بإظهار كمال  
 القدرة أو للتقليل وهو الأليق بمقام إنكار كون القصة عجباً من بين سائر الآيات العجيبة فإن مدة لبثهم  
 كبعض يوم عنده عز وجل ( ثم بعثناهم ) أى أيقظناهم من تلك النوم الثقيلة الشبيهة بالموت ( لنعلم ) بنون ١٢  
 العظمة وقرىء بالياء مبنياً للفاعل بطريق الالتفات وأياً ما كان فهو غاية للبعث لكن لا يجعل العلم مجازاً  
 من الإظهار والتمييز أو بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالى الذى يتعلق به الجزء  
 كما فى قوله تعالى إلا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا  
 ونظائرهما التى يتحقق فيها العلم بتحقيق متعلقه قطعاً فإن تحويل القبة قدر ترتب عليه تحزب الناس إلى متبع  
 ومنقلب وكذا مداولة الأيام بين الناس ترتب عليه تحزبهم إلى الثابت على الإيمان والمترزل فيه وتعلق  
 بكل من الفريقين العلم الحالى والإظهار والتمييز وأما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم إلى المحصى وغيره  
 حتى يتعلق بهما العلم أو الإظهار والتمييز ويتسنى نظم شيء من ذلك فى سلك الغاية وإنما الذى ترتب عليه  
 تفرقهم إلى مقدر تقدير غير مصيب ومفوض إلى العلم الربانى وليس شيء منها من الإحصاء فى شيء بل  
 يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازاً بطريق إطلاق اسم المسبب  
 على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعاً بل قد يكون لإظهار  
 عجزه عنه على سنن التكليف التعجيزية كقوله تعالى فأتى بها من المغرب وهو المراد ههنا فالعنى بعثناهم  
 لنعلمهم معاملة من يختبرهم ( أى الحزبين ) أى الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما \*  
 سياتى ( أحصى ) أى أضبط ( لما لبثوا ) أى للبثهم ( أمداً ) أى غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك إلى \*  
 العلم الخبير ويعترفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم وأديانهم فيزدادوا يقيناً بكمال  
 قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفاً لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر  
 ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سياتى على ما صدر عنهم من  
 التساؤل المؤدى إليها وهذا أولى من تصوير التمثيل بأن يقال بعثناهم بعث من يريد أن يعلم الخ حسبها وقع  
 فى تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على أحد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن  
 يعلم من الثابت على الإيمان من غير الثابت لاذر بما يتوهم منه استلزام الإرادة لتحقيق المراد فيعود المحذور  
 فيصير إلى جعل إرادة العلم عبارة عن الاختبار فاختر واختر . هذا وقد قرىء ليعلم مبنياً للمفعول ومبنياً  
 للفاعل من الإعلام على أن المفعول الأول محذوف والجملة المصدرة بأى فى موقع المفعول الثانى فقط  
 لأن جعل العلم عرفانياً أو فى موقع المفعولين إن جعل يقينياً أى ليعلم الله الناس أى الحزبين أحصى الخ وروى  
 طاه من ابن عباس رضى الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً

بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فإن اللام للعدم ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى  
كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه  
لكونه نكرة وليس معنى إحصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فإنه لا يسمى إحصاء  
بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها إلى السنين وبلوغها من تلك الحبيثة إلى  
مراتب الأعداد على ما يرشدك إليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز أن يراد بالامد  
معناه الوضعي بتقدير المضاف أى لزمان لبثهم وبدونه أيضاً فإن اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق  
على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع  
خاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد  
بالذات وهو أن انبعاثهم من نومهم فإن معرفته من تلك الحبيثة لا تخفى على أحد ولا تسمى إحصاء كما مر بل  
باعتبار كميته المنفصلة معارضة له بسبب عروضا الزمان المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه إلى السنين ووصوله  
إلى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الأولى والفرق بين الاعتبارين أن ما تعلق به الإحصاء  
في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة إلى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الأخيرة منتهى  
تلك المدة المنقسمة إليها أعنى السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الإحصاء بالامد بالمعنى الأول ظاهر وأما  
تعلقه بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله  
أما إلى ما لبثوا مصدرية ويجوز أن تكون موصولة حذف عائدا من الصلة أى الذى لبثوا فيه من الزمان الذى  
هبر عنه فيما قبل بسنين عدداً فالامد بمعناه الوضعي على ما تحققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعوله  
وأمدأ نصب على التمييز وأما ما قبل من أن أحصى اسم تفضيل لأنه الموافق لما وقع في سائر الآيات  
الكريمة نحو أيهم أحسن عملاً أيهم أقرب لكم نفعاً إلى غير ذلك مما لا يحصى ولأن كونه فعلاً ماضياً  
يشعر بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم على البعث لا بالإحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وإدعاء  
أن مجيء أفعال التفضيل من المزيادة عليه غير قياسى مدفوع بأنه عند سيبويه قياس مطلقاً وعند ابن عصفور  
فيما ليست همزة للنقل ولا ريب في أن مانحن فيه من ذلك القليل وامتناع عمله إنما هو في غير التمييز من  
المعمولات وأما أن التمييز يجب كونه فاعلاً في المعنى فلما منع أن يمنعه بصحة أن يقال أيهم أحفظ لهذا  
الشعر وزناً أو تقطيعاً أو يقال أن العامل في أمدأ فعل محذوف يدل عليه المذكور أى يحصى لما لبثوا أمدأ  
كما في قوله [وأضرب مناب السيف القوانسا] وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما أشير إليه  
من فائدة الموافقة للنظائر فع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لأن مؤداه أن يكون  
المقصود بالإخبار إظهار أفضل الحزبين وتمييزه عن الأدنى مع تحقق أصل الإحصاء فيها ومن البين  
أن لا تحقق له أصلاً وأن المقصود بالاختبار إظهار عجز الكل عنه رأساً فهو فعل ماض قطعاً وتوهم إبدائه  
بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم عليه مردود بأن صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله  
تعالى أعلم .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ١٨ الكهف

(نحن نقص عليك) شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله تعالى إذ أوى الفتية الخ أى نحن نخبرك ١٣ بتفاصيل أخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام (نبأهم) النبأ الخبر الذى له \* شأن وخطر (بالحق) إما صفة لمصدر محذوف أو حال من ضمير نقص أو من نبأهم أو صفة له على رأى \* من يرى حذف الموصول مع بعض صلته أى نقص قصصاً ملتبساً بالحق أو نقصه ملتبساً به أو نقص نبأهم ملتبساً به أو نبأهم الملتبس به ونبأهم حسبما ذكره محمد بن إسحق بن يسار أنه قد مرجع أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكان عن بالغ في ذلك وعتاوتوا كبيراً دقيانوس فإنه غلا فيه غلواً شديداً لجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتبع الناس فيخبرهم بين القتل وعبادة الأوثان فن رغب في الحياة الدنيا الدينية يصنع ما يصنع ومن أثر عليها الحياة الأبدية قتله وقطع آرا به وعلقها في سور المدينة وأبوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء أهل مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا إلى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعاء فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أعوان الجبار فأحضرهم بين يديه فقال لهم ما قال وخبرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان فقالوا إن لنا إلهاً ملاً السموات والأرض عظمته وجبروته إن ندعو من دونه أحداً وإن نقر لما تدعوننا إليه أبداً فاقض ما أنت قاض فأمر بنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة وأخرجهم من عنده وخرج هو إلى مدينة نينوى لبعض شأنه وأمرهم إلى رجوعه ليتأملوا في أمرهم فإن تبعوه وإلا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فآزمت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء إلى الكهف الحصين فأخذ كل منهم من بيت أبيه شيئاً فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فأووا إلى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناه الليل وأطراف النهار ويبتهلون إلى الله سبحانه بالأنين والجوار وفوضوا أمر نفقتهم إلى يملئها فكان إذا أصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشترى ما يهيمهم ويتحسس ما فيها من الأخبار ويعود إلى أصحابه فلبثوا على ذلك إلى أن قدم الجبار المدينة فطلبهم وأحضر آباءهم فاعتذروا بأنهم عصوه ونهبوا أموالهم وبذروها في الأسواق وفروا إلى الجبل فلما رأى يملئها ما رأى من الشر رجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فأخبرهم بما شهد من الهول ففرعوا إلى الله عز وجل وخروا له سجداً ثم رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدثون في أمرهم فبينما هم كذلك إذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤوسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فأمر بإخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلما ضاق بهم ذرماً قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً وليسكن كهفهم قبراً لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم (إنهم فتية) استئناف تحقيقى \* مبنى على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبيبة للصبي (آمنوا برهم) أوثر

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ

١٨ الكهف

قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾

هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى

١٨ الكهف

اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

الانفادات للإشعار بعلمية وصف الربوبية لإيمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكي عنهم  
 \* (وزدناهم هدى) بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من  
 ١٤ الغيبة إلى ما عليه سبك النظم سباقا وسباقا من التكلم (وربطنا على قلوبهم) أى قوبناها حتى اقتحموا  
 مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعم والإخوان واجتروا على الصدع بالحق من غير خوف  
 \* وحذار والرد على دقيانوس الجبار (إذ قاموا) منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لإظهار شعار  
 الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال أكبرهم إني لأجد في نفسي شيئا إن ربي رب  
 \* السموات والأرض فقالوا نحن أيضاً كذلك فقاموا جميعاً (فقالوا ربنا رب السموات والأرض) ضمنوا  
 دعواهم ما يحقق لحواها وبقيضى بمقتضاها فإن ربوبيته عز وجل لها تقتضى ربوبيته ما فيها أى اقتضاء وقيل  
 المراد بقيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عانهم على ترك عبادة الأصنام لحيث يكون ما سياتى من قوله  
 \* تعالى هؤلاء الخ منقطعاً عما قبله صادر عنهم بعد خروجه من عنده (لن ندعو) لن نعبد أبداً (من دونه إلهاً)  
 معبوداً آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً والعدول عن أن يقال رباً للتخصيص على رد المخالفين حيث كانوا  
 يسمون أصنامهم آلهة والإشعار بأن مدار العبادة وصف الألوهية والإيذان بأن ربوبيته تعالى بطريق  
 \* الألوهية لا بطريق المالكية المجازية (لقد قلنا إذا شططاً) أى قولاً ذا شطط أى تجاوز عن الحد أو قولاً  
 هو عين الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت  
 العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بالألوهية المعبود والتضرع إليه قيل لقد قلنا وإذا  
 جواب وجزاء أى لودعونا من دونه إلهاً والله لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد العقول مفرطاً في الظلم  
 ١٥ (هؤلاء) هو مبتدأ وفي اسم الإشارة تحقير لهم (قومنا) عطف بيان له (اتخذوا من دونه آلهة)  
 \* خبره وفيه معنى الإنكار (لولا يأتون) تحضيض فيه معنى الإنكار والتعجيز أى هلا يأتون (عليهم) على  
 \* ألوهيتهم أو على صحة اتخاذهم لها آلهة (بسلطان بين) بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم  
 \* وإلزام حجر (فن أظلم ممن افترى على الله كذباً) بنسبة الشريك إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً والمعنى  
 أنه أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم على إنكار الظلمية من غير تعرض لإنكار المساواة كما مر تحقيقه  
 في سورة هود.

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾

١٨ الكهف

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾

١٨ الكهف

- (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ) أى قارقتمهم فى الاعتقاد أو أردتم الاعتزال الجسماني (وما يعبدون إلا الله) عطف على الضمير المنصوب وما موصولة أو مصدرية أى إذا اعتزلتموهم ومعبودهم إلا الله أو عبادتهم إلا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم فى عبادة الأوثان ويجوز كون مانافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه (فأودأنا) أى التجهوا (إلى الكهف) قال الفراء هو جواب إذ كما تقول إذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه أى إذا اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانياً أو إذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالاتجاه إلى الكهف (ينشر لكم) ييسر لكم ويوسع عليكم (ربكم) مالك أمركم (من رحمته) فى الدارين (ويهيى لكم) يسهل لكم (من أمركم) الذى أنتم بصدد من الفرار بالدين (مرفقاً) ما تر تفقون وتذفعون به وقرىء بفتح الميم وكسر الفاء مصدراً كالمرجع وتقديم لكم فى الموضعين لما مر مراراً من الإيذان من أول الأمر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق إلى وروده (وترى الشمس) ١٧ بيان لحالهم بعد ما أودأوا إلى الكهف ولم يصرح به إيذاناً بعدم الحاجة إليه لظهور جريانهم على وجوب الأمر به لكونه صادراً عن رأى صائب وتعيلاً على ما سلف من قوله سبحانه إذ أوى الفتية إلى الكهف وما لحق من إضافة الكهف إليهم وكونهم فى فجوة منه والخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأته ترى الشمس (إذا طلعت تزاور) أى تزاوروا وتزاوروا تحذف إحدى التامين وقرىء بإدغام التاء فى الزاى وتزاور كنتحمر وتزاور كنتحما وتزاوروا كلهم من الزور وهو الميل (عن كهفهم) الذى أودأوا إليه فالإضافة لادنى ملابسة (ذات اليمين) أى جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل إلى قعره أى جانبه الذى إلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم (وإذا غربت) أى تراها عند غروبها (تقرضهم) أى تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقرهم (ذات الشمال) أى جهة ذات شمال الكهف أى جانبه الذى إلى المشرق وكان ذلك بتصرف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى (وهم فى فجوة منه) جملة حالية مبينة لكون ذلك أمراً بديعاً أى تراها تميل عنهم يميناً وشمالاً ولا تحوم حولهم مع أنهم فى متسع من الكهف معرض لإصابتها لولا أن صرفنا عنهم يد التقدير (ذلك) أى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالى الطلوع والغروب

## ١٨ الكهف

مع كونهم في موقع شعاعها (من آيات الله) العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقيقته التوحيد وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل أن سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شمالياً مستقبلاً بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته رأس مشرق السرطان وغربه الشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبه وتحمل عفونته وتعديل هواه ولا يقع عليهم فيؤذى أجسادهم ويبلى ثيابهم ولعل ميل الباب إلى جانب الغرب كان أكثر ولذلك أوقع التزاور على كهفهم والقرص على أنفسهم فذلك حينئذ إشارة إلى إيوائهم إلى كهف هذا شأنه وأما جعله إشارة إلى حفظ الله سبحانه وإيائهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة أو إلى إطلاعه سبحانه لرسوله ﷺ على أخبارهم فلا يساعده إرادته في تضاعيف القصة (من يهتد الله إلى الحق بالتوفيق له (فهو المهتد) الذي أصاب الفلاح والمراد إما الثناء عليهم والشهادة لهم بإصابة المطالب والإخبار بتحقيق ما أملاه من نشر الرحمة وتهيته المرافق أو التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المستفح بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها (ومن يضل) أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه (فلن تجده) أبداً وإن بالغت في التبع والاستقصاء (ولياً) ناصراً (مرشداً) يهديه إلى ما ذكر من الفلاح

18 لا استحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده أو إمكانه (وتحسبهم) بفتح السين وقرئ بكسرهما أيضاً والخطاب فيه كما سبق (أيضاً) جمع يقط بكسر القاف وفتحها هو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم (وهم رقود) أي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيها سلف اعتماداً على ذكره السابق من الضرب على آذانهم (ونقلبهم) في رقدتهم (ذات العين) نصب على الظرفية أي جهة تلي أيانهم (وذات الشمال) أي جهة تلي شمالهم كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يقلوا إلا كلمتهم الأرض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الإسناد إلى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوباً بضمير ينيء عنه وتحسبهم أي وترى تقلبهم (وكلبهم) قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطروده مرار فلم يرجع فأنطقه الله تعالى فقال لا تغشوا جانبي فإني أحب أحياء الله تعالى فناموا حتى أحرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالهم إذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد أحدهم أوزرعه أو غنمه واختلف في لونه فقيل كان أنمر وقيل أصفر وقيل أصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تنوء وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان أسداً (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز



وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾

١٨ الكهف

- إعماله مطلقاً والذراع من المرفق إلى رأس الأصبع الوسطى (بالصيد) أى بوضع الباب من الكهف
- (لواطلعت عليهم) أى لو عابذتهم وشاهدتهم وأصل الاطلاع الإشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة
- وقرىء بضم الواو (لوليت منهم فراراً) هرباً بما شاهدت منهم وهو إما نصب على المصدرية من معنى ما قبله
- إذ التولية والفرار من واحد واحد وإما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل أى فراراً أو بجعل الفاعل مصدراً
- مبالغة كفى قولها فإنما هى إقبال وإدبار وإما على أنه مفعول له (ولمئت منهم رعباً) وقرىء بضم العين أى خوف بالصدر ويرعبه وهو إما مفعول ثان أو تمييز ذلك لما ألبسهم الله عز وجل من الهيبة والهيبة كانت أعينهم مفتحة كالاستيقظ الذى يريد أن يتكلم وقيل لطول أظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوماً أو بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم أحداً فإن الظاهر من ذلك عدم اختلاف أحوالهم فى أنفسهم وقيل لعظم أجرامهم ولعل تأخير هذا عن ذكر التولية الإيذان باستقلال كل منهما فى الترتب على الإطلاع إذ لوروعى ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه والإشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية لما غزا الروم فر بالكهف قال لو كشفت لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لواطلعت عليهم الآية قال معاوية لا أنتهى حتى أعلم عليهم فبعث ناساً وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحاً فأحرقتهم وقرىء بتشديد اللام على التكثير وبإبدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد (وكذلك بعثناهم) أى كما أنعمنا وحفظنا أجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على
- ١٩ كمال قدرتنا بعثناهم من النوم (ليتساءلوا بينهم) أى ليسأل بعضهم بعضاً فيعرتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلن فيما سبق بالاختبار من حيث إنه من أحكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر آثاره (قال) استئناف لبيان تساؤلهم (قائل منهم) هو رئيسهم واسمه مكسلينا (كم لبثتم) فى منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد فى الجملة (قالوا) أى بعضهم (لبثنا يوماً أو بعض يوم) قيل إنما قالوا لما أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوماً فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا إلى الكذب (قالوا) أى بعض آخر منهم بما صنع لهم من الأدلة أو بإلهام من الله سبحانه (ربكم أعلم بما لبثتم) أى أنتم لا تعلمون مدة لبثكم وإنما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الأولين بأجل ما يكون من مراعاة حسن الأدب وبه يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قبل القائلون جميعهم ولكن فى حالتين ولا يساعده النظم الكريم فإن الاستئناف فى الحكاية والخطاب فى المحكى يقضى بأن الكلام جار على منهاج المحاورة

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ١٨ الكهف  
 وَكَذَلِكَ أَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ  
 أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم  
 مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ ١٨ الكهف

- \* والمجوبة وإلا لقل ثم قالوا ربنا أعلم بما لبثنا (فابعثوا أحكم بورقكم هذه إلى المدينة) قالوه إعراضاً عن  
 التعمق في البحث وإقبالاً على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبغي عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير  
 مضروبة ووصفها باسم الإشارة يشعر بأن القائل ناو لها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرىء  
 بسكون الراء وإدغام القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الإدغام وحلهم لها دليل على أن  
 الزود لا ينافي التوكل على الله تعالى (فلينظر أيها) أي أهلها (أزكى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص  
 \* (طعاماً فليأتكم برزق منه) أي من ذلك الأزكى طعاماً (وليتلطف) وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن أو  
 \* في الاستخفاء لئلا يعرف (ولا يشعرن بكم أحداً) من أهل المدينة فإنه يستدعي شيوع أخباركم أي لا يفعلن  
 ٢٠ ما يؤدى إلى ذلك فأنهى على الأول تأسيس وعلى الثانى تأكيد للأمر بالتلطف (لأنهم) لتعليل لما سبق من  
 الأمر والنهى أي لئلا يغ فى التلطف وعدم الإشعار لأنهم (إن يظهروا عليكم) أي يطلعوا عليكم أو يظفروا  
 \* بكم والضمير للأهل المقدر فى أيها (يرجموكم) إن ثبت على ما أنتم عليه (أو يعيدوكم فى ملتهم) أي يصيروكم  
 إليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى أولتعودن فى ملتنا وقيل كانوا أو لا على دينهم  
 وإلشار كلمة فى على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار الذى هو أشد شىء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على  
 احتمال الإعادة لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدى إليه وضمير الخطاب فى المواضع الأربعة  
 للبالغة فى حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقيين على الاهتمام بالتوصية فإن المحاض النصيح أدخل فى  
 \* القبول واهتمام الإنسان بشأن نفسه أكثر وأوفر (وان تفلحوا إذا) أي إن دخلتم فيها ولو بالكره والإلجاء  
 ٢١ لن تفوزوا بخير (أبدأ) لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وفيه من التشديد فى التحذير ما لا يخفى (وكذلك) أي  
 \* وكما أنتمام وبعثناهم لما سر من ازديادهم فى مراتب اليقين (أعثرنا) أي أطلعنا الناس (عليهم ليعلموا)  
 \* أي الذين أعثرناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة (أن وعد الله) أي وعده بالبعث أو موعوده  
 الذى هو البعث أو أن كل وعده أو كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث أو البعث الموعود دخولا  
 \* أولياً (حق) صادق لا خلف فيه أو ثابت لا مرد له لأن نومههم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث (وأن  
 \* الساعة) أي القيامة التى هى عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء (لا ريب فيها) لا شك  
 فى قيامها فإن من شاهد أنه جل وعلا توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنة وأكثر حافظاً أبدانها من التحلل  
 والتفتت ثم أرسلها إليها لا يبق له شائبة شك فى أن وعده تعالى حق وأنه يبعث من فى القبور فيرد إليهم

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

١٨ الكهف

- \* أرواحهم في جاسدهم ويجزهم بحسب أعمالهم (إذ يتنازعون) ظرف لقوله أعثرنا قدم عليه للغاية لإظهار أكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلوها كما قيل لدلالته على أن التنازع يحدث بعد الإعتار وليس كذلك أى أعثرناهم عليهم حين يتنازعون (بينهم أمرهم) ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه أمر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول ببعث الأرواح دون الأجساد وآخر يقول ببعثهما معاً قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلاً صالحاً مؤمناً وقد اختلف أهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يظهر الحق فألقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذة حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجري بينهم من النقاول ماجرى روى أن المبعوث لما دخل المدينة أخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فأنهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم إن آباءنا أخبرونا بأن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك وأهل المدينة من مسلم وكافر وأبصروهم وكلوهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الإنس والجن ثم رجعوا إلى مضاجعهم فاتوا فألقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتاً من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً وقيل لما انتهوا إلى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أولاً لثلاثا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجداً وقيل المتنازع فيه أمر الفتية قبل بعثهم أى أعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الأحوال والأحوال ويتلقون ذلك من الأساطير وأفواه الرجال وعلى التقديرين قالفاء في قوله عز وجل (فقالوا) فصيحة
- \* أى أعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فاتوا فقالوا أى قال بعضهم (ابنوا عليهم) أى على باب كهفهم (بنيناً) لثلاثا يتطرق إليهم الناس ضناً بترتيبهم ومحافضة عليها وقوله تعالى (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اعتدائهم إلى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضاً للأمر إلى علام الغيوب أو من كلام الله تعالى رداً لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين وقيل هو أمرهم وتدبيرهم عند وفاتهم أو شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في أنهم ماتوا أو نأوا كما في أول مرة فإذا حينئذ متعلق بقوله تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلمون (لنتخذن عليهم مسجداً) وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وإشارة صيغة الماضي للدلالة على أن هذا القول ليس بما يستمر ويتجدد كالمتنازع وقيل متعلق بذكر مضمراً وأما تعلقه بأعثرنا فيأباه أن إعتارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتداً يقع في بعضه الإعتار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع أنه لا يخصص لإضافته إلى التنازع وهو مؤخر في الوقوع (سيقولون) ٢٢

الضمير في الأفعال الثلاثة للخائفين في قصتهم في عهد النبي ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه إسناد كل منها إلى كلهم بل إلى بعضهم (ثلاثة رابعهم كلهم) أي هم ثلاثة أشخاص رابعهم أي جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم كلهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبياً وقرىه ثلاثة بادغام الراء في التاء (ويقولون خمسة سادسهم كلهم) قيل قالته النصارى أو العاقب منهم وكان نسطورياً (رجماً بالغيب) رمياً بالخبر الخفى الذى لا مطلع عليه أو ظناً بالغيب من قولهم رجم بالظن إذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعاً أي راجحين أو على المصدرية منهما فإن الرجم والقول واحد أو من محذوف مستأنف واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معاً أي يرمجون رجماً وعدم إيراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك (ويقولون سبعة وثامنهم كلهم) هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقى من هذا الوحي وما فيه مما يرشدكم إلى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيهما لا بوحى آخر كما قيل (قل) تحقيقاً للحق ورداً على الأولين (ربى أعلم) أي أقوى علماً (بعدهم) بعدد (ما يعلمهم) أي ما يعلم عدتهم أو ما يعلمهم فضلاً عن العلم بعدهم (إلا قليل) من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضى الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضى الله عنه أنا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفى عليه ولما احتاج إلى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون أسوة له في العلم بذلك وعن على كرم الله وجهه أنهم سبعة نفر أسماؤهم بليخا ومكشليينا ومشليينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفيشيطيوش (فلا تمار) الفاء لتفريع النهى على ما قبله أي إذ قد عرفت جهل أصحاب القولين الأولين فلا تجادلهم (فيهم) في شأن الفتية (إلا مرأ ظاهراً) قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الإجمالى وتفويض العلم إلى الله سبحانه من غير تصريح بجعلهم وتفضيخ لهم فإنه مما يخل بمكارم الأخلاق (ولا تستفت فيهم) في شأنهم (منهم) من الخائفين (أحداً) فإن فيما قص عليك لمدوحة عن ذلك مع أنه لا علم لهم بذلك وقال عطاء إلا قليل من أهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الأفعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لإرشاد المؤمنين إلى صحة القول الثالث وفيه محيص عما في الأول من التكلف في جعل أحد الأقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ناشئاً عن الحكاية مع كون الأخيرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في لآ تمار والمعنى حينئذ وإذا قد وقفت على أن كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا تجادلهم إلا جداولاً ظاهراً نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فإن فيهم مصيباً وإن قل والنهى عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه أو احتمال وقوعه بناء على إصابة بعضهم فالمنع لا تراجم إليهم في شأن الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقى من الوحي (ولا تقولن لشيء) أي لا جل شيء تعزم عليه (إني فاعل

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْخُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا

رَشْدًا ﴿٢٤﴾

١٨ الكهف

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾

١٨ الكهف

- ذلك الشيء (غداً) أى فيما يستقبل من الزمان مطلقاً فدخل فيه الغد دخولا أولاً فإنه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه عليه السلام فقال انونى غداً أخبركم ولم يستثن فابطاً عليه الوحى حتى شق عليه وكذبت قريش وما قيل من أن المدلول بالعبارة هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرد أن ما بعده ليس بمعناه فى مناط النهى فإن وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل (إلا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من النهى أى لا تقولن ذلك فى حال من الأحوال إلا حال ملا بستة ٢٤ بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال إن شاء الله أو فى وقت من الأوقات إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله لا مطلقاً بل بمشيئته إذن فإن النسيان أيضاً بمشيئته تعالى ولا مساع لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهى وقيل الاستثناء جار مجرى التأييد كأنه قيل لا تقولنه أبداً كقوله تعالى وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله (واذكر ربك) بقولك إن شاء الله مدارك له (إذا نسيت) إذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة مالم يحس ذلك يجوز تأخير الاستثناء وطامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر إقرار ولا طلاق ولا اعتناق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا فى تدارك التبرك والتخلص عن الإثم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون إلا متصلاً ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليعتلك ذلك على التدارك أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليدركك المنسى وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها (وقل عسى أن يهدينى ربى) أى يوفقنى (لأقرب من هذا) أى لشيء أقرب وأظهر من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتى (رشداً) أى إرشاداً للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حيث آتاه من البينات ما هو أعظم من ذلك وأبين كقصص الأنبياء المتباعد أيامهم والحوادث النازلة فى الأعصار المستقبل إلى قيام الساعة أو لأقرب رشداً وأدنى خبراً من المنسى (ولبثوا فى كهفهم) أحياء مضروباً على آذانهم (ثلثمائة ٢٥ سنين وازدادوا تسعاً) وهى جملة مستأنفة مبينة لما أجمل فيها سلف وأشير إلى عزة مناله وقيل إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروى عن على رضى الله عنه أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والنفاوت بينهما فى كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرىء على الإضافة وضماً للجمع موضع المفرد وما يحسنه ههنا أن علامة الجمع فيه جبر

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ  
وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾

١٨ الكهف

وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٩﴾ ١٨ الكهف  
وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ  
تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ  
فُرُطًا ﴿٢٠﴾

١٨ الكهف

٢٦ لما حذف في الواحد وأن الأصل في العدد إضافته إلى الجمع (قل الله أعلم بما لبثوا) أي بالزمان الذي لبثوا فيه  
\* (له غيب السموات والأرض) أي ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلها واللام للاختصاص العلمي  
\* دون التكويني فإنه غير مختص بالغيب (أبصر به وأسمع) دل بصيغة التعجب على أن شأنه عليه سبحانه  
بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه إدراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت  
بالنسبة إليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والحقى والجللى والهائى ضمير الجلالة وحمله الرفع على  
الفاعلية والباء مزيدة عند سيدييه وكان أصله أبصر أى صار ذا بصير ثم نقل إلى صيغة الأمر للإنشاء فبرز  
الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل  
ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية ومعنية إن كانت للصيرورة ولعل تقديم  
أمر إبطاره تعالى لما أن الذى نحن بصدد من قبيل المبصرات (ما لهم) لأهل السموات والأرض (من  
\* دونه) تعالى (من ولى) يتولى أمورهم وينصرهم استقلالاً (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه أو فى علم  
\* الغيب (أحداً) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى أبلغ فى نفي الشريك من أن يقال من ولى ولا شريك  
وقرىء على صيغة نهى الحاضر على أن الخطاب لكل أحد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة أصحاب  
الكهف من حيث إنها بالنسبة إلى النبي ﷺ من المغيبات على أنه وحى معجز أمره ﷺ بالمداومة على  
٢٧ دراسته فقال (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله  
(لا مبدل لكلماته) لا قادر على تبدله وتغييره غيره (ولن تجد) أبدا الدهر وإن بالغت فى الطلب (من دونه  
٢٨ ملتحداً) ملجأ تعدل إليه عند إمام ملية (واصبر نفسك) احبسها وثبتها مصاحبة (مع الذين يدعون ربهم  
بالغداة والعشي) أى دائمين على الدعاء فى جميع الأوقات وقيل فى طرفى النهار وقرىء بالغدوة على أن  
إدخال اللام عليها هى علم فى الاغلب على تأويل التنكير بهم والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب  
وعمار وخباب ونحوهم رضى الله عنهم وقيل أصحاب الصفة وكانوا نحو سبعةائة رجل قيل إنه قال قوم من  
رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ نخ هؤلاء الموالى الذين كان ريجهم ريج الضأن حتى نجاسك كما قال قوم  
نوح عليه السلام أتؤمنن لك واتبعك الأزدلون فزلى والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الأمر بما فى حيز

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ  
بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ  
مُرْتَقَفًا ﴿٢٩﴾

١٨ الكهف

- \* الصلة من الخصلة الداعية إلى إدامة الصحبة ( يريدون ) بدعاتهم ذلك ( وجهه ) حال من المستكن في
- \* يدعون أى مرادين لرضاه تعالى وطاعته ( ولا تعد عينك عنهم ) أى لا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم من عداة
- \* أى جاوزه واستعماله بعن لتضمنينه معنى النبو أو لا تصرف عينك النظر عنهم إلى غيرهم من عدوته عن
- \* الأمر أى صرفته عنه على أن المفعول محذوف لظهوره وقرى ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الإعداء
- \* والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الإزدراء بهم لثلاثة زيمهم طموحاً إلى زى الأغنياء ( تريد زينة الحياة الدنيا )
- \* أى تطلب مجالسة الأشراف والأغنياء وأصحاب الدنيا وهى حال من الكاف على الوجه الأول من القراءة
- \* المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثانى منها وضمير تريد للعنيين وإسناد الإرادة إليه مجاز وتوحيداً للتلازم
- \* كما فى قوله [ لمن زحلوقة زل \* بها العينان تنهل ] ومن المستكن فى الفعل على القراءة الثانية ( ولا تطع )
- \* فى تنحية الفقراء عن مجالسك ( من أغفلنا قلبه ) أى جعلناه غافلاً لبطان استعداده للذكر بالمرّة أو وجدناه
- \* غافلاً كقولك أجبنته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو هو من أغفل إبله أى لم نسمه بالذكر ( عن ذكرنا )
- \* كأولئك الذين يدعونك إلى طرد الفقراء عن مجالسك فإنهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون
- \* من الدعاء فى مجامع الأوقات وفيه تنبيه على أن الباعث له على ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه
- \* وجهته وانهماكه فى الحسيات حتى خفى عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرى أغفلنا قلبه
- \* على إسناد الفعل إلى القلب أى حسبنا غافلين عن ذكرنا إياه بالماؤ اخذة من أغفلته إذا وجدته غافلاً ( واتبع
- \* هواه وكان أمره فرطاً ) ضياعاً وهلاكاً أو متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره من قوه لم فرس فرط
- \* أى متقدم للخيل أو هو بمعنى الإفراط والتفريط فإن الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدى إلى اتباع الهوى
- \* المؤدى إلى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للإيذان بعلمية ما فى حيز الصلة
- \* لله من الإطاعة ( وقال ) لا أولئك الغافلين المتبعين هواهم ( الحق من ربكم ) أى ما أوحى إلى الحق لا غير
- \* ٢٩ كأننا من ربكم أو الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهة حتى يتصور فيه التبدل أو يمكن التردد فى اتباعه
- \* وقوله تعالى ( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ) إمام من تمام القول المأثور به والفاء لترتيب ما بعدها على
- \* ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما فى قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وقوله
- \* تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أى عقيب تحقق أن ما أوحى إلى حق لا ريب فيه وأن ذلك
- \* الحق من جهة ربكم فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن
- \* شاء أن يكفر به فليفعل وفيه من التهديد وإظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبإيمانهم وجوداً
- \* وعدمألاً يخفى وإما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الأمر لا على مضمون

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾  
 أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا  
 خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحُسْنَتِ  
 مَرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

١٨ الكهف

- المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء أن يؤمن به أو أن يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء أن  
 \* يكفر به أو يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى (إنا أعتدنا) وعيد شديد وتأكيده للهديد وتعليل لما يفيد  
 من الزجر عن الكفر أو لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه  
 فإن إعداد جزائه من دواعي الإملاء والإمهال وعلى الوجه الأول هو تعليل الأمر بما ذكر من التخيير  
 \* التهديد أى قل لهم ذلك إنا أعتدنا (للاظالمين) أى هيا ناللكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير  
 \* عنهم بالظالمين للتنبيه على أن مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع الشيء في غير موضعه (ناراً)  
 \* عظيمة عجيبة (أحاط بهم) أى يحيط بهم وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق (سرادقها) أى فسطاطها  
 شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجر التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها  
 \* وقيل حائط من نار (وإن يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) كالهديد المذاب وقيل كدردى  
 \* الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم (يشوى الوجوه) إذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته  
 \* عن النبي ﷺ هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار  
 \* (مرتفقاً) متكاً وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وأنى ذلك فى النار وإنما هو بمقابلة قوله تعالى  
 ٣٠ حسنت مرتفقاً (إن الذين آمنوا) فى محل التعليل للحث على الإيمان المنفهم من التخيير كأنه قيل والذين  
 آمنوا لعل تغيير سبكه للإبذان بكال تنافى مالى الفريقين أى إن الذين آمنوا بالحق الذى أوحى إليك  
 \* (وعملوا الصالحات) حسناً بين فى تضاعيفه (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً) خبر إن الأولى هى  
 الثانية مع ما فى حيزها والراجع محذوف أى من أحسن منهم عملاً أو مستغنى عنه كما فى قولك نعم الرجل  
 ٣١ زيد أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن عملاً فى الحقيقة هو الذى آمن وعمل الصالحات (أولئك)  
 المنعوتون بالنعوت الجميلة (لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار) استئناف لبيان الأجر أو هو  
 الخبر وما بينهما اعتراض أو هو خبر بعد خبر (يجلون فيها من أساور من ذهب) من الأولى ابتدائية والثانية  
 بيانية صفة لأساور والتنكير للتفخيم وهو جمع أسورة أو أسور جمع سوار (ويلبسون ثياباً خضراً)  
 خصت الخضرة بثيابهم لأنها أحسن الألوان وأكثرها طراوة (من سندس وإستبرق) أى عمارق من  
 \* الدباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما نشتهى الأنفس وتلذذ الأعين (متكئين فيها على  
 \* الأرائك) على السرر على ما هو شأن المتنعمين (نعم الثواب) ذلك (وحسنت) أى الأرائك (مرتفقاً)



وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَخَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾

١٨ الكهف

كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلَمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾

١٨ الكهف

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

١٨ الكهف

- أى متكاً (واضرب لهم) أى للفريقين الكافر والمؤمن (مثلا رجلين) مفعولان لا ضرب أولهما ثانيهما ٣٢
- لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان أى اضرب للكافرين والمؤمنين لأن حيث أحوالهما المستفادة مما ذكر آنفاً من أن الأولين فى الآخرة كذا والآخرين كذا بل من حيث عصيان الأولين مع تقابلهم فى نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلاً حال رجلين مقدرين أو محققين هما أخوان من بنى إسرائيل أو شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعاً وعقاراً وصرف المؤمن نصيبه إلى وجوه المبار قال أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى وقيل هما أخوان من بنى مخزوم كافر هو الأسود بن عبد الأسد ومسلم هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد زوج أم سلمة رضى الله عنها أولاً (جعلنا لأحدهما) وهو الكافر (جنتين) بستانين (من أعناب) من كروم متنوعة والجملة بتأنيدها بيان للتمثيل أو صفة لرجلين (وخففناهما بنخل) أى جعلنا النخل محيطة بهما مؤزراً بها كروهما يقال حففه القوم إذا طافوا به وخففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعول آخر كقولك غشيت به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعاً) ليكون كل منهما جامعاً للأفوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الأنيق (كنا الجننتين آتت أكلها) ثمرها وبلغت مبلغاً صالحاً للأكل وقرىء بسكون ٣٣ الكاف وقرىء كل الجننتين آتت أكله (ولم تظلم منه) لم تنقص من أكلها (شيئاً) كما يعمد ذلك فى سائر البساتين فإن الثمار غالباً تكثر فى عام وتقل فى آخر وكذا بعض الأشجار يأتى بالثمر فى بعض الأعوام دون بعض (ولجئنا خلاهما) فيما بين كل من الجننتين (نهرأ) على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهما وقرىء بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إنباء الأكل مع أن الترتيب الحار جى على العكس للإيدان باستقلال كل من إنباء الأكل وتفجير النهر فى تكميل محاسن الجننتين كما فى قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فإن إنباء الأكل متفرع على السقى عادة وفيه إنباء إلى أن إنباء الأكل لا يتوقف على السقى كقوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار (وكان له) ٣٤ لصاحب الجننتين (ثمر) أنواع من المال غير الجننتين من ثمر ماله إذا كثره قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة (فقال لصاحبه) المؤمن (وهو) أى القائل (يحاوره) أى صاحبه المؤمن وإن جاز العكس أى يراجعه فى الكلام من حار إذا رجع (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) حشماً وأعاوناً أو أولاداً ذكوراً لأنهم الذين ينفرون معه

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۚ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ ۖ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ١٨ الكهف

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ١٨ الكهف

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ۚ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ

رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ١٨ الكهف

لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ١٨ الكهف

- ٣٥ ( ودخل جنته ) التي شرحت أحوالها وعددها وصفاتها وهياتها وتوحيدها إما لعدم تعلق الغرض بتعدادها وإما لاتصال إحداها بالآخرى وإما لأن الدخول يكون في واحدة فواحدة ( وهو ظالم لنفسه ) ضار لها بعجبه وكفره ( قال ) استئناف مبنى على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال إذ ذاك فقيل قال ( ما أظن أن تبديد هذه ) الجنة أى تفتى ( أبداً ) لطول أمله وتتمادى غفلته واغتراره بميلته ولعله إنما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيهِ عن الاغترار به ما أمره
- ٣٦ بتحصيل الباقيات الصالحات ( وما أظن الساعة قائمة ) كأنه فيما سيأتى ( ولئن رددت ) بالبعث عند قيامها كما تقول ( إلى ربى لأجدن ) يومئذ ( خيراً منها ) أى من هذه الجنة وقرىء منها أى من الجنة ( منقلباً ) مرجعاً وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاد أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه فى الدنيا لاستحقاقه
- ٣٧ الذاتى وكرامته عليه سبحانه ولم يدرك أن ذلك استدراج ( قال له صاحبه ) استئناف كما سبق ( وهو يحاوره ) جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من أول الأمر على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاوره ( أكفرت ) حيث قلت ما أظن الساعة قائمة ( بالذى خلقك ) أى فى ضمن خلق أصلك ( من تراب ) فإن خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلق منه لما أن خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منظوياً على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجمالاً مستتبعا لجرى أن أثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقاً للكل منه وقيل خلقك منه لأنه أصل مادتك إذ به يحصل الغذاء الذى منه تحصل النطفة فتدبر ( من نطفة ) هى مادتك القريبة فالخلق واحد والمبدأ متعدد ( ثم سواك رجلاً ) أى عدلك وملكك إنساناً ذكراً أو صيرك رجلاً والتعبير عنه تعالى بالموصول للإشعار بعملية ما فى حيز الصلة لإنكار الكفر والتلويع بدليل البعث الذى نطق به قوله عز من قائل بأبها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإيا خلقناكم من تراب الخ ( لكننا هو الله ربى ) أصله لكن إنا وقد قرىء كذلك لخدفت الهمة فتلاقت النونان فكان الإدغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربى وتلك الجملة خبر إنا والعائد منها إليه الضمير وقرىء بإثبات ألف إنا فى الوصل والوقف جميعاً وفى الوقف خاصة وقرىء لكنه بالهاء ولكن بطرح إنا ولكن إنا لا إله إلا هو ربى ومدار الاستدراك قوله تعالى أكفرت كأنه قال أنت كافر الكنى مؤمن موحد ( ولا أشرك بربى أحداً ) فيه إيدان بأن كفره كان

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرْنًا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ١٨ الكهف

فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ١٨ الكهف

أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ١٨ الكهف

وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ ۖ فَاصْبَحْ يَقْلَبُ كَفْيَهُ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي

لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ١٨ الكهف

- بطريق الإشراف (ولولا إذ دخلت جنتك قلت) أي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض ٣٩ عليه للإبذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للفصر (ما شاء الله) أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كأن على أن مامر صولة مرفوعة المحل أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تخضيبه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها (لا قوة إلا بالله) أي هلا قلت ذلك اعترافاً بعجزك وبأن ما يتسرك من عمارتها وتدبير أسرارها إنما هو بمعونة تعالى وإقداره عن النبي ﷺ من رأى شيئاً فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره (إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً) أنا إما مؤكد ليا المتكلم أو ضمير فصل بين مفعول الرؤية إن جعلت عليه وأقل ثانيهما وحال إن جعلت بصرية فيكون أنا حينئذ تأكيداً لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ أقل بالرفع خبراً لأننا والجملة مفعول ثانٍ للرؤية أو حال وفي قوله تعالى وولد أنصرة لمن فسر النفر بالولد (فعسى ربِّي أن يؤتيني خيراً من جنتك) هو جواب الشرط ٤٠ والمعنى إن ترن أفقر منك فأننا توقع من صنع الله سبحانه أن يقلب ما بين وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني الجنة خيراً من جنتك ويسلبك لكفرتك نعمته ويخرب جنتك (ويرسل عليها حُسباناً) هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران أي مقداراً قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حُسبان وهو حساب ما كسبت يده وقيل مراعى جمع حُسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيها سيأتي للأولين أكثر (من السماء فتصبح صعيداً زلقاً) مصدر أريد به المفعول مبالغة أي أرضاً ملساء يزلق عليها الاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات (أو يصبح) عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل (ماؤها غوراً) أي غائراً في الأرض أطلق عليه المصدر مبالغة (فلن تستطيع طلباً) أي للباء الغائر (طلباً) فضلاً عن وجدانه ورده (وأحيط بشمره) أهلك أمواله المعهودة من جنته وما فيها ٤٢ وأصله من إحاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور وأهلك أمواله وإنما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كافي المعطوف عليه بالفاء الفصيحة (فأصبح يقلب كفيه) ظهراً لبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية ولأن ما أنفق في عمارتها كان

١٨ الكهف

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾

١٨ الكهف

هَذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ

١٨ الكهف

هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

ما يمكن صيانته عن طوارق الحدثنان وقد صرفه إلى مصالحها رجاء أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى أنه لا تنالها أيدي الردى ولذلك قال ما أظن أن تبديد هذه أبدا فلما ظهر له أنها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من إنفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال (وهي) \*  
 \* أى الجنة من الأعتاب المحفوفة بنخل (خاوية) سافطة (على عروشها) أى دعايمها المصنوعة للكرور لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع إما لأنها العمدة وهما من متمناها وإلا لأن ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لأنها حيث هلكت وهى مشيدة بعروشها فهاك ما عداها بالطريق الأولى وإلا لأن الإنفاق فى عمارتها أكثر وقيل أرسل الله تعالى عليها نارا فأحرقها وغار ماؤها \* (ويقول) عطف على يقلب أو حال من ضميره أى وهو يقول (يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا) كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتى من قبل شركه فتنبى لولم يكن مشركا فلم يصبه ما أصابه قبل ويحتمل أن يكون ٤٣ ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه (ولم تكن له) وقرئ بالياء النحتانية (فتنة ينصرونه) يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو على رد المهلك أو الإتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما فى قوله عز وجل \* يرونهم مثليهم (من دون الله) فإنه القادر على ذلك وحده (وما كان) فى نفسه (منتصرا) متمنا بقوته ٤٤ عن انتقامه سبحانه (هنالك) فى ذلك المقام وفى تلك الحال (الولاية لله الحق) أى النصرة له وحده لا يقدر عليها أحد فهو تقرير لما قبله أو ينصر فيها أوليائه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى (هو خير ثوابا وخير عقبا) أى لأوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناه الملك والسلطان أى هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه أولا يعبد غيره كقوله تعالى فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله يا ليتنى لم أشرك الخ كان عن اضطراب وجزع عما داهاه على أسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على أنه صفة للولاية وينصبه على أنه مصدره مؤكدا وقرئ \* عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) أى واذكر لهم ما يشبهها فى زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها فلا يطمنئثوا بها ولا يكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرء أو بين لهم صفتها العجيبة التى هى فى الغرابة كالمثل (كأ) استئناف لبيان المثل أى هى كماء (أنزلناه من السماء) ويجوز كونه مفعولا ثانيا لا ضرب على أنه بمعنى صير (فاختلط به) اشتبك بسببه (نبات

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

أَمَلًا ﴿٤٦﴾

١٨ الكهف

- الأرض) قالتف وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثره أو جمع الماء في النبات حتى روى ورف فقضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات الأرض وإيثار ما عليه النظم الكريم عليه للبهاغة في الكثرة فإن كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه (فأصبح) ذلك النبات الملتف إثر بهجتها ورفيقها (هشياً) مهشوماً \* مكسوراً (تذروه الرياح) تفرقه وقرى تذريه من أخزاه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفاً ثم هشياً تطيره الرياح كأن لم يغن بالأمس (وكان الله على كل شيء) من الأشياء التي من جعلتها الإلشام والإفناء (مقتدراً) قادراً على الكمال \* (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) بيان لهدان ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الأخ ٤٦ الكافر أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً اثر بيان شأن نفسها بما سر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه كافي الآية المحكية آنفاً وقوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعرفته فيما نيط به من الزينة والإمداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات فإنه زينة وبمداكل أحد من الآباء والبنين في كل وقت وحين وأما البنون فزيتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى من بلغ مبلغ الابوة ولأن المال مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم ولأنه أقدم منهم في الوجود ولأنه زينة بدونهم من غير عكس فإن من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وإفراد الزينة مع أنها مسندة إلى الاثنين لما أنها مصدر في الأصل أطلق على المفعول مبالغة كأنهما نفس الزينة والمعنى أن ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يترن به في الحياة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من أوصافها التي شأنها أن تزول قبل زوالها (والباقيات الصالحات) \* هي أعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل كل ما أريد به وجهه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا أولاً أما صلاحها فظاهر وأما بقاءها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطامع إليه النفس من حظوظ الدنيا (خير) أي ممانعت شأنه من المال والبنين وإخراج بقاء تلك الأعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع أن حقهما أن يكونا مقصودى الإقادة لاسبابى مقابلة إثبات الفناء لما يقابلهما من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للإبذان بأن بقاءها أمر محقق لا حاجة إلى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وإنما الذى يحتاج إلى التعرض له خيريتها (عند ربك) أي فى الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة إضافة الزينة إلى الحياة الدنيا لا لأفضليتها فيها من المال والبنين مع مشاركة الكل فى الأصل إذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الآخرة (ثواباً) عائدة تعود إلى صاحبها (وخيراً أملاً) حيث ينال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا \* ٢٩ - أبى السعود ٤٥٥

وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ١٨ الكهف  
وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ نَجْعَلَ لَكُمْ

١٨ الكهف

مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾

وأما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله وتكرير خير للإشعار باختلاف حيثى الخيرية  
٤٧ والمبالغة فيها (ويوم نسير الجبال) منصوب بمضمر أى اذكر حين نلقاها من أما كنا ونسيرها فى الجو  
على هياتها كما ينبى عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أو نسير أجزاءها  
بعد أن نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين عما فيه من الدواهى وقيل هو معطوف على ما قبله  
من قوله تعالى عند ربك أى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرىء تسير على صيغة البناء  
للمفعول من التفعيل جرياً على سنن الكبرياء وإيضاحاً بالاستغناء عن الإسناد إلى الفاعل لتبينه وقرىء  
\* تسير (وترى الأرض) أى جميع جوانبها والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية  
\* وقرىء ترى على صيغة البناء للمفعول (بارزة) أما بروز ماتحت الجبال فظاهر وأما ما عدها فكانت الجبال  
تتحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن أضى قاطا صنفصفاً لا ترى فيها ولا أمتاً (وحشرناهم) جمعناهم إلى  
الموقف من كل أوب وإيثار صيغة الماضى بعد تسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذى  
ينسكه المنسكرون وعليه يدور أمر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفياً وموجباً وقيل هو للدلالة  
\* على أن حشرهم قبل التسير والبروز ليعاينوا تلك الأحوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (فلم نغادر)  
\* أى لم نترك (منهم أحداً) يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر الذى هو ترك الوفاء والغدير الذى هو  
ماء يتركه السيل فى الأرض الغائرة وقرىء بالياء وبالفوقانية على إسناد الفعل إلى ضمير الأرض كفاى قوله  
٤٨ تعالى وألقت ما فيها وتخلت (وعرضوا على ربك) شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر  
فيهم بما يأمر وفى الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إلى  
\* ضميره ﷺ من تربية الممابة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به ﷺ مالا يخفى (صفاً) أى غير  
متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعددده وقد ورد فى الحديث الصحيح يجمع الله الأولين  
\* والآخرين فى صعيد واحد صفاً (لقد جئتمونا) على إضمار القول على وجه يكون حالاً من ضمير عرضوا أى  
مقولاً لهم أو قلنا لهم وأما كونه تاملاً فى يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه  
أن هذا القول هو المقصود بالآصال دون سائر القوارع مع أنه خاص بالتعلق بما قبله من العرض والحشد دون  
\* تسير الجبال وبرز الأرض (كما خلقناكم) نعت لمصدر مقدر أى بحيثاً كأننا كجئناكم عند خلقناكم (أول  
مرة) أو حال من ضمير جئتمونا أى كائنين كما خلقناكم أول مرة حفاة عراة غرلاً أو ما معكم شئ مما تفتخرون  
به من الأموال والأنصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم  
\* وراء ظهوركم (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) إضراب وانتقال من كلام إلى كلام كلاهما للتوبيخ

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ لِمَا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَتُولَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ١٨ الكهف  
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ  
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ١٨ الكهف

- والتقريع أى زعمتم فى الدنيا أنه لن نجعل لكم أبداً وقتاً نتجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وأن مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف إما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعداً أو حال من موعد أو هو بمعنى الخلق والإبداع (ووضع الكتاب) عطف على عرضوا داخل تحت الأمور الهائلة التى أريد تكبيرها بتذكير ٤٩ وقتها أورد فيه ما أورد فى أمثاله من صيغة الماضى دلالة على التقرراً أيضاً أى وضع صحائف الأعمال وإثبات الأفراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها إما وضعها فى أيدي أصحابها يميناً وشمالاً وإما فى الميزان (فترى المجرمين) قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا أولياً (مشفقين) خائفين (بما فيه) من الجرائم والذنوب (ويقولون) عند وقوفهم على ما فى تضاعيفه نقيراً وقطميراً (يا ويلتنا) منادين لهلكتهم التى هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لا قوة أى يا ويلتنا احضرى فهذا أو أن حضورك (ما لهذا الكتاب) أى أى شئ له وقوله تعالى (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) أى حواها وضبطها جملة حالية محققة لما فى الجملة الاستفهامية من التعجب أو استنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقليل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (ووجدوا ما عملوا) فى الدنيا من السيئات أو جزاء ما عملوا (حاضراً) مسطوراً عتيداً (ولا يظلم ربك أحداً) فيكتب ما لم يعمل من السيئات أو يزيد فى عقابه المستحق فيكون إظهاراً لمعدلة القلم الأزل (وإذ قلنا للملائكة) أى اذكر وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله ٥٠ (فسجدوا) جميعاً امتثالاً بالأمر (إلا إبليس) فإنه لم يسجد بل أبى واستكبر وقوله تعالى (كان من الجن) كلام مستأنف سبق مساق التعليل لما يفيد استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ما لم يسجد فقليل كان أصله جنياً (ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعته كما ينبى عنه الفاء أو صار قاسقاً كافراً بسبب أمر الله تعالى إذ لولاه لما أبى والتعرض لوصف الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد التنكير على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم وأدوالهم المستنكفين عن الانتظام فى سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنيع إبليس وأنهم فى ذلك تابعون لتسويله كما ينبى عنه قوله تعالى (أفنتخذون) الخ فإن الهمة للإنكار والتعجب والفاء للتعقيب أى أعقبت عليكم بصدور تلك القبايح عنه (تتخذونه) (وذريته) أى أولاده وأتباعه جعلوا ذريته مجازاً قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين (أولياء من دوني) فتستبدلونهم فى قطعهم ونهم

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ

١٨ الكهف

عَصْدًا ﴿٥١﴾

\* بدل طاعني (وم) أى والحال أن إبليس وذريته (لكم عدو) أى أعداء كما فى قوله تعالى فإنهم عدو لى  
 \* لإلرب العالمين وقوله تعالى هم العدو وإنما فعل به ذلك تشبيهاً له بالمصدر نحو القبول والولوع وتقيد الاتخاذ  
 \* بالجملة الحالية لتأكيد الإنكار وتشديده فإن مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعاً (بنس  
 \* للظالمين) أى الواضعين للشيء فى غير موضعه (بدلاً) من الله سبحانه إبليس وذريته وفى الالتفات إلى  
 \* الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الإيذان بكال السخط والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح مالا  
 \* يخفى (ما أشهدتهم) استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور فى أنفسهم بعد بيان العوارف  
 \* عن ذلك من خبائثة المحدث والفسق والعداوة أى ما أحضرت إبليس وذريته (خلق السموات والأرض)  
 \* حيث خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق أنفسهم) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقنلوا  
 \* أنفسكم هذا ما أجمع عليه الجمهور حذاراً من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر افظ الانفس ولك أن  
 \* ترجع الضمير الثانى إلى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على قود المعنى إليه فإن نفي إلهاد الشياطين خلق الذين  
 \* يتولونهم هو الذى يدور عليه إنكار اتخاذهم أولياء بناء على أن أدنى ما يصحح التولى حضور التولى خلق  
 \* المتولى وحيث لا حضور لا مصحح للتولى قطعاً وأما نفي إلهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من  
 \* مدارية الإنكار المذكور فى شيء على أن إلهاد بعضهم خلق بعض إن كان مصححاً لتولى الإلهاد بناء على  
 \* دلالة على كاله باعتبار أن له مدخلا فى خلق المشهود فى الجملة فهو محل بتولى المشهود بناء على قصوره  
 \* عن شهد خلقه فلا يكون نفي الإلهاد المذكور متمحضاً فى نفي الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط  
 \* \* الإنكار المذكور (وما كنت متخذ المضلين) أى متخذهم وإنما وضع موضعه المظهر ذماً لهم وتسجيلاً  
 \* عليهم بالإضلال وتأكيداً لما سبق من إنكار اتخاذهم أولياء (عصداً) أعواناً فى شأن الخلق أو فى شأن  
 \* من شئنى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض أحكام الربوبية وفيه تمكيمهم وإيذان  
 \* بكال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الأمر الجلى الذى لا يكاد يشبهه على البله والصبيان  
 \* فيحتاجون إلى التصريح به وإيثار نفي الإلهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم أعواناً على نفي كونهم كذلك  
 \* للإشعار بأنهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وإرادته فيهم وأنهم بمعزل من استحقاق  
 \* الشهود والمعونة من تلقاء أنفسهم من غير إحضار واتخاذ وإنما قصارى ما يتوهم فى شأنهم أن يبلغوا ذلك  
 \* المبلغ بأمر الله عز وجل ولم يكذب ذلك يكون وقيل الضمير للشركين والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك وما  
 \* أطلعهم على أسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا  
 \* بإيمانهم كما يزعمون فلا يلتفت إلى قولهم طمعاً فى نصرتهم للدين فإنه لا ينبغي لى أن اعتضد بالمضلين  
 \* وبعضه القراءة بفتح التاء خطاً بالرسول الله ﷺ والمعنى ماصح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالإضلال



وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ١٨ الكهف

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ١٨ الكهف

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ١٨ الكهف

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ١٨ الكهف

- لتعليل نفى الاتخاذ وقرىء متخذاً المضلين على الأصل وقرىء عضداً بضم العين وسكون الضاد وافتتح وسكون بالتخفيف وبضميتين بالإتباع وافتحتين على أنه جمع حاضد كمرصد وراصد (ويوم يقول) أى ٥٢  
الله عز وجل للكافرين توبيخاً وتعجيزاً وقرىء بنون العظمة (نادوا شركائى الذين زعمتم) أنهم شفعاؤكم  
ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل لإبليس وذريته (فدعوم) أى نادوهم للإغاثة وفيه  
بيان لكمال اعتنائهم بإحسانهم على طريقة الشفاعة إذ معلوم أن لا طريق إلى المدافعة (فلم يستجيبوا لهم)  
فلم يغيثوهم إذ لا إمكان لذلك وفى إبراده مع ظهوره تهكم بهم وإبذان بأنهم فى الحفاقة بحيث لا يفهمونه  
إلا بالتصریح به (وجعلنا بينهم) بين الداعين والمدعوين (موبقاً) اسم مكان أو مصدر من وبق وبوقاً  
كوثب وثوباً أو وبق وبقاً كفرح فرحاً إذا هلك أى مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هى فى  
الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً وقيل البين الوصل أى  
وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكاً فى الآخرة ويجوز أن يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزير وأعصى عليهم  
السلام ومريم والمبوبى العريخ البعيد أى جعلنا بينهم أمداً بعيداً يهلك فيه الاشواط لفى بعده لأنهم  
فى قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار) وضع المظهر مقام المضمهر تصریحاً بإجرامهم ٥٣  
وذماً لهم بذلك (فظنوا) أى فآيقنوا (أنهم موافعوها) مخالطوها واقعون فيها أو ظنوا إذ رأوها من  
مكان بعيد أنهم موافعوها الساعة (ولم يجدوا عنها مصرفاً) انصرفوا أو معدلاً ينصرفون إليه (ولقد صرفنا) ٥٤  
أى كررنا وأوردنا على وجوه كثيرة من النظم (فى هذا القرآن للناس) لمصلحتهم ومنفعتهم (من كل مثل)  
من جملة ما مر من مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا أو من كل نوع من أنواع المعانى البديعة الداعية إلى  
الإيمان التى هى فى الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا (وكان الإنسان)  
بحسب جبلته (أكثر شئ جدلاً) أى أكثر الأشياء التى يتأتى منها الجدل وهو هنا شدة الخصومة بالباطل  
والمهارة من الجدل الذى هو القتل والمجادلة الملاوأة لأن كلا من المجادلين يلتوى على صاحبه وانتصابه  
على التمييز والمعنى أن جدله أكثر من جدل كل مجادل (وما منع الناس) أى أهل مكة الذين حكيت أباطيلهم ٥٥  
(أن يؤمنوا) من أن يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الإشراك (إذ جاءهم الهدى) أى القرآن العظيم  
الهادى إلى الإيمان بما فيه من فنون المعانى الموجهة له (ويستغفروا ربهم) عما فرط منهم من أنواع الذنوب

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجْعَلُ اللَّهُ لِكُلِّ فِرْقَةٍ كُفْرًا كَافٍ ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾  
 ١٨ الكهف

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً  
 أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ١٨ الكهف

- \* التي من جعلها مجادلهم للحق بالباطل (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) أي إلا طلب إتيان سنتهم أو إلا انتظار
- \* إتيانها أو إلا تقديره لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وسنتهم الاستئصال (أو يأتيهم العذاب)
- \* أي عذاب الآخرة (قبلا) أي أنواعا جمع قبيل أو هيئنا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ
- \* بفتحها أي مستقبلا يقال لقبيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالالية من الضمير أو العذاب والمعنى إن
- \* ما تضمنه القرآن الكريم من الأمور المستوجبة للإيمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع
- \* ٥٦ الناس من الإيمان وإن كانوا يجوبون على الجدل المفرط (وما نرسل المرسلين) إلى الأمم ملتبسين بحال
- \* من الأحوال (إلا) حال كونهم (مبشرين) للبؤمنين بالثواب (ومنذرين) للكفرة والعصاة بالعقاب
- \* (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف
- \* ونحوها تعنتا (ليدحضوا به) أي بالجدال (الحق) أي يزيلوه عن مركزه ويبطلوه من إدحاض القدم
- \* وهو إزلاقها وهو قولهم للرسول عليهم الصلاة والسلام ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لآنزل ملائكة
- \* ونحوهما (واتخذوا آياتي) التي تخبر لها صم الجبال (وما أنذروا) أي أنذروه من القوارع الناعية عليهم
- \* ٥٧ العقاب والعذاب أو إنذارهم (هزوا) استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به (ومن أظلم ممن ذكر
- \* بآيات ربه) وهو القرآن العظيم (فأعرض عنها) ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وإن كان مدلوله
- \* الوضعي نفي الظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم إلا أن مفهومه العرفي أنه أظلم من كل ظالم
- \* وبناء الظلمية على ما في حيز الصلة من الإعراض عن القرآن للإشعار بأن ظلم من يجادل فيه ويتخذ هزوا
- \* خارج عن الحد (ونسي ما قدمت يداؤه) أي عمله من الكفر والمعاصي التي من جعلها مذكرا من المجادلة
- \* بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها (إننا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغشية كثيرة جمع كنان
- \* وهو تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم (أن يفقهوه) مفعول لما دل عليه الكلام أي
- \* منعناهم أن يفقهوا على كنهه أو مفعول له أي كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم) أي جعلنا فيها (وقرأ) ثقلا
- \* يمنعهم من استماعه (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) أي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف
- \* وإذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي ﷺ المدلول عليه بكال عنايته بإسلامهم كأنه قال ﷺ مالي
- \* لأدعهم فقل إن تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع إلى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه
- \* أن أفرادها في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه .

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ  
يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا ﴿٥٨﴾

١٨ الكهف

وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾

١٨ الكهف

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أَرِحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾

١٨ الكهف

- (وربك) مبتدأ وقوله تعالى (الغفور) خبره وقوله تعالى (ذو الرحمة) أى الموصوف بها خبر بعد خبر ٥٨ وإيراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولأن المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب وأما الرحمة فهى فعل وإيجاد ولا يدخل تحت الوجود إلا ما يتناهى وتقديم الوصف الأول لأن التخلية قبل التحلية أولاً لأنه أهم بحسب الحال إذا المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل (لو يؤاخذهم) أى لو يريد مؤاخذتهم (بما كسبوا) من المعاصى التى من جملتها ما حكى عنهم من مجادلتهن بالباطل وإعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات (لعجل لهم العذاب) لاستيجاب أعمالهم لذلك وإيثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الأخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للإيذان بأن النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبنى عنه تأليها وإيثار صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على المضى لإفادة انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم إرادة المؤاخذة فإن المضارع الواقع موقع الماضى يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق فى موضعه (بل لهم موعد) اسم زمان هو يوم بدر أو يوم القيامة والجملة معطوفة على مقدر كأنه قيل لكنهم ليسوا بمؤاخذين بغتة (إن يجدوا) البتة (من دونه موعداً) منجى أو ملجأ يقال وأل أى نجا وأل إليه أى لجأ إليه (وتلك القرى) أى قرى عاد وثمود وأضرابها وهى مبتدأ ٥٩ على تقدير المضاف أى وأهل تلك القرى خبره قوله تعالى (أهلكناهم) أو مفعول مضمّر مفسر به (لما ظلموا) أى وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكى عنهم من القبائح وترك المفعول إما لتعميم الظلم أو لتنزيله منزلة اللازم أى لما فعلوا الظلم ولما إما حرف كما قال ابن عصفور وإما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقوع المعين الذى عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم إلى آخره (وجعلنا لمهلكهم موعداً) أى وقتاً معيناً لا محيد لهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرىء بضم الميم وفتح اللام أى إهلاكهم وبفتحها (وإذ قال موسى) نصب بإضمار فعل أى اذ كروقت قوله عليه السلام (افتاه) وهو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف عليه السلام سمى فتاه إذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ قى وإن كان شيخاً ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان أن لكل أمة موعداً تذكير مافى القصة من موعد الملاقاة مع مافىها من سائر المنافع الجليلة (لا أبرح) من برج الناقص كزال يزال أى لا أزال أسير لحذف الخبر اعتماداً على

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ١٨ الكهف

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ آتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ١٨ الكهف

- \* قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله (حق أبلغ) فإن ذلك غاية استدعى ذا غاية يؤدي إليها ويجوز أن يكون أصل الكلام لا يبرح مسيرى حاصل حتى أبلغ فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة إلى التكلم ويجوز أن يكون من برح التام كزال يزول أي لا أفارق ما أنا بصددده حتى أبلغ (بجمع البحرين) هو ملتي بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل أفريقية وقرى بكسر الميم كشرق (أو أمضى حقبا) أسير زمانا طويلا أتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر أو ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة أن موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله عز وجل أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديمة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من أعلم الناس قال أنا فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه عز وجل فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وقيل إن موسى عليه السلام سأل ربه أي عبادك أحب إليك الذي يذكرني ولا ينساني قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذى يتتقى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم منى فدلى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتاً في مكتل لحبما فقدته فهو هناك فأخذ حوتاً فجعله في مكتل فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا بمشيان (فلما بلغا) الفاء فصيحة كما أشير إليه (بجمع بينهما) أي مجمع البحرين وبينها ظرف أضيف إليه اتساعا أو بمعنى الوصل (نسيا حوتهما) الذى جعل فقدانه أماراة وجدان المطلوب أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه وقيل نسي بوشع أن يقدمه وموسى عليه أن يأمره فيه بشيء . روى أنهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتاً إلا حي وضماره وسهما على الصخرة فنا ما فلما أصاب الحوت برد الماء وروحها عاش وقد كانا أكلامه وكان ذلك بعد ما استيقظ بوشع عليه السلام وقيل توضحا عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء (فاتخذ سبيله في البحر سربا) مسلكا كالسرب وهو النفق قيل أمسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطلق عليه معجزة لموسى أو للخضر عليها السلام وانتصاب سربا على أنه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز أن يتعلق باتخذ (فلما جاوزا) أي مجمع البحرين الذى جعل موعدا للبلاقاء قيل أدلجا وسارا الليلة والغد إلى الظهر وأتى على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك (قال لفتاه آتنا غداءنا) أي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبى عنه الجواب (لقد لقينا من

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ  
وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾

١٨ الكهف

١٨ الكهف

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾

- سفرنا هذا) إشارة إلى ما سارا بعد مجاوزة الموعد (نصباً) تعباً وإحياء قيل لم ينصب ولم يجمع قبل ذلك \*  
والجمله في محل التعليل للأمر بإيتاء الغداء إما باعتبار أن النصب إنما يعترى بسبب الضعف الناشئ عن  
الجرع وإما باعتبار ما في أثناء التذوق من استراحة ما (قال) أي فتاه عليه السلام (أرأيت إذ أويننا إلى ٦٣  
الصخرة) أي النجا أنا إليها وأقننا عندها وذكر الإواء إليها مع أن المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين  
لزبادة تعيين محل الحادثة فإن المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة إليه ولتقيد  
العذر فإن الإواء إليها والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة  
الكاملة ومراده بالاستفهام تعجب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من  
العنائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقده علامة لوجدان المطلوب وهذا أسلوب معتاد فيها بين الناس  
يقول أحدهم لصاحبه إذا نابه خطب أرايت ما نأبني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وأنه بما لا يعمد  
وقوعه لاستخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتماداً على ما يدل عليه من قوله عز وجل (فإني \*  
نسيت الحوت) وفيه تأكيد للتعجب وتربية لاستعظام المنسى وإيقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير  
الغداء مع أنه المأمور بإيتائه للتنبيه من أول الأمر على أنه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وأن  
ما شاهده ليس من قبيل الأحوال المتعلقة بالغذاء من حيث هو غذاء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر  
الحيات مع زيادة أي نسيت أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الأمور العجيبة (وما أنسانيه إلا \*  
الشيطان) بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى (أن أذكره) بدل اشتغال من الضمير أي ما أنساني أن  
أذكره لك وفي تعليق الإنشاء بضمير الحوت أولاً وبذكره له ثانياً على طريق الإبدال المنبي عن تنحية  
المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان أيضاً ليس نفس الحوت بل ذكر أمره وقرئ أن أذكره وإيثار أن  
أذكره على المصدر للبالغه فإن مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وإن كانت غريبة لا يعمد نسيانها  
لكنه لما تعود بمشاهدة أمثالها عند موسى عليه السلام وألفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها (واتخذ سبيله \*  
في البحر عجباً) بيان لطرف من أمر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء  
بالاعتذار كأنه قيل حي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلاً عجباً فعجباً ثانياً مفعول اتخذ  
والطرف حال من أولهما أو ثانيهما أو هو المفعول الثاني وعجباً صفة مصدر محذوف أي اتخذ عجباً وهو كون  
مسلكه كالطاق والسرب أو مصدر فعل محذوف أي أتعجب منه عجباً وقد قيل إنه من كلام موسى عليه الصلاة  
والسلام وليس بذلك (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام (ذلك) الذي ذكرت من أمر الحوت (ما كنا ٦٤

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلِيًّا ﴿٦٥﴾ ١٨ الكهف

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ١٨ الكهف

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ١٨ الكهف

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ١٨ الكهف

قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ١٨ الكهف

(نبح) وقرىء بإثبات الياء والضمير العائد إلى الموصول محذوف أصله نبغيه أى نطأ به لكونه أمانة للفوز بالمرام (فارتدا) أى رجعا (على آثارهما) طريقهما الذى جاءا منه (قصصاً) يقصان قصصاً أى يتبعان آثارهما لاتباعاً ومقتضين حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبداً من عبادنا) التنكير للتفخيم والإضافة للشريف والجمهور على أنه الخضر واسمه بلياً بن ملكان وقيل اليسع وقيل إلياس عليهم الصلاة والسلام (آتيناه راحة من عندنا) هى الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء (وعلمناه من لدنا علماً) خاصاً لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب (قال له موسى) استئناف مبنى على سؤال نشأ من السباق كأنه قيل فإذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى (هل أتبعك على أن تعلمن) استثناءً لأنه فى اتباعه له على وجه التعلم (بما علمت رُشداً) أى علماً ذا رشد أرشده به فى ديني والرشد إصابة الخير وقرىء بفتحيتين وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدى إلى مفعول واحد ويجوز كونه دالة لا تبعك أو مصدرأ بإضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبي آخر مالا تعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية ولقد راعى فى سوق الكلام غاية التواضع معه عليها السلام (قال) أى الخضر (إنك لن تستطيع معي صبراً) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه لما لا يصح ولا يستقيم وعلمه بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) إيذاناً بأنه يتولى أموراً خفية المدار منكورة الظواهر والرجل الصالح لاسيما صاحب الشريعة لا يتملك أن يشتمز عند مشاهدتها وفى صحيح البخارى قال الخضر يا موسى إني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمك الله لأعلمه وخبراً تميز أى لم يحط به خبرك (قال) موسى عليه الصلاة والسلام (ستجدني إن شاء الله صابراً) مملك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر (ولا أعصى لك أمراً) عطف على صابراً أى ستجدني صابراً وغير عاص وفي وعده هذا الوجدان من المبالغة ما ليس فى الوعد بنفس الصبر وترك العصيان أو على ستجدني فلا محل له من الإعراب والأول هو الأولى لما عرفته وظهر وتعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على أن أفعال العباد بمشيئة الله سبحانه وتعالى .

قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ١٨ الكهف

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ١٨ الكهف

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ١٨ الكهف

قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ١٨ الكهف

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِبَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ١٨ الكهف

- (قال فإن اتبعتنى) إذن له فى الاتباع بعد اللتيا والى والفاء لتفريع الشرطية على ماسر من التزام موسى ٧٠  
 عليه الصلاة والسلام للصبر والطاعة ( فلا تسألنى عن شىء ) تشاهده من أفعالى أى لا تفتأخنى بالسؤال  
 عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبتدىء بديانه وفيه إيدان  
 بأن كل ماصدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من أدب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرىء  
 فلا تسألنى بالنون المثقلة (فانطلقا) أى موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام على الساحل يطلبان السفينة وأما ٧١  
 يوشع فقد صرفه موسى عليه الصلاة والسلام إلى بنى إسرائيل قيل إنهما مرا بسفينة فكلمها أهلها فعرفوا  
 الخضر لحملوهما بغير نول ( حتى إذا ركبا فى السفينة ) استعمال الركوب فى أمثال هذه المواقف بكلمة فى  
 مع تجريد عنها فى مثل قوله عز وجل لتركبوهن وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما أشرنا إليه فى قوله  
 تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من أن فى ركوبها معنى الدخول (خرقها) قيل خرقتها بعد ما لججوا حيث  
 أخذ فاسا فقلع من ألواحها لوحين مما بلى الماء فعند ذلك (قال) موسى عليه السلام (أخرقتها لتغرق أهلها)  
 من الإغراق وقرىء بالثمدديد من التفريق وليغرق أهلها من الثلاثى (لقد جئت) أتيت وفعلت (شيئا  
 إمرا) أى عظيما هائلا من أمر الأمر إذا عظم قيل الأصل أمر أنخفف (قال) أى الخضر عليه السلام ٧٢  
 (ألم أقول إنك لن تستطيع معى صبرا) تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للإنكار على عدم  
 الوفاء وعدء (قال لا تؤاخذنى بما نسيت) بنسيانى أو بالذى نسيته أو بشىء نسيته وهو وصيته بأن لا يسأله ٧٣  
 عن حكمة ماصدر عنه من الأفعال الخفية الأسباب قبل بيانه أراد أنه نسى وصيته ولا مؤاخذة على النامى  
 كما ورد فى صحيح البخارى من أن الأول كان من موسى نسيانا أو أخرج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذة  
 بالذبيان يوهمه أنه قد نسى ليدسط عذره فى الإنكار وهو من معاريض الكلام التى يلقى بها الكذب مع  
 التوصل إلى الغرض أو أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقنى)  
 أى لا تغشنى ولا تهملى (من أمرى) وهو اتباعه إياه (عسرا) أى لا تعسر على متابعتك ويسرها على بالإغضاء  
 وترك المناقشة وقرىء عسرا بضمين (فانطلقا) الفاء فصيحة أى فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا (حتى ٧٤

قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ١٨ الكهف

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ١٨ الكهف  
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ  
يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ١٨ الكهف

إذ لقياً غلاماً فقتله قيل كان الغلام يلعب مع الغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه  
\* فذبحه بالسكين (قال) أى موسى عليه الصلاة والسلام (أفتلت نفساً زكية) طاهرة من الذنوب وقرى.  
\* زاكية (بغير نفس) أى بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيع بالذكر من بين سائر المبيحات  
من الكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان لأنه الأقرب إلى الوقوع نظراً إلى حال الغلام ولعل تغيير  
النظم الكريم يجعل ماصداً عن الحضرة عليه الصلاة والسلام همنا من جملة الشرط وإبراز ماصداً عن  
موسى عليه الصلاة والسلام في معرض الجزاء المقصود إقادته مع أن التحقيق بذلك إنما هو ماصداً عن  
الحضرة عليه الصلاة والسلام من الخوارق البديعة لاستشراق النفس إلى ورود خبرها أقله وقوعها في  
نفس الأمر وندرة وصول خبرها إلى الأذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطة الأولى لما أن صدور  
الخوارق منه عليه الصلاة والسلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه إلى ترقب  
أحوال موسى عليه الصلاة والسلام هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الأكيد عند مشاهدة  
خارق آخر أو يسارع إلى المناقشة كما مر في المرة الأولى فكان المقصود إقادة ماصداً عنه عليه الصلاة  
والسلام ففعل ما فعل الله در شأن التنزيل وأما ما قيل من أن القتل أفيح والاعتراض عليه أدخل فكان  
جديراً بأن يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فإن كون القتل أفيح من  
مبادئ قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره إلى الأسماع وذلك مما يستدعى جعله مقصوداً  
بالذات وكون الاعتراض عليه أدخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضى جعله  
\* كذلك (لقد جئت شيئاً نكراً) قيل معناه أنكر من الأول إذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الأول  
٧٥ بالسد ونحوه وقيل الأمر أعظم من النكرة لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة (قال  
ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً) زيد لك لزيادة المكافأة بالعتاب على رفض الوصية وفلة التثبيت  
٧٦ والصبر لما تكرر منه الاشتزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير حتى زاد في التنكير في المرة الثانية (قال) أى  
\* موسى عليه الصلاة والسلام (إن سألتك عن شيء بعدها) أى بعد هذه المرة (فلا تصاحبني) وقرى من  
\* الإفعال أى لا تجعلني صاحبك (قد بلغت من لدني عذراً) أى قد أعذرت ووجدت من قبلي عذراً حيث  
خالفتك ثلاث مرات عن النبي ﷺ رحم الله أخى موسى استحياء فقال ذلك لوليك مع صاحبه لا بصبر  
٧٧ أعجب إلا حاجيب وقرى من لدني بتخفيف النون وقرى بسكون الدال كعضد في عضد (فانطلقا حتى إذا



قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ سَأْنُ بَيْنِكَ بَنَؤِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

١٨ الكهف

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

١٨ الكهف

- أتيا أهل قرية) هي أنطاكية وقيل أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة باندلس عن النبي ﷺ كانوا أهل قرية لثاماً وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى (استطعما أهلها) في محل الجر على أنه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعما على أن يكون صفة للأهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فإن الإباء من الضيافة وهم أهلها قاطنون بها أقبح وأشنع روى أسهما طافا في القرية فاستطعما فلم يطعموهما واستضفاهما (فأبوا أن يضيفوهما) بالتشديد وقرى بالتخفيف من الإضافة يقال ضافه إذا كان له ضيفاً وأضافه وضيغه أنزله وجعله ضيفاً له وحقيقة ضاف مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الإزورار (فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض) أي يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للشارة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الإسراع في السقوط وهو انفعال من النقص يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والسكران اسقوطه بسرعة وقبل هو افضال من النقص كاهر من الحرة وقرى أن ينقض من النقص وأن ينقاض من انقاض السن إذا انشقت طولا (فأقامه) قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناء وقيل أقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع (قال لوشئت لاتخذت عليه أجراً) تحريراً له على أخذ الجمل لينتعبا به أو تعريضاً بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتالك الصبر واتخذ فتعل من اتخذ بمعنى أخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرى لاتخذت أي لاخذت وقرى بادغام الذال في التاء (قال) أي الحضر عليه الصلاة والسلام (هذا فراق بيني وبينك) على إضافة ٧٨ المصدر إلى الظرف اتساعاً وقد قرى على الأصل والمشار إليه إما نفس الفراق كافي هذا أخوك أو الوقت الحاضر أي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك أو السؤال الثالث أي هذا سبب ذلك الفراق حسباً هو الموعود (سأنبئك) السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة (بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) التأويل رجوع الشيء إلى ماله والمراد به هنا المال والعاقبة إذ هو المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من البدع العادية وخلاص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه الصلاة والسلام للصبر دون أن يقال بتأويل ما فعلت أو بتأويل ما رأيت ونحوهما أروع تعريض به عليه الصلاة والسلام وعتاب (أما السفينة) التي خرقتها (فكانت لمساكين) اضعفاء ٧٩ لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمني وخمسة (يعملون في البحر) واستناد العمل إلى الكل حينئذ إنما هو بطريق التغليب أو لأن عمل الموكلاء بمنزلة عمل الموكلين (فأردت أن أعيبها) أي أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم وقد قرى به أو خلفهم وكان رجوعهم

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ١٨ الكهف

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ١٨ الكهف

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ١٨ الكهف

عليه لا محالة واسمه جلندی بن کرکر وقيل منولة بن جلندی الا زدى (ياخذ كل سفينة) أى صالحة وقد قرىء كذلك (غصباً) من أصحابها وانتصابه على أنه مصدر مبين لنوع الأخذ ولعل تفريع إرادة تعيب السفينة على مسكنة أصحابها قبل بيان خوف الغصب مع أن مدارها كلا الأمرين للاعتناء بشأنها إذ هى المحتاجة إلى التأويل والإيدان بأن الأقوى فى المدارية هو الأمر الأول ولذلك لا يبالى بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب فى حقهم أيضاً ولأن فى التأخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه إلى الأقرب (وأما الغلام) الذى قتلته (فكان أبواه مؤمنين) لم يصرح بكفرانه أو بكفره إشعاراً بعدم الحاجة إلى الذكر لظهوره (فخشينا أن يرهقهما) فخشينا أن يغشى الوالدين المؤمنين (طغياناً) عليهم (وكفراً) لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شراً وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلها بضلاله فيرتدا بسببه وإنما خشى الخضر عليه الصلاة والسلام منه ذلك لأن الله سبحانه أعلمه بحاله وأطلعاه على سر أمره وقرىء تخاف ربك أى كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن تكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لا هب لك (فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً) منه بأن يرزقها بدله ولدأ خيراً (منه) وفى التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليهما مالا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخير إليهما (زكاة) طهارة من الذنوب والاختلاق الرديئة (وأقرب رحماً) أى رحمة وعطفاً قبل ولدت لهما جارية تزوجها نبى فولدت نبياً هدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبياً وقيل أبدلها ابناً ومناً ٨٢ مثلها وقرىء يبدلها بالتشديد وقرىء رحماً بضم الحاء أيضاً وانتصابه على التمييز مثل زكاة (وأما الجدار) المعهود (فكان الغلامين يتيمين فى المدينة) هى القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لإظهار نوع اعتدادها باعتبار ما فيها من اليتيمين وأبيهما الصالح قبل اسمهما لإصرم وصريم واسم المقتول جيسور (وكان تحته كنز لهما) من فضة وذهب كما روى مرفوعاً والزم على كنهما فى قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتها وسائر حقوقها وقيل كان لواح من ذهب مكتوباً فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

- صحف فيها علم (وكان أبوهما صالحاً) تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء (فأراد ربك) أي مالكك ومدير أمورك ففي إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه الصلاة والسلام دون ضميرهما تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الأمور المذكورة (أن يبلغا أشدهما) أي حللها وكال رأيها (ويستخرجا) بالكلية (كنزهما) من تحت الجدار ولولا أني أقنته لانتفض وخرج الكنز من تحته قبل افتداهما على حفظ المال وتنميته وضاع (رحمة من ربك) مصدر في موقع الحال أي مرحومين منه عز وجل أو مفعول له أو مصدر مؤكد لأراد فإن لإرادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده إضافة الرب إلى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا (وما فعلته عن أمري) أي عن رأي واجتهادي تأكيد لذلك (ذلك) إشارة إلى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد الإيذان ببعد درجتها في الفخامة (تأويل ما لم تستطع) أي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف (عليه صبراً) من الأمور التي رابته أي ما له وعاقبته فيكون إنجازاً للنسبة الموعودة أو إلى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلك لما تقدم وفي جعل الصلة عين مامر تكرير للتسكير وتشديد للعتاب . تنبيه : اختلفوا في حياة الخضر عليه الصلاة والسلام فقيل إنه حي وسببه إنه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات أصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها وأخطأ ذو القرنين الطريق فعادوا إلى الباس أيضاً في الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل إنه ميت لما روى أن النبي ﷺ صلى العشاء ذات ليلة ثم قال أرايتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ولو كان الخضر حينئذ حياً لما عاش بعد مائة عام . روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يفارقه قال أوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به وإطلبه لتعمل به (ويسألونك عن ذي القرنين) هم اليهود سألوه على وجه الامتحان أو سأله قريش بتلقينهم وصيغة ٨٣ الاستقبال الدلالة على استمرارهم على ذلك إلى ورود الجواب وهو ذو القرنين الأكبر واسمه الإسكندر ابن فيلفوس اليوناني وقال ابن إسحق اسمه مرزبان بن مردبه من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان أسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن فينان بن منصور بن عبد الله بن الأزربن عون بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل إن اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو أول التبابعة وقيل إنه أفريدون بن النعمان الذي قتل الضحاك وذكر أبو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية أن ذا القرنين هو أبو كرب سمى ابن عير بن أفرقيس الحميري وأن ملكه بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبعية اليماني حيث قال [قد كان ذو القرنين جدي مسلماً \* ملكاً علا في الأرض غير مفند] [بلغ المشارق والمغارب ينتفى \* أسباب أمر من حكيم مرشد] وجعل هذا القول أقرب لأن الأذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي

رعين وذى يزن وذى جدن قال الإمام الرازى والأول هو الآخر لأن من بلغ ملكه من السعة والقوة إلى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل إنما هو الإسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم أمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر ثم عاد إلى مصر فبنى الإسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بنى إسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف إلى أرمينية وباب الأبواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دار ابن دارا وهزمه مراراً إلى أن قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحها وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع إلى العراق ومرض بشهر زور ومات انتهى كلام الإمام وروى أن أهل النجوم قالوا له إنك لا تموت إلا على أرض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فأذته الشمس فأظلمه بترس فنظر فقال هذه أرض من حديد وسماء من خشب فأيقن بالموت فمات وهو ابن ألف وستة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب وأغرب منه ما قاله ابن عساكر من أنه بلغنى أنه عاش ستاً وثلاثين سنة أو ثنتين وثلاثين سنة وأنه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فإن ذلك لا ينطبق إلا على ذى القرنين الثانى كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الإمام من قصد بنى إسرائيل وورد بيت المقدس والذبح في مذبحه فإنه مما لا يكاد يتأتى نسبته إلى الأول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على إسلامه وولايته ف قيل كان نبياً لقوله تعالى إنا مكننا له فى الأرض وظاهر أنه متناول للمتمكين فى الدين وقاله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شئ مسيباً ومن جملة الأشياء النبوة ولقوله تعالى فلما إذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكاً لما روى أن عمر رضى الله عنه سمع رجلاً يقول لا خير إذا القرنين فقال اللهم غفرأ أما رضىتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتهم بأسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح أنه ما كان نبياً ولا ملكاً وإنما كان ملكاً صالحاً عادلاً ملكاً لا قاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وأنه كان داعياً إلى الله تعالى سائراً فى الخلق بالمعذلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذى هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الأزرقي وغيره أنه أسلم على يدى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فطاف معه بالسكبة هو وإسماعيل عليهم السلام وروى أنه حج ماشياً فلما سمع إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقدومه تلقاه ودعاه وأوصاه بوصايا وبعاله أنه أتى بفرس ليركب فقال لا أركب فى بلد فيه الخليل فعند ذلك سحر له السحاب وطوى له الأسباب وبشره إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلهم إذا أرادوا غزوة قوم وقال أبو الطغريل سئل عنه على كرم الله وجهه أكان نبياً أم ملكاً فقال لم يكن نبياً ولا ملكاً لكن كان عبداً أحب الله فأحبه وناصح الله فنامحه سحر له السحاب ومد له الأسباب واختلف فى وجه تسميته بذى القرنين فقيل لأنه بلغ قرن الشمس مشرقها ومغربها وقيل لأنه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لأنه كان فى رأسه أو فى تاجه ما يشبه القرنين وقيل لأنه كان له ذؤابتان وقيل لأنه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لأنه دعا الناس إلى الله عز وجل فحضر

بقرنه الأيمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الأيسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لأنه رأى في منامه أنه صعد الفلك فأخذ بقرني الشمس وقيل لأنه انقرض في عهده قرنان وقيل لأنه سخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا وأما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير أنه الإسكندر بن فيليس بن مصرم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان ابن يافث بن نوح بن شرخون بن رومية بن ثوئط بن نوفيل بن رومي بن الأصغر بن العنبر بن العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام كذا نسبته ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الإسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخراً عن الأول بدهر طويل أكثر من ألفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا ابن دارا وأذل ملوك الفرس ووطى أرضهم ثم قال ابن كثير وإنما يئنا هذا لأن كثير من الناس يعتقد أنها واحد وأن المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والأول كان عبداً صالحاً مؤمناً وملكاً عادلاً ووزيره الخضر عليه الصلاة والسلام وقد قيل إنه كان نبياً وأما الثاني فقد كان كافراً ووزيره أرسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان أكثر من ألفي سنة فأي هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة إلى بلد من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لازالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشرة يوماً ونحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الإسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها أحد ولكن فيها علامتهم تحكي كمال عظمتها في عهد عمرائها ونهاية شوكة واليها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول من بعض المغازي السلطانية فما لبثت فيها من تعاجيب الآثار ما فيه عبرة لأولي الأبصار (قل) لهم في الجواب (سأتلو عليكم) أي سأذكر لكم (منه) أي من ذي القرنين (ذكرأ) أي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلوح كناية عن جهة الله عز وجل قيل سأتلو أو سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكرأ أي قرأنا والسين للنا كيدوالدلالة على التحقيق المناسب لمقام تأييده عليه الصلاة والسلام وتصديقه بإنجاز وعده أي لا أترك التلاوة البتة كما في قول من قال [سأشكر عمرأ إن تراخت مني] أي أبادى لم تمنى وإن هي جلت [لا الدلالة على أن التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لأن هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه السلام عنه وعن الروح وعن أصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتنوني غداً أخبركم فأبطأ عليه الوحي خمسة عشرة يوماً أو أربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل (إنا مكننا له في الأرض) ٨٤ شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبها هو الموعد والتمكين ههنا الإقدار وتمهيد الأسباب يقال مكنه ويمكن له ومعنى الأول جعله قادراً وقوياً ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمها في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وجل مكنناهم في الأرض مالم نمكن لكم أي جعلناهم

١٨ الكهف

فَاتَّبَعَ سَبِيلاً ﴿٨٥﴾

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ  
إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ١٨ الكهف

قادرين من حيث القوى والأسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها مالم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب فكانه قيل مالم نمكنكم فيها أي مالم نجعلكم قادرين على ذلك فيها أو مكنناهم في الأرض مالم نمكن لكم وهكذا إذا كان التمكين مأخوذاً من المكان بناء على توهم ميمه أصلية كما أشير إليه في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والمعنى إنا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الأرض من حيث التدبير والرأى والأسباب حيث سخر له السحاب ومدله في الأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض وذلك له طرقها (وآتيناه من كل شيء) \*  
أراد من مبهات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه (سبياً) أي طريقاً يوصله إليه وهو كل ما يتوصل به ٨٥ إلى المقصود من علم أو قدرة أو آفة (فاتبع) بالقطع أي فأراد بلوغ المغرب فاتبع (سبياً) يوصله إليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق أن الأول فيه ٨٦ معنى الإدراك والإسراع دون الثاني (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال على أحد القولين (وجدها) أي الشمس (تغرب في عين حمئة) أي ذات حمأة وهي الطين الأسود من حمئت البئر إذا كثرت حماتها وقرئ حامية أي حمرة روى أن معاوية رضى الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضى الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأخبار كيف تجدد الشمس تغرب قال في ماء وطين وروى في ثأط فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة عن الهمزة لانكسار ما قبلها وأما رجوع معاوية إلى قول ابن عباس رضى الله عنهما بما سمعه من كعب مع أن قراءته أيضاً مسهوعة قطعاً فلكون قراءة ابن عباس رضى الله عنهما قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك إذ ليس في مطعم بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب (ووجد عندها) عند \* تلك العين (قوماً) قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم مالفظه البحر وكانوا كفاراً بخير الله جل ذكره بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإيمان وذلك قوله تعالى (قلنا يا أبا القرنين إما أن تعذب) \* بالقتل من أول الأمر (وإما أن تتخذ فيهم حسناً) أي أمر إذا حسن على حذف المضاف أو على طريقة إطلاق المصدر على موصوفه بمبالغة وذلك بالدعوة إلى الإسلام والإرشاد إلى الشرائع ومحل أن معصاته إما الرفع على الابتداء أو الخبرية وإما النصب على المفعولية أي إما تعذيبك واقع أو إما أمرك تعذيبك

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا ﴿٨٧﴾ ١٨ الكهف

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ١٨ الكهف

ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ١٨ الكهف

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ١٨ الكهف

- أو إما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان ذلك الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر أو كان ذلك إلهاماً لا وحياً بعد أن كان ذلك التخيير موافقاً لشرعية ذلك النبي (قال) أي ذو القرنين لذلك النبي أو لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى أمره تعالى مختاراً للشق الأخير (أما من ظلم) أي نفسه ولم يقبل دعوتي وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك (فسوف نعذبه) بالقتل وعن فتادة أنه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن أعطاه وكساه (ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه) فيها (عذاباً نكراً) أي منكرأ فظيماً وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على أن الخطاب لم يكن بطريق الوحى إليه وأن مقاولته كانت مع النبي أو مع من عنده من أهل مشورته (وأما من آمن) بموجب دعوتي ٨٨ (وعمل) عملاً (صالحاً) حسبما يقتضيه الإيمان (فله) في الدارين (جزاء الحسنى) أي فله المثوبة الحسنى أو الفعلة الحسنى أو الجنة جزاء على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به أو منصوب بمضمر أي نجزي بها جزاء والجملة حالية أو معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه أو حال أي مجزياً بها أو تمييز وقرى منصوباً غير ممنون على أنه سقط تنوينه لانتفاء الساكنين ومرفوعاً ممنوناً على أنه المبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والأسر والجواب من باب الأسلوب الحكيم لأن الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال أما الكافر فبراى فى حقه قوة الإسلام وأما المؤمن فلا يتعرض له إلا بما يجب ويجوز أن تكون إما وإما للتوزيع دون التخيير أى وليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن بقى على حاله والثانى لمن تاب (وسنقول له من أمرنا) أي بما نأمر به (يسراً) أي سهلاً متيسراً \* غير شاق وتقديره ذا يسراً أو أطلق عليه المصدر مبالغة وقرى بضممتين (ثم أتبع سبباً) أي طريقاً راجعاً ٨٩ من مغرب الشمس موصل إلى مشرقها (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) يعنى الموضع الذى تطلع عليه الشمس ٩٠ أولاً من معمورة الأرض وقرى بفتح اللام على تقدير مضاف أى مكان طلوع الشمس فإنه مصدر قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة وقيل فى أقل من ذلك بناء على ما ذكر من أنه سخر له السحاب وطوى له الأسباب (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) من اللباس والبناء قيل هم الزنوج وعن كعب أن أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا اينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعنى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف

١٨ الكهف

كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

١٨ الكهف

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ١٨ الكهف

قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ بَأْسُكُمْ وَمَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ

١٨ الكهف

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم سَدًّا ﴿٩٤﴾

- تطلع الشمس قال فينبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيفة الصلصلة فغشى على ثم أفقت وهم مسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هو فوق الماء كهيفة الزيت فأدخلونا سرباً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان
- ٩١ عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كما وصفناه لك في رفة المحل وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر مجذوف لوجد أو نجعل أو صفة قوم أى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم أو سترأ مثل ستركم من اللباس والأكتان والجبال وغير ذلك (وقد أحطنا بما لديه) من
- \* الأسباب والعدد والعدد (خبراً) يعنى أن ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الأول وأما على الوجه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه
- ٩٢ فتأمل (ثم أتبع سبباً) أى طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال
- ٩٣ (حتى إذا بلغ بين السدين) بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي المشرق لاجبلا أرمينية وأذربيجان كما توهم وقرى بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لأنه مبلوغ وهو من الظروف التى تستعمل أسماء أيضاً كما
- \* ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى هذا فراق بينى وبينك (وجد من دونهما) أى من ورائهما مجاوزاً عنهما (قوماً) أى أمة من الناس (لا يكادون يفقهون قولاً) لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرىء من باب الإفعال أى لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا فى أنهم من أى الأقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدى الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت ف ضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة لجميع الترك منهم وعن قتادة أنهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على إحدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج (قالوا) أى بواسطة مترجمهم أو بالذات على أن يكون فهم
- ٩٤



قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾  
 ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي  
 أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ١٨ الكهف

- ذی القرنین کلامهم وإفهام کلامه إیام من جملة ما آتاه الله تعالى من الأسباب ( یاذا القرنین إن یاجوج  
 وماجوج ) قد ذکرنا أنهما من أولاد یافث بن نوح علیه السلام وقیل یاجوج من الترك وماجوج من  
 الجیل واختلف فی صفاتهم فقیل فی غایة صغر الجنۃ وقصر القامة لا یزید قدم علی شبر واحد وقیل فی  
 نهاية عظم الجسم وطول القامة تبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفیهم من عرضه كذلك وقیل لهم  
 مغالب وأضراس كالسباع وهما اسمان أعجمیان بدلیل منع الصرف وقیل عریان من أج الظلم إذا أسرع  
 وأصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعریف والتأنیث ( مفسدون فی الأرض )  
 أى فی أرضنا بالقتل والتخرب وإتلاف الزروع قیل كانوا یخرجون أيام الربیع فلا یتروكون أخضر إلا  
 أكلوه ولا یابسوا إلا احتملوه وقیل كانوا یاكلون الناس أیضاً ( فهل نجعل لك خراجا ) أى جعلنا من  
 أموالنا والفاء لتفريع العرض علی إفسادهم فی الأرض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال  
 وقیل الخراج ما علی الأرض والذمة والخرج المصدر وقیل الخرج ما كان علی كل رأس والخراج ما كان  
 علی البلد وقیل الخرج ما تبرعت به والخراج مال الزمك أداؤه ( علی أن نجعل بیننا وبینهم سداً ) وقرئ بالضم  
 ( قال مامکنی ) بالإدغام وقرئ بالفك أى مامکننی ( فیہ رنی ) وجعلنی فیہ مکیناً قادراً من الملك والمال ٩٥  
 وسائر الأسباب ( خیر ) أى ما تریدون أن تبذلوه إلی من الخرج فلا حاجة بی إلیه ( فأعینونی بقوة ) أى  
 بفعلة وصناع یحسنون البناء والعمل وبآلات لا بد منها فی البناء والفاء لتفريع الأمر بالإعانة علی خیرة  
 ما مکنه الله تعالى فیہ من ما لهم أو علی عدم قبول خرجهم ( أجعل ) جواب للأمر ( ینکم وبینهم ) تقدیم  
 إضافة الطرف إلی ضمیر المخاطبین علی إضافة إلی ضمیر یاجوج وماجوج لإظهار کمال العناية بمصالحهم كما  
 راعوه فی قولهم بیننا وبینهم ( ردماً ) أى حاجزاً حصیناً وبرزخاً متیناً وهو أكبر من السد وأوثق یقال  
 ثوب مردم أى فیہ رقاع فوق رقاع وهذا إسعاف بمرامهم فوق ما یرجونه ( آتونی زبر الحديد ) جمع زبرة ٩٦  
 کعرف فی غرفة وهی القطعة الكبيرة وهذا لا ینافی ردخراجهم لأن المأمور به الإیتاء بالثمن أو المناولة  
 كما ینبئ عنه القراءة بوصل الهمزة أى جیثونی بزبر الحديد علی حذف الباء كما فی أمرتك الخیر ولأن إیتاء  
 الآلة من قبیل الإعانة بالقوة دون الخراج علی العمل ولعل تخصیص الأمر بالإیتاء بها دون سائر الآلات  
 من الصخور والخطب ونحوهما لما أن الحاجة إلیها أمس إذ هی الرکن فی السد ووجودها أعز قبل حفر  
 الأساس حتی یبلغ الماء وجعل الأساس من الصخور والنحاس المذاب والبنیان من زبر الحديد بیننا الخطب  
 والفحم حتی سد ما بین الجبلین إلی أعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائله ( حتی إذا ساءل بین  
 الصدفین ) أى أتوه إیاهما فاخذ ینفی شیتاً فشیئاً حتی إذا جعل ما بین ناحیتی الجبلین من البنیان مساویاً لهما

١٨ الكهف

فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَيَازَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعْلَهُ دَكَاةً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ١٨ الكهف

في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرىء سوى من التسوية  
 \* وسوى على البناء للسجول (قال) للعملة (انفخوا) أى بالكيران في الحديد المبني ففعلوا (حق إذا جعله)  
 \* أى المنفوخ فيه (ناراً) أى كالنار في الحرارة والهيئة وإسناد الجمل المذكور إلى ذى القرنين مع أنه فعل  
 \* الفعلة للتنبيه على أنه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة (قال) للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة ونحوها  
 \* (أتوني أفرغ عليه قطراً) أى أتوني قطراً أى نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً لحذف الأول لدلالة الثاني  
 عليه وقرىء بالوصل أى جيتوني كأنه يستدعيهم للإطاعة باليد عند الإفراغ وإسناد الإفراغ إلى نفسه للسر  
 ٩٧ الذى وقفت عليه آنفاً وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى أجعل (فما استطاعوا) بحذف تاء  
 الافتعال تخفيفاً وحذراً عن تلاقى المتقاربين وقرىء بالإدغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده  
 وقرىء بقلب السين صاداً والفاء فصيحة أى فعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر أو الإتيان فأفرغه عليه  
 فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلاً صلباً فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه فما  
 استطاعوا (أن يظهروه) أى يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقباً) لصلابته  
 وثخائته وهذه معجزة عظيمة لأن تلك الزبر الكثيرة إذا أثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على أن  
 يحوم حولها فضلاً عن النفخ فيها إلى أن تكون كالنار أو عن إفراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف  
 تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المباشرين الأعمال فكان ما كان والله على كل شئ قدير وقيل  
 بناء من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلايب من حديد ونحاس مذاب في تجاويها بحيث لم يبق هناك  
 ٩٨ فرجة أصلاً (قال) أى ذو القرنين لمن عنده من أهل تلك الديار وغيرهم (هذا) إشارة إلى السد وقيل إلى  
 تمكيته من بنائه والفضل المتقدم أى هذا الذى ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذى شأنه  
 ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال (رحمة) أى أثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة (من ربى) على كافة العباد  
 لاسيما على مجاوريه وفيه إيدان بأنه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو إحسان إلهي  
 محض وإن ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة (فإذا جاء وعد ربى) مصدر بمعنى  
 المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل إذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئة  
 ما ينتظم بمجيئه ومباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك  
 لا دنو وقوعه فقط كما قيل فإن بعض الأمور التى ستحكي تقع بعد مجيئه حتماً (جعله) أى السد المشار إليه  
 مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الإشارة السابقة إلى التمكين المذكور (دكاه) أى  
 أرضاً مستوية وقرىء دكا أى مدكوكاً مسوياً بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاعه فقد اندك ومنه الجمل  
 الأدك أى المنبسط السنام وهذا الجمل وقت مجيئه الوعد بمجيئه بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عو

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ جَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ١٨ الكهف

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿١٠٠﴾ ١٨ الكهف

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ١٨ الكهف

- \* وجل بعد بيان سعة رحمته (وكان وعد ربى) أى وعده المعبود أو كل ما وعد به فیدخل فيه ذلك دخولا
- \* أولياً (حقاً) ثابتاً لا محالة واقعاً البتة وهذه الجملة تذييل من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر
- \* مؤكداً لمضمونها وهو آخر ما حكى من قصته وقوله عز وجل (وتركنا بعضهم) كلام مسوق من جنبه تعالى ٩٩
- \* معطوف على قوله تعالى جعله دكا. ومحقق لمضمونه أى جعلنا بعض الخلائق (يومئذ) أى يوم إذ جاء الوعد
- \* بمجى بعض مباديه (بموج فى بعض) آخر منهم يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط أنسهم وجنهم
- \* حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الأولى أو تركنا بعض بأجوج وما موج بموج فى بعض آخر
- \* منهم حين يخرجون من السد مزدحمين فى البلاد روى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه
- \* ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة ويدت
- \* المقدس ثم يبعث الله عز وجل نفثاً فى أبقائهم فیدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل
- \* الله تعالى عليهم طيراً فتلقهم فى البحر ثم يرسل مطراً يغسل الأرض ويطهرها من تنهم حتى
- \* يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتل الدجال (ونفخ
- \* فى الصور) هى النفخة الثانية بقضية الفاء فى قوله تعالى (لجمعناهم) ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الأولى
- \* لأنها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع فى النشأة الأولى من الأحوال
- \* والأحوال وبين ما يقع منها فى النشأة الآخرة أى جمعنا الخلائق بعدما تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم
- \* فى صعيد واحد للحساب والجزاء (جمعاً) أى جمعاً عجيباً لا يكتنه كنهه (وعرضنا جهنم) أى أظهرناها ١٠٠
- \* وأبرزناها (يومئذ) أى يوم إذ جمعنا الخلائق كافة (للكافرين) منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون
- \* لها تغيظاً وزفيراً (عرضاً) أى عرضاً فظيماً هائلاً لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع أنها برأى من
- \* أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم خاصة (الذين كانت أعينهم) وهم فى الدنيا (فى غطاء) كسيف وغشاوة ١٠١
- \* غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب (عن ذكرى) عن الآيات المؤدية لأولى الأبصار المتدبرين فيها إلى
- \* ذكرى بالتوحيد والتجيد أو كانت أعين بصرهم فى غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشأنى أو عن القرآن
- \* الكريم (وكانوا) مع ذلك (لا يستطيعون) لفرط قساصهم عن الحق وكالعداوتهم للرسول ﷺ (سماً)
- \* استماعاً لذكرى وكلامى الحق الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لإعراضهم عن
- \* الأدلة السمعية كما أن الأول تصوير لتعاميمهم عن الآيات المشاهدة بالأبصار والموصول نعت للكافرين
- \* أو بدل منه أو بيان مجىء به لئلا يظنهم بما فى حيز الصلة وللإشعار بعليته لإصابة ما أصابهم من عرض جهنم لهم

أَحْسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ  
نَزْلًا ﴿١٠٢﴾

١٨ الكهف

١٨ الكهف

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾

فإن ذلك إنما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات وإعراضهم عنها مع كونها  
١٠٢ أسباباً منجية عما ابتلوا به في الآخرة (أحسب الذين كفروا) أى كفروا بى كما يعرب عنه قوله تعالى  
عبادى والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ أفطن والهمزة للإنكار والتوبيخ على معنى إنكار الواقع واستقباحه  
كما فى قولك أضربت أباك لا إنكار الوقوع كما فى قوله أضرب أبى والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه  
الصلة على توجيه الإنكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعاً كما إذا قدر المعطوف عليه فى قوله تعالى أفلا تعقلون  
منفياً أى ألا تسمعون فلا تعقلون لا إلى المعطوف فقط كما إذا قدر مثبتاً أى أستمعون فلا تعقلون والمعنى  
\* أ كفروا بى مع جلالة شأنى فحسبوا ( أن يتخذوا عبادى من دونى ) من الملائكة وعيسى وعزير عليهم  
\* السلام وهم تحت سلطانى وملكوته ( أولياء ) معبودين ينصرونهم من بأسى وما قيل إنها للعطف على ما قبلها  
من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على أن الحسبان ناشئ من التعامى والتصام وأدخل عليها همزة الإنكار  
ذما على ذم وقطعاً له عن المعطوف عليهما لفظاً لا معنى للإيذان بالاستقلال المؤكد للذم بآبائه ترك الإضمار  
والتعرض لوصف آخر غير التعامى والتصام على أنهما أخرجاً مخرج الأحوال الجبلية لهم ولم يذكر  
من حيث أنهما من أفعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وأيضاً فإنه دين قديم  
لهم لا يمكن جعله ناشئاً عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الإنكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك  
تعسف لا يخفى وما فى حيز صلة أن ساد مسد مفعولى حسب كما فى قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة  
أى أحسبوا أنهم يتخذونهم أولياء على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ فى شيء لما أنه إنما يكون من الجانبين  
وهم عليهم الصلاة والسلام منزّهون عن ولايتهم بالمرّة لقولهم سبحانه أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله  
الثانى محذوف أى أحسبوا اتخذهم نافعاً لهم والوجه هو الأول لأن فى هذا تسليماً لنفس الاتخاذ واعتداداً  
به فى الجملة وقرئ أحسب الذين كفروا أى أحسبهم وكافهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو  
الفعل والفاعل فإن النعت إذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل فى العمل فالهمزة حينئذ بمعنى إنكار الوقوع  
\* (إنا أعتدنا جهنم) أى هيأناها (للكافرين) المعبودين عدل عن الإضمار ذما لهم وإشعاراً بأن ذلك الاعتداد  
\* بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل (نزلًا) أى شيئاً يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزول أى  
الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطيط لهم فى حسبانهم وتمكيم بهم حيث كان اتخذهم إياهم من قبيل  
إعتداد العتاد وإعداد الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل إنا أعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدة والذخر  
جهنم عدة وفى إيراد النزول إيحاء إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هو أنموذج له وقيل النزول موضع النزول  
١٠٣ ولذلك فسره ابن عباس رضى الله عنهما بالثوى ( قل هل ننبئكم ) الخطاب الثانى للكفرة على وجه

الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾

١٨ الكهف

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

١٨ الكهف

وَزَنًّا ﴿١٠٥﴾

- التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من أول الأمر والإيذان بمعلومية النبأ للؤمنين أيضاً (بالأخسرين أعمالاً) نصب على التمييز والجمع للإيذان بتنعومها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسهم وفي حساباتهم أيضاً حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غلب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في أنفسهم مع كونها حسنة في حساباتهم (الذين ضل سعيهم) في إقامة ١٠٤ تلك الأعمال أي ضاع وبطل بالكلية (في الحياة الدنيا) متعلق بالسعي لا بالضلال لأن بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم أهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن أبي وقاص ومجاهد رضى الله عنهم ويدخل في الأعمال حينئذ ما عملوه من الأحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابة الذين يحسبون أنفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الوصول الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف لأنه جواب للسؤال كأنه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجروراً على أنه نعت للأخسرين أو بدل منه أو منصوباً على الذم على أن الجواب ما سيأتى من قوله تعالى أولئك الآية ياباه أن صدره ليس منبثقاً عن خسران الأعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الأول وإن دل على جبوطها لكنه ساكت عن أنباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الرجوع واعتقاد النفع فيما صنعوا على أن التفريع الثاني بما يقطع ذلك الاحتمال رأساً لا مجال لدرأه تحت الأمر بقضية نون العظمة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتي أي يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل أي بطل سعيهم المذكور والحال أنهم يحسبون أنهم يحسنون في ذلك وينتفعون بآثاره أو من المضاف إليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى إليه مرجعكم جميعاً أي بطل سعيهم والحال أنهم الخ والفرق بينهما أن المقارن لحال حسابهم المذكور في الأول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والأول أدخل في بيان خطتهم (أولئك) كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الأخطرين وتبيين ١٠٥ خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الأمر أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور (الذين كفروا بآيات ربهم) بدلالة الداعية إلى التوحيد عقلاً ونقلاً والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقييد حالهم في الكفر المذكور (ولقائه) بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه (لحبطت) لذلك (أعمالهم) المعهودة جبوطة كلياً (فلا

ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا ﴿١٨﴾

١٨ الكهف

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٩﴾

١٨ الكهف

- \* نقيم لهم) أى لا أولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال وقرى بالياء (يوم القيامة وزناً) أى فزدرهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرقة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عطف عليه بطريق التفریع وأما ماهو من أجزية الكفر فسيجىء بعد ذلك
- أولاً نضع لاجل وزن أعمالهم ميزاناً لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليرتب عليه التكفير أو عدمه لأن ذلك فى الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فأحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعاً (ذلك) بيان لمآل
- ١٠٦ الكفر فمهم وسائر معاصيهم لئلا يبين مآل أعمالهم المحبطة بذلك أى الأمر ذلك وقوله عز وجل (جزاءهم جهنم) جملة مبينة له أو ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أى جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر (بما كفروا) تصريح بأن ما ذكر جزاء الكفرهم المتضمن لسائر القبائح التى أنبأ عنها قوله تعالى (واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) أى مهزواً بهما فإنهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة أيضاً (إن الذين آمنوا) بيان بطريق الوعد
- ١٠٧ لمآل الذين اتصفوا بأضداد ما اتصف به الكفرة لئلا يبين مآلهم بطريق الوعيد أى آمنوا بآيات ربهم وإقامته (وعملوا الصالحات) من الأعمال (كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى ووعد فيه لإيماء إلى أن أثر الرحمة يصل إليهم بمقتضى الرأفة الأزلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلاً فإنه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم (جنت الفردوس) عن مجاهد أن الفردوس هو البستان الرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحشيشة وقال الضحاك هو الجنة الملتفة بالأشجار وقيل هى الجنة التى تنبت ضروباً من النبات وقيل هى الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرماً وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والأغلب عليه أن يكون من العنب وعن كعب أنه ليس فى الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله ﷺ فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجة مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار الأربعة فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإن فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة (نزلاً) خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على أنه حال من نزلاً أو على أنه بيان أو حال من جنت الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فإن جعل النزول بمعنى ما يهبأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنت الفردوس نزلاً أو جعلت نفس الجنات نزلاً مبالغة فى الإكرام وفيه إيدان بأنها عند ما أعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزول بالنسبة إلى الضيافة وإن جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر .

١٨ الكهف

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾

قُلْ لَوْ كَانَتِ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

١٨ الكهف

بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ

١٨ الكهف

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

- (خالدین فیہا) نصب علی الحالیة (لا یبغون عنہا حولاً) مصدر کالعوج والصفر أى لا یطلبون تحولاً عنہا ١٠٨  
 إذ لا یصور أن یکون شیء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم إلیہ أنفسہم وتطمع نحوہ أبصارہم ویمحوز  
 أن یراد نفي التحول وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدین أو من ضمیرہ فیہ فیكون حالاً متداخلة  
 (قل لو کان البحر) أى جنس البحر (مداداً) وهو ما تمده به الدواة من الخبر (لکلمات ربی) لتحریر کلمات ١٠٩  
 علیہ وحکمتہ الی من جملتها ما ذکر من الآیات الداعیة إلی التوحید المحذرة من الإشرک (لنفد البحر) \*  
 مع کثرته ولم یبق منه شیء لتناهیہ (قبل أن تنفد) وقرئ بالیاء والمعنی من غیر أن تنفد (کلمات ربی) \*  
 لعدم تناهیہا فلا دلالة للکلام علی نفاذها بعد نفاذ البحر وفی إضافة الکلمات إلی اسم الرب المضاف إلی ضمیرہ  
 فی الموضعین من تفخیم المضاف وتشریف المضاف إلیہ مالا یخفى وإظهار البحر والکلمات فی موضع  
 الإضمار لزيادة التقرير (ولو جئنا) کلام من جمته تعالی غیر داخل فی الکلام الملقن جمی به لتحقيق مضمونه \*  
 وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأکید والاول لعطف الجملة علی نظیرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة  
 المذكورة علیها دلالة واضحة أى لنفد البحر من غیر نفاذ کلماته تعالی لولم نجی بمثله مدداً ولو جئنا بقدر تناالباہرة  
 (بمثله مدداً) عوناً وزیادة لأن مجموع المتناهیین متناه بل مجموع ما یدخل تحت الوجود من الأجسام \*  
 لا یکون إلا متناهیاً لقیام الأدلة القاطعة علی تناهی الأبعاد وقرئ بمدداً جمع مدة وهی ما یستمدہ الكاتب  
 وقرئ مداداً (قل) لهم بعد ما بینت لهم شأن کلماته تعالی (إنما أنا بشر مثلكم) لا أدعی الإحاطة بکلماتہ ١١٠  
 النامة (یوحى إلی) من تلك الکلمات (أنما إلهکم إله واحد) لا شریک له فی الخلق ولا فی سائر أحكام الألوهیة \*  
 وإنما تمیزت عنکم بذلك (فمن کان یرجو لقاء ربہ) الرجاء توقع وصول الخیر فی المستقبل والمراد بلفظائه \*  
 تعالی کرامته وإدخال الماضی علی المستقبل للدلالة علی أن اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة  
 علی رجاء اللقاء أى فمن استمر علی رجاء کرامته تعالی (فلیعمل) لتحصیل تلك الطلبة العزیزة (عملاً صالحاً) \*  
 فی نفسه لا ثمناً بذلك المرجو كما فعله الذین آمنوا وعملوا الصالحات (ولا یشرک بعبادته أحداً) إشرکاً \*  
 جلیاً كما فعله الذین کفروا بآیات ربهم ولقائه ولا إشرکاً خفياً كما یفعله أهل الریاء ومن یطلب به أجرأ  
 وإثارة وضع المظهر موضع المضمیر مع التعرض لعنوان الربوبیة لزيادة التقرير وللإشعار  
 بعلیة العنوان للأمر والنهی ووجوب الامتثال فعلاً وتركاً . روى أن جندب بن زهیر رضی الله عنه قال  
 لرسول الله ﷺ إني لا عمل العمل لله تعالی فإذا اطلع علیہ سرتی فقال ﷺ إن الله لا یقبل ما شورك فیہ

١٩ - سورة مريم عليها السلام  
(مكية وآياتها ثمان وتسعون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كهيعص ١

١٩ مريم

سَمَّيْتُ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٢

١٩ مريم

فزلت تصديقاً له وروى أنه ﷺ قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك إذا قصد أن يقتدى به وعنه ﷺ اتقوا الشرك الأصغر قيل وما الشرك الأصغر قال الرياء عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء وعنه ﷺ من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى الخ كان له مضجعه نوراً يتلألاً إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألاً من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام .

(سورة مريم عليها السلام مكية إلا الآيات ٥٨ و ٧١ فدينيتان وآياتها ٩٨)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (كهيعص) بإمالة الهاء والياء وإظهار الدال وقرىء بفتح الهاء وإمالة الياء وبثغنيهما وبإخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف أن ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلغظ بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء للسور أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزوماً التقاء الساكنين لكونه مغتفرأ في باب الوقف قطعاً لحق هذه الفاتحة الكريمة أن يوقف عليها جرياً على الأصل وقرىء بإدغام الدال فيها بعدها لتقاربهما في المخرج فإن جعلت اسماً للسورة على ما عليه إطباق الأكثر فحله الرفع إما على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أى مسمى به وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر
- ٢ المشاهد كما يقال هذا ما اشتري فلان أو على أنه مبتدأ خبره (ذكر رحمة ربك) أى المسمى به ذكر رحمة الخ فإن ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والأول هو الأولى لأن ما يجعل عنواناً للوضوع حقه أن يكون معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية من قبل لخطتها الإخبار بها كافي الوجه الأول وإن جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنع إليه أهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبغي عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مراداً به السورة ذكر الرحمة الخ أو اسم إشارة أشير به إليه تنزيلاً لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أى هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره



إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣٩﴾

١٩ مريم

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤٠﴾ ١٩ مريم

أى فيما يتلى عليك ذكرها وقرىء ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير أى هذا المنلو ذكرها وقرىء ذكر على صيغة الأمر والتمريض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره ﷺ الإبدان بأن تنزيل السورة عليه ﷺ تكميل له ﷺ وقوله تعالى (عبده) مفعول لرحمة ربك على أنها مفعول لما أضيف إليها وقيل للذكر على أنه مصدر أضيف إلى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها كما يقال ذكرنى معروف فلان أى بلغنى وقوله عز وعلا (ذكرىا) بدل منه أو عطف بيان له (إذ نادى ربه نداء خفياً) ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على أنه مضاف إلى فاعله اتساعاً لا على الوجه الأول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتغال من ذكرىا كما فى قوله واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت ولقد راعى عليه الصلاة والسلام حسن الأدب فى إخفاء دطائه فإنه مع كونه بالنسبة إليه عز وجل كالجرم أدخل فى الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مباد لا يلبق به تعاطيها فى أوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمساً وستين وقيل سبعين وقيل خمساً وسبعين وقيل ثمانين وقيل أكثر منها كما مر فى تفسير سورة آل عمران (قال) جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الإعراب (رب إني وهن العظم مني) إسناد الوهن إلى العظم لما أنه عماد البدن ودعام الجسد فإذا أصابه الضعف والرخاوة أصاب كله أو لأنه أشد أجزائه صلابة وقواماً وأقلها تأثراً من العلل فإذا وهن كان ما وراءه أو وهن وإفراده للقصد إلى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من أفراده ومعنى متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرىء وهن بكسر الهاء وبضمها أيضاً وتأكد الجملة لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها (واشتعل الرأس شيباً) شبه عليه الصلاة والسلام الشيب فى البياض والإنارة بشواظ النار وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى محل الشعر ومنبته وأخرجه مخرج التمييز وأطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة كمال الجزالة لا يخفى حيث كان الأصل اشتعل شيب رأسى فأسند الاشتعال إلى الرأس كما ذكر لإفادة شموله لكلماته وزانه بالنسبة إلى الأصل وزان اشتعل بيته ناراً بالنسبة إلى اشتعل النار فى بيته ولزيادة تقريره بالإجمال أولاً والنفصيل ثانياً ولمزيد تفخيمه بالتكثير وقرىء بإدغام السين فى الشين (ولم أكن بدعائك رب شقياً) أى ولم أكن بدعائى لإياك خائباً فى وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لى والجملة معطوفة على ما قبلها أو حال من ضمير المتكلم إذ المعنى واشتعل رأسى شيباً وهذا توسل منه عليه الصلاة والسلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعى الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فإنه تعالى بعد ما عود عبده بالإجابة دهر أطويلاً لا يكاد

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿١٩﴾

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٢٠﴾

يخفيه أبدأ لاسيما عند اضطرابه وشدة افتقاره والتعرض في الموضوعين لوصف الربوبية المنبثقة عن إضافة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لاسيما نوسيطه بين كان وخبره التحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من أسمائه وصفاته (وإني خفت الموالى) عطف على قوله تعالى إني وهن العظم مترتب مضمونه على مضمونه فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادئ خوفه عليه السلام من يلى أمره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل يخاف أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله (من ورأى) أى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن أى فعل الموالى من بعدى أو جور الموالى وقد قرئ كذلك أو بما فى الموالى من معنى الولاية أى خفت الذين يلون الأمر من ورأى لا بخفت لفساد المعنى وقرئ ورأى بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالى من ورأى أى قلوا وعجزوا عن القيام بأموال الدين بعدى أو خفت الموالى القادرون على إقامة مراسم الملّة ومصالح الأمة من خف القوم أى ارتحلوا مسرعين أى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت (وكانت امرأتى عاقراً) أى لا تلد من حين شبابها (فهب لى من لدنك) كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لا ابتداء للغاية مجازاً وتقديم الأول لكون مدلوله أهم عنده ويجوز تعلق الثانى بمحذوف وقع حالاً من المفعول ولدن فى الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات وقدر تفصيله فى أوائل سورة آل عمران أى أعطنى من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الأسباب العادية (ولياً) أى ولداً من صلبى وتأخيره عن الجارين لإظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر فإن ماحقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مستشفرة فعند ورودها يتمكن عندها فضل تمكن ولأن فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل أو توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن ما ذكره عليه الصلاة والسلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الأسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارج للعادة ولا يقدح فى ذلك أن يكون هناك داع آخر إلى الإقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة فى حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما أن عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكره ههنا فإن الاكتفاء بما ذكر فى موطن عمارة للدعاء أى يرثى من حيث العلم والدين والنبوة فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون المال قال تعالى

يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

- نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثي الخبيرة وكان عليه السلام حبراً (ويرث من آل يعقوب) يقال ورثته وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا أخت أم مريم أي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رهوس بنو إسرائيل ومولوكهم وكان زكريا رئيس الأحرار يومئذ فأراد أن يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرى. ويرث وارث آل يعقوب على أنه حال من المستكن في يرث وقرى. أو يرث آل يعقوب بالتصغير ففيه إيماء إلى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وقرى. وارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثي على طريقة التجريد أي يرثي به وارث وقيل من التبويض إذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام أنبياء ولا علماء (واجعله رب رضيعاً) مرضياً عندك قولاً وفعلاً وقوسيط رب بين مفعولى اجعل للبالغة • في الاعتناء بشأن ما يستدعيه (بازكريا) على إرادة القول أي قال تعالى يازكريا (إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) ٧ لكن لا بأن يخاطبه عليه الصلاة والسلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على أن يحكى له عليه الصلاة والسلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وقد مرت تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه الصلاة والسلام ووعد بإجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضاً حسبما تقتضيه المشيئة الإلهية المبينة على الحكم البالغة فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات ألا يرى إلى دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حق أبيه وإلى دعوة النبي ﷺ حيث قال وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيهما وقد كان من قضائه عز وعلا أن يهبه يحيى نبياً مرضياً ولا يرثه فاستجب دعاءه في الأول دون الثاني حيث قتل قبل موت أبيه عليهما الصلاة والسلام على ما هو المشهور وقيل بقى بعده برهة فلا إشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه الصلاة والسلام تأكيده للوعد وتشريف له عليه الصلاة والسلام وفي تخصيصه به عليه السلام حسبما يعرب عنه قوله تعالى (لم نجعل له من قبل سمياً) • أي شريكاً له في الاسم حيث لم يسم أحد قبله يبيح مزبد تشريف وتفخيم له عليه الصلاة والسلام فإن التسمية بالأسمى البديعة الممتازة عن أسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سمياً شعباً في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سمياً فإن المنتشاركين في الوصف بمنزلة المنتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه الصلاة والسلام مثل في أنه لم يعص الله تعالى ولم يهجم بمصيبة قط وأنه ولد من شيعان وعجوز طافر وأنه كان حضوراً فيكون هذا إجمالاً لما نزل بعده من قوله تعالى مصداقاً بكلمة من الله وسيداً وحضوراً ونبياً من الصالحين والأظهر أنه اسم أعجمي وإن كان عربياً فهو منقول عن الفعل كيحمر ويعيش قيل سمي به لأنه حي به رحم أمه أوحى دين الله تعالى بدعوته .

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ١٩ مريم

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتِكِ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ ١٩ مريم

٨ (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فإذا قال عليه الصلاة والسلام حينئذ فقيل قال (رب) ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى إليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل إليه تعالى والاحتراز عما عسى يوم خطابه للملك من توم أن عليه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في طامة الأوقات (أنى يكون لى غلام) \* كلمة أنى بمعنى كيف أو من أين وكان إمانامة وأنى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والنشويق إلى ما أخر أى كيف أو من أين يحدث لى غلام ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حالاً من غلام إذ لو تأخر لكان صفة له أى أنى يحدث كائناً لى غلام أو ناقصة اسمها ظاهر \* وخبرها إما أنى ولى متعلق بمحذوف كما مر أو هو الخبر وأنى نصب على الظرفية وقوله تعالى (وكانت امرأتى عاقراً) حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى (وقد بلغت من الكبر عتياً) حال منه مؤكدة للاستبعاد إثر تأكيد أى كانت امرأتى عاقراً لم تلد فى شبابها وشبابى فكيف وهى الآن عجوز وقد بلغت أنا من أجل كبر السن جساوة وقحولا فى المفاصل والعظام أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتياً من عتاً يعتو وأصله عتو وكعود فاستنقل توالى الضمتين والواو ين فكسرت التاء فانقلبت الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية أيضاً لاجتماع الواو والياء وسبق لإحداهما بالسكون وكسرت العين اتباعاً لما بعدها وقرى بضمها ولعل البداءة ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما فى سورة آل عمران لما أنه قد ذكر حاله فى أضاعيف دعائه وإنما المذكور ههنا بلوغه أقصى مراتب الكبر تنمة لما ذكر قبل وأما هنالك فلم يسبق فى الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما أن المسارعة إلى بيان قصور شأنه أنسب وإنما قاله عليه الصلاة والسلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدره الله لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة فى سورة آل عمران استعظماً لقدرة الله تعالى وتعجباً منها واعتداداً بنعمته تعالى عليه فى ذلك بإظهار أنه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه فى نفسه من الأمور المستحيلة عادة لا استبعاداً له وقيل إنما قاله ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون إيقاناً ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه الصلاة والسلام استغفاماً عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد

٩ حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد (قال) استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف فى قوله تعالى (كذلك قال ربك) مقحمة كما فى مثلك لا ييخل محلهما إما النصب على أنه مصدر تشبیهى لقال الثانى وذلك إشارة إلى مصدره الذى هو عبارة عن الوعد السابق لا إلى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً وقوله تعالى (هو على هين) جملة مقررة للوعد المذكور دالة على إنجازها داخله فى حيز قال الأول كأنه قيل قال الله عز وجل مثل

ذلك القول البديع قلت أى مثل ذلك الوعد الحارق للعادة وعدت هو على خاصة هين وإن كان فى العادة مستحيلاً وقرى. وهو على هين فالجملة حينئذ حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه أو اعتراض وعلى كل حال فهم مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم أخرج القول الثانى مخرج الالتفات جرياً على سنن السكبرياء انبرية المماثلة وإدخال الروعة كقول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك مكان أنا أرسم ثم أسند إلى اسم الرب المضاف إلى ضميره عليه السلام تشریفاً له وإشعاراً بعلّة الحكم فإن تذكير جريان أحكام ربوبيته تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من إيجاده من العدم وتصريفه فى أطوار الخلق من حال إلى حال شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ كماله اللائق به مما يقلع أساس استبعاد عليه الصلاة والسلام لحصول الموعود ويورثه عليه الصلاة والسلام الاطمئنان بإنجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد إلى الرب إلى باء العظمة إيذاناً بأن مدار كونه هيناً عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لاربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام خاصة وتمهيداً لما يعقبه وقيل ذلك إشارة إلى مبهم يفسره قوله تعالى هو على هين على طريقة قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لأنها لا تدخل بين المفسر والمفسر وإما الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وذلك إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى أى قال عز وجل الأمر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الأولى أو حال من المستكن فى الجار والمجرور وأياً ما كان فتوسطه قال بينهما مشمر بزيادة الاعتناء بكل منهما والكلام فى إسناد القول إلى الرب ثم الالتفات إلى التكلم كالذى مر آنفاً وقيل ذلك إشارة إلى ما قاله زكريا عليه الصلاة والسلام أى قال تعالى الأمر كما قلت تصديقاً فيما حكمه من الحالة المبينة للولادة فى نفسه وفى أمراته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق لإزالة استبعاده بعد تقريره أى قال تعالى هو مع بعده فى نفسه على هين والقراءة الثانية أدخل فى إفادة هذا المعنى على أن الواو اللطف وأما جعلها للحال فدخل بسداد المعنى لأن ما له تقرير صعبته حال سهولته عليه تعالى مع أن المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعبته فى نفسه وقوله تعالى (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر هو الواقع إثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وإنما لم ينسب ذلك إلى آدم عليه الصلاة والسلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بأن يقال وقد خلقت أباك أو آدم من قبل ولم يك شيئاً مع كفايته فى إزالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه الصلاة والسلام لتأكيد الاحتجاج به وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه عليه الصلاة والسلام من العدم إذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجاً منظوياً على فطرية سائر آحاد الجنس انطواءً إجمالياً مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان إبداعه عليه الصلاة والسلام على ذلك الوجه إبداعاً لكل أحد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه الصلاة والسلام على هذا النمط السارى إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصوراً على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرته تعالى وكماله عليه وحكمته وكان عدم

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٩ مريم

نُفِجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١٩ مريم

يُنِجِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ١٩ مريم

- ذكر يا حينئذ أظهر عنده وأجلى وكان حاله أولى بأن يكون معياراً للحال ما بشر به نسب الخلق المذكور إليه كما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتتان حقه فكانه قيل وقد خلقناك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تكن إذ ذاك شيئاً أصلاً بل عدما مجتاً ونفياً صرفاً هذا وأما حمل الشيء على المعتد به أى ولم تكن شيئاً معتداً به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك (قال رب اجعل آية) أى علامة تدانى على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه الصلاة والسلام لنا كيد البشارة وتحقيقها كما قيل فإن ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وإنما كان ذلك اتمريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره إلى أن تظهر ظهوراً معتاداً وقد مرّت الإشارة في تفسير سورة آل عمران إلى أن هذا السؤال ينبغى أن يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روى أن يحيى كان أكبر من عيسى عليهما الصلاة والسلام بستة أشهر أو ثلاث سنين ولا ريب في أن دعاء ذكرى عليه الصلاة والسلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعاء ذكرى باربه وهى إنما ولدت عيسى عليه الصلاة والسلام وهى بنت عشر سنين أو بنت ثلاث عشرة سنة والجعل إبداعى واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف وقع حالاً من آية إذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى النصير المستدعى لمفعولين أو لهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لأنه لا مسوغ لكون آية مبتداً عند انحلال الجملة إلى مبتداً وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ (قال آيتك أن لا تكلم الناس) أى أن لا تقدر على أن تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح (ثلاث ليال) مع أيامهن للتصريح بها في سورة آل عمران (سويّاً) حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطراب دون الاختيار أى تمنع الكلام فلا تطبق به حال كونك سوى الخلق سليم الجوارح مابك شائبة بكم ولا خرس (نُفِجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) أى من المصلى أو من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا إذ خرج عليهم متغير ألونه فأنكروه وقالوا مالك (فأوحى إليهم) أى أوما إليهم لقوله تعالى إلا رمزاً أو قيل كتب على الأرض وأن في قوله تعالى (أن سبّحوا) إما مفسرة لأوحى أو مصدرية والمعنى أى صلوا أو بأن صلوا (بكرة وعشياً) هما ظرفان للتسبيح . عن أبى العالية أن المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر أو نزهاً ربكم طرفي النهار ولعله كان مأموراً بأن يسبح شكراً وبأسر قومه بذلك (بأيحي) استئناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة إلى الإنباء بإنجاز الوعد الكريم أى قلنا

١٩ مريم

وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣

١٩ مريم

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤

١٩ مريم

وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥

١٩ مريم

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦

١٩ مريم

فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧

- يا يحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) أى بجد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبياً) قال ابن عباس \* رضى الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه فى الدين روى أنه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال ما لعب خلقنا (وحنانا من لدنا) عطف على الحكم وتوينه للتفخيم ١٣ وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أكاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا أو رحمة فى قلبه وشفقة على أبويه وغيرهما (وزكاة) أى طهارة من الذنوب أو صدقة تصدقنا به على أبويه أو فقناه للتصدق على الناس (وكان تقياً) مطيعاً متجنباً عن المعاصى (وبراً بوالديه) عطف على تقياً أى باراً بهما لطيفاً بهما محسناً إليهما (ولم يكن جباراً عصياً) متكبراً عاقاً لهما أو طاصياً لربه (وسلام عليه) من الله عز وجل (يوم ولد) من أن يناله ١٤ الشيطان بما ينال به بنى آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حياً) من هول القيامة وعذاب النار (واذكروا فى الكتاب) مستأنف خوطب به النبي ﷺ وأمر بذكر قصة مريم لإثارة ذكرها لما بينها ١٦ من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن إذ هى التى صدرت بقصة ذكرها المستتعبة لذكر قصتها وقصص الأنبياء المذكورين فيها أى واذكروا للناس (مريم) أى نبأها فإن الذكر لا يتعلق بالأعيان وقوله تعالى (إذ اتبذت) ظرف لذلك المضاف لكن لا على أن يكون المأمور به ذكر نبئها عند انتبازها فقط بل كل ما عطف عليه وحكى بعده بطريق الاستئناف داخل فى حيز الظرف متمم للنبا وقيل بدل اشتغال من مريم على أن المراد بها نبؤها فإن الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على أن المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل إذ بمعنى أن المصدرية كفى قولك أكرمك إذ لم تكرمنى أى لأن لم تكرمنى فهو بدل اشتغال لا محالة وقوله تعالى (من أهلها) متعلق باتبذت وقوله (مكاناً شرقياً) مفعول له باعتبار ما فى ضمنه من معنى الإتيان المترتب وجوداً واعتباراً على أصل معناه العامل فى الجار والمجرور وهو السرفى تأخير عنه أى اعترلت وانفردت منهم وأنت مكاناً شرقياً من بيت المقدس أو من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت فى مشرفة لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط أو بشئ يسترها وذلك قوله تعالى (فاتخذت من دونهم حجاباً) وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحورات إلى بيت خالتها وإذا طهرت عادت إلى المسجد فينهاى

١٩ مريم

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ١٨

١٩ مريم

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ١٩

١٩ مريم

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَوْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٢١ ١٩ مريم

- في مغسليها أتاها الملك عليه الصلاة والسلام في صورة آدمي شاب أمر دوضى الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى ( فأرسلنا إليها روحنا ) أى جبريل عليه الصلاة والسلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرىء بفتح الراء لكونه سبباً لما فيه روح العباد الذى هو عدة المقربين فى قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان ( فتمثل لها بشراً سوياً ) سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئاً وقبل تمثل فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلحق إليها من كلماته تعالى إذ لو بدالها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته وأما ما قبل من أن ذلك لتهييج شهوتها فتتحدرنطقها إلى رحمتها فمع مخالفتها لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى ( قالت إني أعوذ بالرحمن منك ) فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ماله إليه فضلاً عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لا بتلاتها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف مالا غاية وراؤه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للببالغة فى العباد به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التى هى العصمة عمادهم وأقوله تعالى ( إن كنت تقياً ) أى تتقى الله تعالى وتبالى بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق ١٩ عليه أى فإنى عائدة به أو فتعوذ بتعوذى أو فلا تتعرض لى ( قال إنما أنا رسول ربك ) يريد عليه الصلاة والسلام لى لست بمن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذى استعذت به ( لأهب لك غلاماً ) أى لاكون سبباً فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها للتشريفها وتسليتها والإشعار بعلة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها وفى بعض المصاحف أمرنى أن أهب لك غلاماً ( زكياً ) طاهراً من الذنوب ٢٠ أو نامياً على الخير أى مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح ( قالت أنى يكون لى غلام ) كما وصفت ( ولم يمسسنى بشر ) أى والحال أنهم يباشرنى بالنكاح رجل وإنما قبل بشر مبالغة فى بيان تزهمهم من مبادئ الولادة ( ولم أك بغياً ) عطف على لم يمسسنى داخل معه فى حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح أى ولم أكن فاجرة تبغى الرجال وهى فعول بمعنى الفاعل أصلها بغوى فأدغمت الواو بعد قلبها ياء فى الياء وكسرت الغين للياء وقيل هى فعيل بمعنى الفاعل وإلا لقليل بغوا كما يقال فلان نهو عن المنكر ٢١ وإنما لم تلحقه التاء لأنها من باب النسب كطالق أو بمعنى المفعول أى يبغىها الرجال للفجور بها ( قال ) أى



١٩ مريم

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ ١٩ مريم

- \* الملك تقرير المقاتلة وتحقيقها (كذلك) أى الأمر كما قلت لك وقوله تعالى (قال ربك) الخ استئناف مقرر
- \* له أى قال ربك الذى أرسلنى إليك (هو) أى ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير أن يمسه بشر أصلاً (على) خاصة (هين) وإن كان مستحيلاً عادة لما أنى لا احتاج إلى الأسباب والوسائط وقوله تعالى (ولنجعله آية للناس) إما علة لمعلل محذوف أى ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهاناً يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك أو معطوف على علة أخرى مضمرة أى لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الأول اعتراضية والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الجلالة (ورحمة) عظيمة كائنة (منا) عليهم يهتدون
- \* بهديته ويسترشدون بإرشاده (وكان) ذلك (أمراً مقصياً) محكماً قد تعلق به قضاؤنا الأزلى أو قدر و سطر فى اللوح لا بد من جريانه عليك البتة أو كان أمراً حقيقياً بأن يقضى ويفعل لتضمنه حكماً بالغة
- \* (فحملته) بأن نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها قيل إنه عليه الصلاة ٢٢ والسلام رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح إليها فحملت فى الحال وقيل إن النفخة كانت فى فيها وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعيش مولود وضع ثمانية أشهر غيره وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين (فانتبذت به) أى فاعتزلت وهو فى بطنها كما فى قوله [تدوس بنا الجاهم والزربا] فالجار والمجورور فى حيز النصب على الحالية أى فانتبذت ملتبسة به (مكناً قصياً) بعيداً من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وهو الأنسب بقصر مدة الحمل (فأجاءها المخاض) ٢٣ أى فالجأها وهو فى الأصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل فى غيره كآتى فى أعطى وقرىء المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد فى بطنها للخروج (إلى جذع النخلة) لتستر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لارأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليربها من آياتها ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت ياليتنى مت) بكسر الميم من مات يمت لكفت وقرىء بضمها من مات يموت (قبل هذا) أى هذا الوقت الذى لقيت فيه ما لقيت وإنما قالته مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفهم لا تمنهم أو حذاراً من وقوع الناس فى المعصية بما تكلموا فيها أو جرياً على سنن الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم كما روى عن عمر رضى الله عنه أنه أخذ تبنة من الأرض فقال ياليتنى هذه التبنة ولم أكن شيئاً وعن بلال أنه قال ليت بلال لم تلده أمه (وكنت نسياً) أى شيئاً ناسياً شأنه أن ينسى ولا يعتد به أصلاً وقرىء بالكسر قبل هما لغتان فى ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤

١٩ مريم

وَهَزَى إِلَيْكِ الْخُلَّةَ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ٢٥

١٩ مريم

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ

١٩ مريم

الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦

- لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرى بهما مهموزاً من نسات اللبن إذا صبيت عليه الماء .  
 • فصار مستهلكاً فيه وقرى نسا كعصا (منسياً) لا يخطر ببال أحد من الناس وهو نعت للبالغة وقرى .  
 ٢٤ بكسر الميم اتباعاً له بالسین (فناداها) أى جبريل عليه السلام (من تحتها) قيل أنه كان يقبل الولد وقيل من تحتها أى من مكان أسفل منها تحت الأكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرى .  
 • مخاطبها من تحتها بفتح الميم (أن لا تحزنى) أى لا تحزنى على أن مفسرة أو بأن لا تحزنى على أنها مصدرية .  
 • قد حذف عنها الجار (قد جعل ربك تحتك) أى بمكان أسفل منك وقيل تحت أمرك إن أمرت بالجرى .  
 • جرى وإن أمرت بالإمساك أمسك (سرياً) أى نهراً صغيراً حسبما روى مرفوعاً قال ابن عباس رضى الله عنه إن جبريل عليه السلام ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فإنها كانت نخلة يابسة لأرأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها إزذاك رأساً وخوصاً وثمرأ .  
 • وقيل كان هناك ماء جار والأول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سرياً أى سيداً نبيلاً رفيع الشأن جليلاً وهو عيسى عليه السلام قائلنوين للتفخيم والجملة تعليل لا تنفاه الحزن المفهوم من النهى عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها التثنية وتأكيد التعليل .  
 ٢٥ وتكميل التسلية (وهزى) هز الشئ تحريكه إلى الجهات المتقابلة تحريكاً عفيفاً متداركاً والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى (إليك) أى إلى جنتك والباء في قوله عز وعلا (بجذع النخلة) صلة للتأكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الخ قال القراء تقول العرب هزه وهز به وأخذ الخطام وأخذ بالخطام أو لالصاق الفعل بمدخولها أى افعلى الهز بجذعها أو هزى الثمرة بهزه وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز أى هزى إليك الرطب كأنها بجذعها (تساقط) أى تسقط النخلة .  
 • (عليك) إسقاطاً متواتراً حسب تواتر الهز وقرى تسقط ويسقط من الإسقاط بالناء والياء وتساقط يظهر التامين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بإدغامها فى السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على أن الناء فى الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى (رطباً) على القراءات الثلاث الأول مفعول وعلى الست البواقي تمييز وقوله تعالى (جنياً) صفة له وهو ما قطع قبل يسه فعيل بمعنى مفعول أى رطباً .  
 ٢٦ مجنياً أى صالحاً للاجتماع وقيل بمعنى فاعل أى طرياً طيباً وقرى جنياً بكسر الجيم للاتباع (فكلى واشربى)

- ١٩ مريم فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
- ١٩ مريم يَتَأَخَتْ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾
- ١٩ مريم فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

- أى ذلك الرطب وماء السرى أو من الرطب وعصيره (وقرى عيناً) وطبى نفساً وارفضى عنها ما أحزنك وأهمك فإنه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتعبدین بالأحكام العادية بأن أظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم إلى الوقوف على سريرة أمرك وقرى.
- وقرى بكسر القاف وهى لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره أو من القر فإن دمة السرور باردة ودمة الحزن حارة ولذلك يقال قره العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه (فإما ترين من البشر أحداً) أى آدمياً كائننا من كان وقرى. ترثن على لغة من يقول لبات بالحج لما بين الحمزة والياء من التأخى (فقلولى) له إن استنطقك (إنى نذرت للرحمن صوماً) أى صمتاً.
- وقد قرى. كذلك أو صياماً وكان صيامهم بالسكوت (فلن أكلم اليوم إنسياً) أى بعد أن أخبرتك بنذرى وإنما أكلم الملائكة وأناجى ربى وقيل أمرت بأن تخبر بنذرها بالإشارة وهو الأظهر قال الفراء العرب تسمى كل ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأى طريق وصل مالم يؤكد بالمصدر فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام وإنما أمرت بذلك لكرامة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فإنه نص قاطع في قطع الطعن (فأتت به قومها) أى جاءتهم مع ولدها راجعة إليهم عندما طهرت من نفسها (تحمله) ٢٧
- أى حاملة له (قالوا) مؤننين لها (يامريم لقد جئت) أى فعلت (شيئاً فرياً) أى عظيماً بديعاً منكراً من فرى الجلد أى قطعه أو جئت مجتهداً عجيباً عبر عنه بالشئ تحقيقاً للاستغراب (ياأخت هرون) استفاد ٢٨
- لتجديد التعبير وتأكيده التوبيخ عنوانه هرون النبي ﷺ وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الآخرة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به أى كنت عندنا مثله في الصلاح أو شتموها به (ما كان أبوك امراً سوء وما كانت أمك بغياً) تقرير لكون ما جاءت به فرياً منكراً وتنبية على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أخفش (فأشارت إليه) ٢٩
- أى إلى عيسى عليه السلام أن كلوه والظاهر أنها حينئذ بينت نذرها وأنها بمعزل من محاورة الإنس حسبما أمرت فقيه دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالإشارة لا بالعبارة والجمع بينهما بما لا عهد به (قالوا) • منكرين لجوابها (كيف نكلم من كان في المهد صبياً) ولم نعهد فيما سلف صبياً يكلمه عاقل وقيل كان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ما غش منهم صالح لقرية وبعبده وهو هنالك قريبه خاصة بدليل أنه مسوق للتعجب وقيل هى زائدة والظرف صلة من وصيها حال من المستكن فيه أو هى تامة أو دائمة كما فى قوله تعالى وكان الله عليهما حكيمًا .

١٩ مريم

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾

١٩ مريم

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾

١٩ مريم

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾

١٩ مريم

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

١٩ مريم

ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾

- ٣٠ ( قال ) استئناف دبنى على سؤال نفساً من سياق النظم الكريم كأنه قيل فاذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام ( إني عبد الله ) أنطقه الله عز وجل بذلك آثر ذى أثر تحقيقاً للحق ورداً على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما الصلاة والسلام وعن السدى رضى الله عنه لما أشارت إليه غضبوا وقالوا السخريتها بنا أشد علينا مما فعلت وروى أنه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وانكأ على يساره وأشار إليهم بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان ( آتاني الكتاب ) أى الإنجيل ( وجعلني نبياً ) ( وجعلني ) مع ذلك ( مباركا ) نفاعاً معداً للخير والتعبير بلفظ الماضى فى الأفعال الثلاثة إما باعتبار ما سبق فى القضاء المحتوم أو بجعل ما فى شرف الوقوع لاحالة واقعاً وقيل أكمله الله عقلاً واستنباه طفلاً ( أينما كنت ) أى حيثما كنت ( وأوصانى بالصلاة ) أى أمرنى بها أمراً مؤكداً ( والزكاة ) زكاة المال إن ملكته أو بتطهير النفس عن الرذائل ( مادمت حياً ) فى الدنيا ( وبراً بوالدتي ) عطف على مباركا أى جعلني باراً بها وقرىء بالكسر على أنه مصدر وصف به مبالغة أو منصوب بمضمر دل عليه أوصانى أى وكلفني براً ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفاً على الصلاة والزكاة والتسكير للتفخيم ( ولم يجعلني جباراً شقياً ) عنيداً لله تعالى لفرط تكبره ( والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ) كما هو على يحيى على أن التعريف للعهد والظاهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإن إثبات جنس السلام لنفسه تعريض بإثبات ضده لأضداده كما فى قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى ( ذلك ) إشارة إلى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو مرتبته وبعد منزلته وامتيازته بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس ( عيسى بن مريم ) لا ما يصفه النصراني وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه ( قول الحق ) بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقول إني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو قول الحق الذى لا ريب فيه والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتنام القصة وقيل صفة عيسى أو بدله أو خبر ثان

- مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ١٩ مريم
- وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ١٩ مريم
- فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ١٩ مريم
- أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ ١٩ مريم

ومعناه كلمة الله وقرى. قال الحق وقول الحق فإن القول والقال في معنى واحد (الذى فيه يمترون) أى \* يشكون أو يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله وقرى. بناء الخطاب (ما كان لله) أى ماصح ٣٥ وما استقام له تعالى (أن يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) تبكيت لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا قضى أمراً من الأمور أن يعلق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخير فن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وقرى. فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى (وإن الله ربى وربكم فاعبدوه) من تمام كلام عيسى ٣٦ عليه السلام قيل هو عطف على قوله لى عبد الله داخل تحت القول وقد قرى. بغير واو وقرى. بفتح الهمزة على حذف اللام أى ولأنه تعالى ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وقيل معطوف على الصلاة (هذا) أى الذى ذكرته من التوحيد (صراط مستقيم) لا يضل سالكه والفاء فى قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيهاً على سوء ٣٧ صنيعهم بهم فلم يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فإن ما حكى من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصاً قاطعة فى كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والإفراط أو فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقالت الملائكية هو عبد الله ونبىه (فويل للذين كفروا) وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول إيداناً بكفرهم جميعاً وإشعاراً بعلّة الحكم (من مشهد يوم عظيم) أى من شهود يوم عظيم الحول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة أو من وقت شهوده أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن يشهد عليهم الملائكة والأنبياء عليهم السلام وألسنتهم وأذانهم وأيديهم وأرجلهم وسائر آراهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به فى حق عيسى وأمه عليهما السلام (أسمع بهم وأبصر) تعجب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذ ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم (يوم ٣٨ يأتوننا) للحساب والجزاء أى يوم القيامة جدير بأن يتعجب منها بعد أن كانوا فى الدنيا صامعيّاً أو تهديداً بما يسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحقّق بهم فيه والجار والمجرور على الأول فى موقع الرفع وعلى الثانى فى حيز النصب (لكن الظالمون اليوم) أى فى الدنيا \* ٣٤ - أبى السودج .

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ١٩ مريم

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ١٩ مريم

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ ١٩ مريم

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ ١٩ مريم

- \* (في ضلال مبين) لا تترك غايته حيث أغفلوا الاستماع والنظر بالسكينة ووضع الظالمين موضع الضمير
- ٣٩ الإيذان بأمرهم في ذلك ظالمون لأنفسهم (وأنذرهم يوم الحسرة) أي يوم يتحسر الناس قاطبة أما المسمى فإلى إسمائه وأما المحسن فعلى قلة إحسانه (إذ قضى الأمر) أي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار روى أن النبي ﷺ سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظرون فينادى المادى بأهل الجنة خلود فلا موت وبأهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً وأهل النار غماً إلى غم، إذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة فإن المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف (وهم في غفلة) أي عما يفعل بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) وهما جاثان حاليان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين أي مستقرون في ذلك وهم في تبنيك الحالتين وما بينهما
- ٤٠ اعتراض أو من مفعول أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حال متضمنة لمعنى التعليل (إننا نحن نرث الأرض ومن عليها) لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفى الوارث لإرثه (وإلينا يرجعون) أي يردون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً
- ٤١ (واذكر) عطف على أنذرهم (في الكتاب) أي في السورة أو في القرآن (إبراهيم) أي اتل على الناس قصته وبلغها إليهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم فإنيهم ينتمون إليه عليه السلام فعسام باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبايح (إنه كان صديقاً) ملازماً للصدق في كل ما يأتي ويذر أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الأمر فإن وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره (نبياً) خبر آخر لكان مقيد للأول مخصص له كما ينبغي عنه قوله تعالى من النبيين والصدّيقين الآية أي كان جامعاً بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للبالغ في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فإن كل نبي صديق (إذ قال) بدل اشتغال من إبراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله أو متعلق بكان أو نبياً وتعليل الذكر بالآوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر مراراً أي كان جامعاً بين الاثنتين حين قال (لأبيه) أزر متلفاً في الدعوة مستملاً له (بأب) أي بأبي فإن التاء عوض عن ياء الإضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا أبتا لكون الالف بدلاً من الياء (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر شيئاً من المسموعات والمبصرات في ذلك خضوعك وخشوعك بين يديه أو لا يسمع ولا يبصر شيئاً من المسموعات والمبصرات في ذلك

يَتَأْتِي إِيَّايَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ١٩ مريم

يَتَأْتِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ١٩ مريم

يَتَأْتِي إِيَّايَ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ١٩ مريم

- ما ذكر دخولا أولاً (ولا يغني) أي لا يقدر على أن يغني (عنك شيئاً) في جلب نفع أو دفع ضرر ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه أبداع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكليّة عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل وبأبي الركون إليه فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحقق إلا لمن له الاستغناء التام والإناعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشئ لو كان حياً بمنزلة سمياً بصيراً قادراً على النفع والضرر مطبقاً بإيصال الخير والشر لكن كان ممكناً لاستنكف العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانتقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بهجاد مصنوع من حجر أو شجر ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر ثم دناه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق المبين لما أنه لم يكن محظوظاً من العلم الإلهي مستقلاً بالنظر السوي مصدراً لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) ولم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان ٤٣ في أفصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعراف بأحوال ماسلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال (فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) أي مستقيماً موثقاً إلى أسنى المطالب منجياً عن الضلال المؤدى إلى مهاوى الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان أنه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان لما أنه الأمر به فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) فإن عبادتك للأصنام عبادة له إذ هو الذي يسو لهالك ويفريك ٤٤ عليها وقوله (إن الشيطان كان للرحمن عصياً) تعليل لموجب النهي وتأكيده ببيان أنه مستعص على ربك الذي أنعم عليك بفنون النعم ولا ريب في أن المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم منه والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير والاقتصاد على ذكر عصيانه من بين سائر جنائياته لأنه ملاكها أولاً أنه نتيجة معاداته لأدم عليه السلام وذريته فتذكيره داعٍ لآيئه إلى الاحتراز عن مولاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه وقوله (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب ٤٥ من الرحمن) تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلى به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمون وقع صفة للعذاب مؤكدة لافعال التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وإظهار الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك ربك الكريم (فتكون للشيطان ولياً) أي قريباً له في اللعن الخلد وذكر الخوف للجمالة •

قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُحَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ١٩ مريم

قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ١٩ مريم

- ٤٦ وإبراز الاعتناء بأمره (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرأ على عناده (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) أي أمرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله (لئن لم تنته لأرجحنك) تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير أي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأرجحنك بالحجارة وقيل باللسان
- ٤٧ (واهجرني) أي فاحذرني واتركني (مليا) أي زمانا طويلا أو مليا بالذهاب مطيقا به (قال) استئناف
- كما سلف (سلام عليك) توديع ومشاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكره بعد
  - ولا أشفئك بما يؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربي) أي أستدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لآبي بقوله تعالى إنه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقاءه على الكفر فإنه مما لا مسامحة له عقلا ولا نقلا وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا تباها قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى إلى أنه يطلب قال لعمري أبي طالب لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية والاشتباه في أن هذا الوعد من إبراهيم عليه السلام وكذا قوله لا تستغفرون لك وما ترتب عليهما من قوله واغفر لآبي الآية إنما كان قبل انقطاع رجائه عن إيمانه لعدم تبين أمره لقوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى لا أقول إبراهيم لآبيه لا تستغفرون لك لا يقدح في جوازه لكن لا لأن ذلك كان قبل ورود النهي أو لموعدة وعدها إياه كما قيل لما أن النهي إنما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الأمر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله النهي أصلا وأن الوعد بالمحذور لا يرفع خطره بل لأن المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان للكافر المرجو لإيمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه أحد من العقلاء وأما عدم جوازه قبل تبين الأمر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار لا إلى نفس الاستغفار بقوله واغفر لآبي الآية لأنها كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيدي القسمي وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الأمر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله (إنه كان بي حفيا) أي بليغا في البر والالطاف لتعليل لمضمون ما قبله



وَأَعْتَزَّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ١٩ مريم

فَلَمَّا أَعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ١٩ مريم

وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ١٩ مريم

وَأَذْكُرِي فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ ١٩ مريم

- (وأعزلكم) أى أبعادك وعن قومك (وما تدعون من دون الله) بالمهاجرة بدني حيث لم تؤثر فيكم نصاحي (وأدعوا ربى) أعبدوه وحده وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور في تفسير سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد أيضاً بقوله رب هبلى من الصالحين حسب ما يساعده السياق والسياق (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقياً) أى خائفاً ضائع السمعى وفيه تعريض بشقايتهم فى عبادة آلهتهم وفى تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب والتنبيه على حقيقة الحق من أن الإجابة والإجابة بطريق الفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالخاصة وذلك من الغيوب المختصة بالعلم الخبير ما لا يخفى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بالمهاجرة إلى الشام (وهبنا له إسحق ويعقوب) ٤٨ بدل من فارقم من أقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فإن المشهور أن الموهوب حينئذ إسماعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم إثر دعائه بقوله رب هبلى من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله هبنا لبيان كمال عظم النعم التى أعطاها الله تعالى إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء فإنهما شجرتا الأنبياء لهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذو عدد كثير هذا وقد روى أنه عليه السلام لما قصد الشام أتى أولا حمران وتزوج بسارة وولدت له إسحق وولد لإسحق يعقوب والأول هو الأقرب الاظهر (وكلا) أى كل واحد منهما أو منهم وهو مفعول أول لقوله تعالى (جعلنا نبياً) قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم أى كل واحد منهم جعلنا نبياً لا بعضهم دون بعض (وهبنا ٥٠ لهم من رحمتنا) هى النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبياً للإيذان بأنها من باب الرحمة وقيل هى المال والأولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر أنها عامة لكل خير دينى ودنيوى أو توه بمالم يؤته أحد من العالمين (وجعلنا لهم لسان صدق علياً) يفتخرونهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل (واذكر فى الكتاب موسى) قدم ذكره على ذكر ٥١ إسماعيل لئلا يفصل عن ذكر يعقوب عليهما السلام (لأنه كان مخلصاً) موحداً أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله تعالى وأخلص نفسه عما سواه وقرىء مخلصاً على أن الله تعالى أخلصه (وكان رسولاً نبياً) أرسله الله تعالى إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولاً مع كونه أخص وأعلى.

١٩ مريم

وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢

١٩ مريم

وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣

١٩ مريم

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤

١٩ مريم

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ٥٥

١٩ مريم

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦

- ٥٢ (ونادينا من جانب الطور الايمن) الطور جبل بين مصر ومدين والايمان صفة للجانب أي نادينا من ناحيته اليمنى من اليمن وهي التي تلي يمن موسى عليه السلام أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه أنه تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه نجياً) تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجياً أي مناجياً حال من أحد الضميرين في نادينا أو قربناه وقيل مرتفعاً لما روى أنه عليه السلام رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم (ووهبنا له من رحمتنا) أي من أجل رحمتنا وأفتنا له أو بعض رحمتنا (أخاه) أي معاضدة أخيه ومؤازرته لإجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى لا نفسه لأنه كان أكبر منه عليهما السلام وهو على الأول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى (هرون) عطف بيان له وقوله تعالى (نبياً) حال منه (واذكر في الكتاب إسماعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلاً وقوله تعالى (إنه كان صادق الوعد) تعليل لموجب الأمر وإيراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به ونأمله أنه وعد الصبر على الذبح بقوله مستجدنى إن شاء الله من الصابرين فوفى (وكان رسولا نبياً) فيه دلالة على أن الرسول لا يجب أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم عليه السلام كانوا على شريعته (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) اشتغالا بالأمر وهو أن يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه قال تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلاة قرأوا أنفسهم وأهلكم ناراً وقصداً إلى تكميل الكل بتكميلهم لأنهم قدوة يؤتى بهم وقيل أهله أمته فإن الأنبياء عليهم السلام آباء الأمم (وكان عند ربه مرضياً) لا تصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة (واذكر في الكتاب إدريس) وهو سبط شيث وجد أبي نوح فإنه نوح بن ملك بن متوشلح بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريباً من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب (إنه كان صديقاً) ملازماً للصدق في جميع أحواله (نبياً) خبر آخر لكان مخصص للأول إذ ليس كل صديق نبياً .

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

١٩ مريم

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ١٩ مريم

- (ورفعنا مكاناً علياً) هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجليل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة روى عن كعب وغيره في سبب رفع إدريس عليه السلام أنه سئل ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب إني قد مشيت فيما يوما وقد أصابني منها ما أصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب ما الذي قضيت فيه قال إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يارب اجعل بينى وبينه خلة فأذن الله تعالى له فرفعه إلى السماء (أولئك) إشارة إلى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للإشارة بعلو رتبهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (الذين أنعم الله عليهم) صفته \* أى أنعم عليهم بفضول النعم الدينية والدنيوية حسبما أشير إليه بجملا وقوله تعالى (من النبيين) بيان للوصول \* وقوله تعالى (من ذرية آدم) بدل منه بإعادة الجار ويجوز أن تكون كلمة من فيه للتبعض لأن المنعم عليهم \* أعم من الأنبياء وأخص من الذرية (ومن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا معه خصوصاً وهم من \* عدا إدريس عليه السلام فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية إبراهيم) وهم الباقون \* (ولإسرائيل) عطف على إبراهيم أى ومن ذرية إسرائيل وكان منهم موسى وهرون وذكرا ويحيى وعيسى \* عليهم السلام وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية (ومن هدينا واجتبتنا) أى ومن جملة من هديناهم \* إلى الحق واجتبتناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى (إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) خبر \* لأولئك ويجوز أن يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى وإخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجداً وبكياً حالان من ضمير خروا أى ساجدين باكين عن النبي ﷺ انلوا القرآن وابكوا فإن لم تسكوا فتيأكوا والبكى جمع بك كالسجد جمع ساجد وأصله بكوى فاجتمعت الواو والياء وسبقت لإحداهما بالسكون فقالت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لأن الباء غير حقيقى وقرئ بكياً بكسر الباء للإتباع قالوا ينبغى أن يدعو الساجد فى سجدة به بما يليق بآيتها فهمنا يقول اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفى آية الإسراء يقول اللهم اجعلنى من الباكين إليك الخاشعين لك وفى آية التنزيل السجدة يقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك .

خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ ١٩ مريم

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ ١٩ مريم

جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ ١٩ مريم

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ١٩ مريم

- ٥٩ (خفاف من بعدهم خلف) يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب شر خلف بالسكون أى فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء (أضاعوا الصلاة) وقرىء الصلوات أى تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) من شرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والاهماك فى فنون المعاصي وعن على رضى الله عنه هم من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) أى شراً فإن كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد كقوله [فن يلقى خيراً يحمده الناس أمره] ومن يغولا يعدم على الغى لا بما] وعن الضحاك جزاء غى كقوله تعالى يلقى أناماً أى جزاء أنام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعبد منه أوديتها وقوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) يدل على أن الآية فى حق الكفرة (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار انصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً أى فأولئك المنعوتون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح (يدخلون الجنة) بموجب الوعد المحتوم وقرىء يدخلون على البناء المفعول (ولا يظلمون شيئاً) أى لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئاً أو لا ينقصون شيئاً من النقص وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم (جنات عدن) بدل من الجنة ٦٠ بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض أو نصب على المدح وقرىء بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هى أو تلك جنات الخ أو مبتدأ خبره الى وعد الخ وقرىء جنة عدن نصيباً ورفعاً وعدن علم لمعنى العدن وهو الإقامة كما أن فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفها أعلام للمعانى الفينة وهى الساعة التى أنت فيها والسحر والأمس لجرى لذلك مجرى العدن أو هو علم لأرض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ إبدال ما أضيف إليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى (التي وعد الرحمن عباده) وجعله بدلاً منه خلاف الظاهر فإن الموصول فى حكم المشتق وقد نصوا على أن البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة الإبدان بأن وعدوا وإنجازه لكالسعة رحمته تعالى والباء فى قوله تعالى (بالغيب) متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد إلى الجنات أو من عباده أى وعدوا إياهم ملتبسة أو ملتبسين بالغيب أى غائبة عنهم غير حاضرة أو غائبين عنها لا يرونها وإنما آمنوا بها بمجرد الإخبار أو بمضمر هو سبب الوعد أى وعدوا إياهم بسبب إيمانهم (إنه كان وعده) أى مواعده كأنما كان فدخل فيه الجنات الموعودة دخولا أو لياولما كانت هى مثابة يرجع إليها قيل (مأنيا) أى يأتيه من وعدله لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأنيا أى مفعولاً منجزاً من أتى إليه إحساناً أى فعله (لا يسمعون

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٦﴾

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿١٩﴾ مريم

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

فيها لغوا) أى فضوله كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها وفيه تنبيه على أن اللغو بما ينبغي أن يجنب عنه في هذه الدار ما لم يكن (إلا سلاماً) استثناء منقطع أى لكن يسمعون تسليماً • الملائك عليهم أو تسليماً بعضهم على بعض أو متصل بطريق التعليق بالحال أى لا يسمعون لغواً إلا سلاماً بحيث استحال كون السلام لغواً استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله [ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بمن قول من قراع الكتاب] أو على أن معناه الدعاء بالسلامة وهم أغنياء عنه من باب اللغو ظاهراً وإنما فائدته الإكرام وقوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشى) وارد على عادة المتعممين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودوره وإلا فليس فيها بكرة ولا عشى (تلك الجنة) مبتدأ وخبر جى به لتعظيم شأن الجنة • ٦٣ وتعيين أهلها فإن ما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان ببعد منزلها وعلو رتبته (التي نورث) أى نورثها (من عبادنا من كان تقياً) أى نبيها عليهم يتقواهم ونمتعهم بها كما تبقى على الوارث مال مورثه ونمتعه به والورثة أقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الألفاظ من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا إبطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا وأطاعوا زيادة في كرامتهم وقرىء نورث بالتشديد (وما ننزل إلا بأمر ربك) حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سئل عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه أربعين يوماً أو خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وأنزل الله عز وجل هذه الآية وسورة الضحى والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع للتنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الإنزال والمعنى وما ننزل وقتاً غيب وقتاً إلا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرىء وما يتنزل بالياء والضمير للوحى (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما نحن فيه من الأماكن والأزمنة ولا ينتقل من مكان إلى مكان ولا تنتزل في زمان دون زمان إلا بأمره ومشيته (وما كان ربك نسياً) أى تاركاً لك يعنى أن عدم النزول لم يكن إلا لعدم الأمر به لحكمه بالغة • فيه ولم يكن لنركه تعالى لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة وفي إعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ إلى الكمال اللائق مضاعفاً إلى ضميره عليه السلام من تشریفه والإشعار بعلو الحكم ما لا يخفى وقيل أول الآية حكاية قول المنقذين حين يدخلون الجنة مخاطباً بعضهم بعضاً بطريق التبرجع والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة إلا بأمر الله تعالى ولطفه وهو مالك الأمور كلها أساقفها ومتروقيها وحاضرها وفواجدها وما نجاهه من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسياً تقرير لقولهم من جهة الله تعالى أى وما كان ناسياً لأعمال العاملين وما ودهم من الثواب عليها وقوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما) بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى • ٦٥

١٩ مريم

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾

١٩ مريم

أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾

فإن من بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما كيف يتصور أن يحوم حول ساحة سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ربك والفاء في قوله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) لترتيب ما بعدهما من موجب الأمرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام أو غير ناس لأعمال العاملين والمعنى لحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فإن إيجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه أو حين عرفت أنه تعالى لا ينسأك أولاً ينسى أعمال العاملين كأنما من كان فأقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بإبطاء الوحي وهزو الكفرة فإنه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كافي قوله تعالى واصطبر عليها لتضمينه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للبارز اصطبر لقرئك أي أثبت له فيما يورد عليك من شدائده (هل تعلم له سميًا) السمي هو الشريك في الاسم والظاهر أن يراد به ههنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والأرض وما بينهما والمراد بإنكار العلم ونفيه إنكار المعلوم ونفيه على أبلغ وجهه وأكده فالجمله تقرير لما أفاده الفاء من عليه ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء إطلاقه على الغير بالكلية حقاً أو باطلاً وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فإن المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة أصلاً وقيل هو الشريك في اسم الإله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئاً يسمى بالاستحقاق إلهاً وأما التسمية على الباطل فهي كالتسمية فتقرير الجمله لوجوب العبادة باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الإشعار باستحقاق العبادة فتدبر (ويقول الإنسان) المراد به إما الجنس بأسره وإسناد القول إلى الكل لوجود القول فيما بينهم وإن لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً وإنما القاتل واحد منهم وإما البعض المعلوم منهم وهم الكفرة أو أبي بن خلف فإنه أخذ عظاماً بالية ففقتها وقال يزعم محمد أنا نبعت بعد ما نموت ونصير إلى هذه الحال أي يقول بطريق الإنكار والاستبعاد (أنذامات لسوف أخرج حياً) أي أبعث من الأرض أو من حال الموت وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لما أن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لابه فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصه للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلاصت الهمزة واللام للتعويض في بالله فساخ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ إذا ماتت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (أولا يذكر الإنسان) من الذكر الذي يراد به التفكير والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكير فيما جرى عليه من شئون التكوين المنحبة بالقلع عن القول المذكور وهو السرف لإسناده إلى الجنس أو إلى الفرد بذلك العنوان والهمزة للإنكار التويخي والواو

١٩ مريم

فَوَرِّبْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾

١٩ مريم

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾

- لعطاب الجملة المنفية على مقدر يدل عليه بقول أى يقول ذلك ولا يذكر (أنا خلقناه من قبل) أى من قبل  
 الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه (ولم يك شيئاً) أى والحال أنه لم يكن حينئذ شيئاً أصلاً فحيث خلقناه وهو  
 فى تلك الحالة المادية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الوقوع فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة وإيجاد مثل  
 ما كان فيها من الأعراض أولى وأظهر فإله لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من التكثير وقرىء يذكروا ويتذكر  
 على الأصل (فوربك) إفسامه باسمه عزت أسماؤه مضاعفاً إلى ضميره عليه السلام لتحقيق الأمر بالإشعار  
 بعليته وتفخيم شأنه <sup>عليه</sup> ورفع منزلته (لنحضرهم) أى لتجتمعن القائلين بالسوق إلى المحشر بعد  
 ما أخرجناهم من الأرض أحياء ففيه إثبات للبعث بالطريق البرهاني على أبلغ وجه وأكده كأنه أمر واضح  
 غنى عن التصريح به وإنما المحتاج إلى البيان ما بعد ذلك من الأحوال (والشياطين) معطوف على الضمير  
 المنصوب أو مفعول معه روى أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التى كانت تغويهم كل منهم  
 مع شيطانه فى سلسلة وهذا وإن كان مختصاً بهم لكن ساع نسبته إلى الجنس باعتبار أنهم لما حشروا وفيهم  
 الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعاً كما ساع نسبة القول المحكى إليه مع كون القائل بعض  
 أفرادهم (ثم لنحضرهم حول جهنم جثيًّا) ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسروراً  
 وينال الأشقياء ما دحروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظاً من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشمازتهم  
 بهم والجثى جمع جاث من جثا إذا قعد على ركبتيه وأصله جثو وبواوين فاستثقل اجتماعها بعد ضمتين  
 فكسرت التاء للتخفيف فانقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو ياء وسبقت  
 إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء الأولى وكسرت الجيم إبتاعاً لما بعدها وقرىء بعضهم  
 ونصبه على الحالية من الضمير البارز أى لنحضرهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول  
 المطلاع أو لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب فإن أهل الموقف جاثون  
 كما ينطق به قوله تعالى وترى كل أمة جاثية على ما هو المعتاد فى مواقف التقاؤل وإن كان المراد بالإنسان  
 الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف إلى شاطئ جهنم جثاة لإهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من  
 الشدة (ثم لنزعهن من كل شيعه) أى من كل أمة شاعت ديناً من الأديان (أيهم أشد على الرحمن عتياً) ٦٩  
 أى من كان منهم أعصى وأعتى فنظرهم فيها وفى ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو عن بعض من أهل  
 العصيان وعلى تقدير تفسير الإنسان بالكفرة فالمعنى إنا نميز من كل طائفة منهم أعصام وأعصام وأعصام  
 فأعتاهم فنظرهم فى النار على الترتيب أو ندخل كلا منهم طبقته اللائقة بهو أيهم مبنى على الضم عند سيبويه  
 لأن حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملاً على كل وبعض الزوم بالإضافة وإذا حذف صدر  
 صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه ومنصوب المهمل بنزع عن ولذلك قرىء منصوباً ومرفوع عند غيره بالابتداء

١٩ صريم

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

١٩ صريم

وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾

١٩ صريم

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ

١٩ صريم

نَدِيًّا ﴿٧٣﴾

على أنه استفهامي وخبره أشد والجملة محكية والتقدير لنزعن من كل شيعة الذين يقال لهم أيهم أشد أو معلق عنها لنزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من أو على معنى لنزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كأن سائلا قال على من عتوا ف قيل على الرحمن أو متعلق بأفعل وكذا الباء في قوله تعالى (ثم لنحس أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أي هم أولى بصلبها أو صلبهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء الشيع فإن عذابهم مضاعف لاضلالهم وإضلالهم والصلى كالمقى صيغة وإعلا لا وقرىء بضم الصاد (وإن منكم) التفات لإظهار مزيد الاعتناء بضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور ويؤيد الأول أنه قرىء وإن منهم أي مامنكم أيها الإنسان (إلا واردها) أي وأصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتهار بغيرهم وعن جابر أنه عليه السلام سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى أو أهلك عنها مبعدون فالمراد به الإبعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها (كان) أي ورودهم إياها (على ربك حتما مقضيا) أي أمرا محتوما أوجه الله عز وجل على ذاته وقضى أنه لا بد من وقوعه البتة وقيل أقسم عليه (ثم ننجي الذين اتقوا) الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجنو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون إلى الجنة وقرىء ننجى بالتخفيف وينجى وينجى على البناء للفعول وقرىء ثمة ننجى بفتح اللام أي هناك ننجيهم (ونذر الظالمين) بالكفر والمعاصي (فيها جثيا) منهار بهم كما كانوا قبل فيه دليل على أن المراد بالورود الجنوحوا إليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ولباق الفجرة فيها على هيأتهم وقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم) الآية إلى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم أي وإذا تتلى على المشركين (آياتنا) التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى (بينات) أي مرتلات الألفاظ مبيِّنات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول عليه السلام أو بينات الإعجاز حال مؤكدة من آياتنا (قال الذين كفروا) أي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على أنهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له أو قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم الضر بن الحرث وأتباعه



وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنَاءَ وَرِعًا ۖ ﴿٧٤﴾

١٩ مريم

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۖ ﴿٧٥﴾

١٩ مريم

- الفجرة واللام في قوله تعالى (الذين آمنوا) للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الأجل
- كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه أى قالوا لأجلهم وفي حقهم
- والاول هو الاول لأن قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى (أى الفريقين) أى
- المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا (خير) نحن أو أتم (مقاماً) أى مكاناً وقرىء بضم الميم أى موضع
- إقامة ومزل (وأحسن ندياً) أى مجلساً ومجتمعاً يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون
- ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقر المؤمنين يريدون بذلك أن خيريتهم حالاً وأحسنيتهم مثلاً
- عما لا يقبل الإنكار وأن ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده إذ هو العيار على الفضل والنقصان
- والرفعة والوضعة وأن من ضرورته هو أن المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس
- العقيم والرأى السقيم إلا لكونهم جملة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد
- عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثناً ورئياً) أى كثيراً من القرون ٧٤
- التى كانت أفضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعادتهم ودواضرتهم من الأمم العاتية قبل
- هؤلاء أهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد
- والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فليتنظر هؤلاء أيضاً مثل ذلك فكهم مفعول أهلكنا ومن قرن بيان لإبهامها
- وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم
- أحسن أثناً فى حين النصب على أنه صفة لكم وأثناً تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جدمه والخرق
- ما لبس منه ورث والرئى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرىء رياء على قلب الهمزة ياء
- وإدغامها أو على أنه من الرى وهو النعمة والترفة وقرىء ريتا على القلب ورياً بمحذف الهمزة وزيا
- بالزاي المعجمة من الزى وهو الجمع فإنه عبارة عن المحاسن المجموعة (قل من كان فى الضلالة فليمدد ٧٥
- له الرحمن مداً) لما بين عاقبة أمر الأمم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة أمر
- رسول الله ﷺ بأن يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل أمر الفريقين إما على وجه كلى
- متناول لهم ولغيرهم من المنتمين فى اللذة العانية المبتهجين بها على أن من على عمومها وإما على وجه خاص
- بهم على أنها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذتهم والإشعار بعله الحكم أى من كان مستقراً فى الضلالة
- مغموراً بأجلهم والغفلة عن عواقب الأمور فليمدد له الرحمن أى يمدله ويمهله بطول العمر وإعطاء المال
- واتمكين من التصرفات وإخراجه على صيغة الأمر للإيدان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة
- لقطع للماذير كما ينبى عنه قوله عز وجل أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر أو للاستدراج كما ينطق به

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

١٩ مريم

مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

١٩ مريم

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾

قوله تعالى إنما نمل لهم ليزدادوا إثماً وقيل المراد به الدعاء بالممد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلال لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها إذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة النبوية وقوله تعالى (حتى إذا رآوا ما يوعدون) غاية للدم الممد لا أقول المفتخرين كما قيل إذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حين جواب إذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها وقوله تعالى (إما العذاب وإما الساعة) تفصيل للوعد بدل منه على سبيل البدل فإنه إما العذاب الديني بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإما يوم القيامة وما نالهم فيه من الحزى والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فإن العذاب الأخرى لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى (فسيعلمون) جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى أى حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الديني أو الأخرى فقط فسيعلمون حينئذ (من هو شر مكاناً) من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً (وأضعف جنداً) أى فئة وأنصاراً لا أحسن ندياً كما كانوا يدعونه وليس المراد أن له ثمة جنداً ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً وإنما ذكر ذلك رداً لما كانوا يزعمون أن لهم أعواناً من الأعيان وأنصاراً من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين لإثبات حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمدد الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إهمال الكافر وتمتيعه بالحياة ليس لفضله عقب ذلك ببيان أن قصور حظ المؤمن من الله ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى (والباقيات الصالحات خير) على تقدير الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جمته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى (عند ربك) أى الطاعات التى تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره لتشريفه ﷺ (ثواباً) أى عائدة بما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفترخون بها لاسيما وآلها النعيم المقيم وآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الأليم كما أشير إليه بقوله تعالى (وخير مرداً) أى مرجعاً وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيدها وفي التفضيل مع أن مال الكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية في العاقبة تمكهم بهم (أفرايت الذى

١٩ مريم

أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

١٩ مريم

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾

- كفر بآياتنا) أى بآياتنا التى من جملتها آيات البعث نزلت فى العاص بن وائل كان لحباب بن الارت عليه مال فافتنه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر به حياً ولا ميتاً ولا حين بعثت قال فإذا بعثت جئني فيكون لي ثمة مال وولد فأعطيك وفى رواية قال لا أكفر به حتى بميتك ثم تبعث فقال لى لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولداً فأفصيك فنزلت فاهمزة للتعجب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما فى الاستعمال اقصد التعجب بأن الأول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر إلى الذى صنع كذا بمعنى انظر إليه فتعجب من حاله والثانى يعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذى صنع كذا بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل أرأيت الذى يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنظرت فرأيت الذى كفر بآياتنا الباهرة التى حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها (وقال) مستهزئاً بها مصدر الكلامه باليمين الفاجرة والله (لا وتين) فى الآخرة (مالا وولداً) أى انظر إليه فتعجب من حاله البديعة وجراته الشنيعة هذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل إن أرأيت بمعنى أخبر والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك الذين قالوا أى الفريقين خير مقاماً الآية وأنت خير بأن المشهور استعمال أرأيت فى معنى أخبرنى بطريق الاستفهام جارياً على أصله أو مخرجا إلى ما يناسبه من المعانى لا بطريق الأمر بالإخبار غيره وقرئ ولداً على أنه جمع ولد كاسد جمع أسد أو على أنه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله له إلى (أطلع الغيب) رد لكلمته الشنعاء وإظهار لبطلانها اثر ما يشير إليه بالتعجب ٧٨ منها أى أقد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذى استأثر به العلم الخبير حتى ادعى أن أن يؤتى فى الآخرة مالا وولداً وأقسم عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بعملية الرحمة لإيثار ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فإن وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجازاة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما أن كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى (كلا) ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبهه ٧٩ على خطئه (سنكتب ما يقول) أى سنظهر أنا كتبنا قوله كقوله [إذا ما نتسبنالم تلدنى لثيمة] أى يتبين أنى لم تلدنى لثيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجانى وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فبنى الأول تنزيل إظهار الشيء الخفى منزلة لإحداث الأمر المعلوم بجماع أن كلامها إخراج من الكون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رموس الا شهاديا أحداثها ومدار الثانى تسمية الشيء باسم سببه فإن

١٩ مريم

وَنَزَّهَتْهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

١٩ مريم

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾

١٩ مريم

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

\* كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعاً (وندد له من العذاب مداً) مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أى نطول له من العذاب ما يستحقه أو يزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله سبحانه ٨٠ واستهزائه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب (ونزته) بموته (ما يقول) أى مسمى ما يقول ومصادقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه إيذان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أى ننزع عنه ما آتيناه (وبأتيناه) يوم القيامة (فرداً) لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلاً أن يؤتى ثمة زائداً وقيل نزوى عنه مازعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه ما يستحقه وبآباءه معنى الإرث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لاسمائه والمعنى إنما يقول هذا القول مادام حياً فإذا قبضناه حللنا بينه وبين أن يقوله وبأتيناه رافضاً له منفرداً عنه وأنت خير بأن ذلك مبنى على أن صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وأنه مستمر على التفوه به راجح لوقوع مضمونه ولا ريب ٨١ في أن ذلك مستحيل من كفر بالبعث وإنما قال مقال بطريق الاستهزاء وتعليق أداء دينه بالمحال (واتخذوا من دون الله آلهة) حكاية لجناية عامة لكل مستتبعة لصد ما يرجعون ترتبه عليها إثر حكاية مقالة الكافر المعبود واستتباعها لنقيض مضمونها أى اتخذوا الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزاً) ٨٢ أى ليعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة إليه عز وجل وشفعاء عنده (كلا) ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وإنكار لوقوع ما علقوا به أطعمهم الفارغة (سيكفرون بعبادتهم) أى ستجحد الآلهة بعبادتهم لها بأن ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا أو سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم بعبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى (ويكونون عليهم ضداً) على الأول تكون الآلهة التي كانوا يرجون أن تكون لهم عزاً ضداً للعز أى ذلاً وهواناً أو تكون عوناً عليهم وآله لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم أو حيث كانت عبادتهم لها سبباً لعذابهم وإطلاق الضد على العون لما أن عون الرجل بضاد عدوه وينافيه بإطاعته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضداً وأعداء الآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لو حدة المعنى الذى عليه تدور مضاداتهم فإنهم بذلك كشيء واحد كافي قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرىء كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الألف نوناً في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله [أقل اللوم عاذل والعتابين \* وقولى إن أصبت لقد أصابن] أو على معنى كل هذا الراى كلا وقرىء كلا على إضمار فعل يفسره ما بعده أى سيجحدون كلا سيكفرون الخ.

- أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ١٩ مريم
- فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا ﴿٨٤﴾ ١٩ مريم
- يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ١٩ مريم
- وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾ ١٩ مريم
- لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ١٩ مريم
- (ألم تر أما أرسلنا الشياطين على الكافرين) تعجيب لرسول الله ﷺ عما نطقت به الآيات الكريمة ٨٣ السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبايح من الأقاويل والأفاعيل والتمادي في النفي والانهماك في الضلال والإفراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا طاطب يذنبهم والإجماع على مدافعة الحق بعد انصاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم لا لأن له مسوغاً ما في الجملة ومعنى إرسال الشياطين عليهم إما تسليطهم عليهم وتمكينهم من إضلالهم وإما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من إرسالهم عليهم كما يورمه تعليق الرؤية به بل عما ذكر من أحوال الكفرة من حيث كونها من آثار إغواء الشياطين كإنيء عنه قوله تعالى (تؤزم أزا) فإنه إما حال مقدرة من الشياطين أو استئناف وقع جواباً عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزم أي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهيجاً شديداً بأنواع الوسوس والنسويلات فإن الأرز والهزوال استغزاز أخوات معناها شدة الإزعاج (فلا تعجل عليهم) أي بأن يهلكوا حسبما تقتضيه جنائياتهم ويبدوا عن آخرهم وتطهر الأرض من فساداتهم والفاء للإشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهى عنه محوكة إلى النهي كافي قوله تعالى إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة وقوله تعالى (إنما نعد لهم عداً) تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم أي لا نستعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام وأنفاس نعد لها عداً (يوم نخشر المتقين) منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للإشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكامل فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والهداهي العامة كأنه قيل يوم نخشر المتقين أي نجعلهم (إلى الرحمن) إلى ربهم الذي يغفرهم برحمته الواسعة (وفداً) وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم (ونسوق المجرمين) كما تساق البهائم (إلى جهنم ورداً) عطاشاً فإن من يرد الماء لا يورده إلا العطش أو كالنواب التي ترد الماء بفعل بالفریقین من الأفعال ما لا يبي بيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خو طب به النبي ﷺ أي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نخشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى (لا يملكون

وَقَالُوا آتَّخِذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾

١٩ مريم

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾

١٩ مريم

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾

١٩ مريم

الشفاعة) والذي يقتضيه مقام التهويل وتستدعيه جزالة التزييل أن ينتصب بأحد الوجهين الأولين ويكون هذا استثناءً مبيناً لبعض ما فيه من الأمور الدالة على هوله وخميره عائداً إلى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لا يحصرهم فيها وقيل إلى المتقين خاصة وقيل إلى المجرمين من الكفرة وأهل الإسلام والشفاعة على الأولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي أن تكون مصدراً من المبني للمفعول وقوله تعالى (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) على الأول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى إما الرفع على البديل أو النصب على أصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم إلا من استعد له بالتخلي بالإيمان والتقوى أو من أمر بذلك من قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به فيكون ترغيباً للناس في تحصيل الإيمان والتقوى المؤدى إلى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البديل أو على أصل الاستثناء أى لا يملك المتقون الشفاعة إلا شفاعة من اتخذ العهد بالإسلام فيكون ترغيباً في الإسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون أيضاً والمستثنى مرفوع على البديل أو منصوب على الأصل والمعنى لا يملك المجرمون أن يشفع لهم إلا من كان منهم مسلماً (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً إثر حكاية عبدة الأصنام بطريق عطف القصة على القصة ٨٨ وقوله تعالى (لقد جئتم شيئاً إدًّا) رد لمقاتلهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المنبئ عن قال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم نهاية الوقاحة والجهل والجرأة والإدبالكسر والفتح العظيم المنسكر والإداة الشدة وأدنى الأمر وأدنى أثقلنى وعظم على أى فعلتم أمراً منكرأ شديداً لا يقادر قدره فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيمديان تعديته وقوله تعالى (تكاد السموات) الخصفة لإدأ أو استئناف ببيان عظم شأنه في الشدة وال هول وقرىء يكاد بالتذكير (يتفطرن منه) يتشققن مرة بعد أخرى من عظم ذلك الأمر وقرىء يتفطرن والأول أبلغ لأن تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولأن أصل التفعل التكلف (وتنشق الأرض) أى وتكاد تنشق الأرض (وتخر الجبال) أى تسقط وتهدم وقوله تعالى (هداً) مصدر مؤكد لمخدوف هو حال من الجبال أى تهد هدأ أو مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لأنه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خروراً أو مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية أى مهدودة أو مفعول له أى لأنها تهد وهذا تقرير لكونه إدأ والمعنى أن هول تلك الشنعاء وعظمتها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطلق بها هاتيك الأجرام العظام وفتنت من شدتها أو أن فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط

- ١٩ مريم أن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
- ١٩ مريم وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾
- ١٩ مريم إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾
- ١٩ مريم لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾
- ١٩ مريم وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾
- ١٩ مريم إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾

- ٩١ بحيث لولا حله تعالى لحرب العالم وبددت قوائمه غضباً على من تفوه بها (أن دعوا للرحمن ولداً) منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد أو مجرور بإضمارها أى تكاد السموات يتفطرن والأرض تنشق والجبال تغر لأن دعوا له سبحانه ولداً وقيل اللام متعلقة بهداً وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله [على جوده لضعن بالماء حاتم] وقيل خبر مبتدأ محذوف أى الموجب لذلك أن دعوا الخ وقيل فاعل هداً أى هدها دعاء الولد والأول هو الأول ودعوا من دعا بمعنى سعى المتعدى إلى مفعولين وقد اقتصر على ثانيها ليتناول كل مادعى له ولداً أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى إلى فلان أى انتسب إليه وقوله تعالى (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً) حال من فاعل قالوا أو دعوا مقرر لبطلان مقالاتهم واستحالة تحقق ٩٢ مضمونها أى قالوا اتخذ الرحمن ولداً أو أن دعوا للرحمن ولداً والحال أنه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلاً لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للإشعار بعلّة الحكم بالتنبيه على أن كل ما سواه تعالى إمانعة أو منعم عليه فكيف يتسنى أن يجانس من هو مبدأ النعم ومولى أصولها وفروعها حتى يتوهم أن يتخذ ولداً وقد صرح له قوم به عز قائله (إن كل من في السموات والأرض) أى ما منهم أحد من ٩٣ الملائكة والتقلين (إلا آتى الرحمن عبداً) إلا وهو مملوك له يأوى إليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الأصل (لقد أحصاهم) أى حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيلة علمه وقبضة قدرته ٩٤ وملكوته (وعدهم عدداً) أى عدداً شخصهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شئ عنده بمقدار (وكلمهم آتية يوم القيامة فرداً) أى كل واحد منهم آت إياه تعالى منفرداً من الاتباع والأنصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على إتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل آتية فإذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فأنى يتوهم احتمال أن يتخذ شيئاً منهم ولداً (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما فصلت قبائح أحوال الكفرة عقب ذلك ٩٦ بذكر محاسن أحوال المؤمنين (سيجعل لهم الرحمن وداً) أى سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها سوى ما لهم من الإيمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن الموعود من آثارها

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ٩٧  
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ٩٨

١٩ مريم

١٩ مريم

وعن النبي ﷺ إذا أحب الله عبداً يقول لجبريل عليه السلام إن أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى في أهل السماء إن الله أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له المحبة في الأرض والسين لأن السورة مكية وكانوا إذا ذكروا بمقتولين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم أنجزه حين ربالإسلام أولاً لأن للوعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل لإفراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة من الكرامات السنية لما أن الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباعض وتضاد وتقاطع وتلاعن (فإنما يسرناه) أي القرآن (بلسانك) بأن أنزلناه على لسانك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الإنزال أي يسرنا القرآن منزلاً له بلغتك والفاء لتعليل أمر يذساق إليه النظم الكريم كأنه قيل بعد إحياء السورة الكريمة بالغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين (لتبشر به المتقين) أي الصائرين إلى التقوى بامثال ما فيه من الأمر والنهي (وتنذر به قوماً لداً) لا يؤمنون به لجأجا وعناداً والد جمع الائد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) وعدل رسول الله ﷺ في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له ﷺ على الإنذار أي قرناً كثيراً أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى (هل تحس منهم من أحد) استئناف مقرر لمضمون ما قبله أي هل تشعر بأحد منهم وترى (أو تسمع لهم ركزاً) أي صوتاً خفياً وأصل الركز هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفي . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب ذكرى أو صدق به ويحيى وعيسى ومريم وسائر الأنبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى .

(تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله سورة طه)



فهرست

# نفس الحامس

الجزء المبتدئ

صفحة

( سورة الرعد )

٢

- ٦ قوله تعالى : وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد .  
 ١٦ : أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب .  
 ٢٥ : مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلمها تلك عقبى الذين اتقوا .

( سورة إبراهيم )

٣٠

- ٣٦ قوله تعالى : قالت رسلمهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض .  
 ٤٥ : ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار .

الجزء الرابع عشر

( سورة الحجر )

- ٦٣ قوله تعالى : الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين .  
 ٨٠ : نهي عبادة أنى أنا الغفور الرحيم وأن غذابى هو العذاب الأليم .

( سورة النحل )

- ٩٤ قوله تعالى : أتى أمر الله فلا تستعجلوه .  
 ١١٠ : وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة .  
 ١١٩ : وقال الله لا تتخذوا آلئین ائینین إنما هو إله واحد فإیای قارهبون .  
 ١٢٩ : ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا یقدر علی شیء ومن رزقناه منارزقا حسناً .  
 ١٣٦ : إن الله یأمر بالعدل والإحسان وإیتاء ذی القربى .  
 ١٤٤ : یوم تأتی کل نفس تجادل عن نفسها وتوفی کل نفس ما عملت وهم لا یظلمون .

الجزء الخامس عشر

( سورة الإسراء )

- ١٥٤ قوله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده لیلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنریه من آیاتنا إنه هو السميع البصیر .  
 ١٦٦ : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إیاه وبالوالدین إحساناً .  
 ١٧٧ : قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما یکبر فی صدورکم .  
 ١٨٦ : ولقد کرمنابنآدم وحملناهم فی البر والبحر ورزقناهم من الطیبات .  
 ١٩٧ : أولم یروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر علی أن یخلق مثلهم .

( سورة الكهف )

٢٠٢

٢١١ قوله تعالى : وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين .

٢٢١ د : واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل .

٢٢٨ د : ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم .

الجزء السادس عشر

٢٣٦ قوله تعالى : قال ألم أقل لك إني تستطيع معى صبراً .

٢٤٧ د : وتركنا بعضهم يومئذ يؤج في بعض ونفخ في الصور لجمعناهم جمعاً .

( سورة مريم عليها السلام )

٢٥٢

٢٦١ قوله تعالى : حملته فانتبذت به مكاناً قصياً .

٢٧٢ د : تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً .

( تم الفهرست )